الفنون الشعبية
التاسع
العدد الثامن

في هذا العدد

فولكلور الكاسيت

في الثلاثينات من هذا القرن كان الراديو في الأوساط الشعبية نادر الوجود ان لم يكن معدوما • وأذكر أنه في الأربعينات من هذا القرن كان يتوفر في القرية جهاز راديو واحد أودعته سلطات الانتداب البريطاني عند المختار في كل قرية • وكان المختار يضع ذلك الجهاز في ديوانه ليستمع هو وأعضاء المجلس القروي ووجهاء البلد لنشرات الأخبار وقراءات القرآن • ولم يكن في تلك الفترة وما سبقها أي وجود على الاطلاق لاجهزة التسجيل والتلفزيون وبث الصوت ، اللهم الا الحاكي الذي يوصل به بوق ضخم ويبث أغان مسجلة على الاسطوانات والتي كان الشعب يسميها « قوانات » ومفردها : « قوانة » •

وكانت الأغاني الفولكلورية التي يرددها الناس في الوسط الشعبي ويتناقلونها ويتوارثونها في غالبيتها من الابداع الشعبي لشعراء شعبيين عرفوا القدرة على الابتداع وصياغة « القول » وفي ذلك الوقت كان أثر « الراديو » و « القوانات » ضئيلا ، فضلا عن أن الأغاني التي اقتبسها الشعب عن الراديو والقوانة غالبا ما كانت في الاصل لشاعر شعبي «بداع» مثل فرحان سلام أو نوح ابراهيم •

ثم كانت تلك الثورة التكنولوجية التي دفعت بأجهزة الراديو الى كل بيت وكوخ وخيمة ، ثم جاء دور أجهزة تسجيل الأغاني وبثها بواسطة الكاسيت والتي يتزايد استعمالها يوما بعد يوم • واذا تصفح المرء عناوين المواد المسجلة على تلك الأشرطة المكدسة على الأرصفة وفي محلات بيع الأشرطة وجد فيها نماذج شتى من الأغاني الشعبية والأغاني الدارجة وكذلك الأغاني المؤهلة لأن تصبح دارجة أو شعبية بمرور الزمن ومع اتساع دائرة استعمال اشرطة الكاسيت •

في تلك الأكداس من الأشرطة يجد المرء أغان من الموروث الشعبي



كبير من الأغاني السعودية ،البحرانية المغربية ... الخ أقول ان مثل هذه الأغاني بدأت تتسلل للوجدان الشعبي وبدأت تدخل الحياة الشعبية بقوة واصرار في ايـام العرس الشعبي ، الرحلات ومناسبات شعبيـة أخرى ويساعد مثل هذه الأغاني على الذيوع والانتشار داخل الوسط الشعبـي تحسن وسائل المعيشة وانتشـار مراكز الشباب والأندية واهتمـام المدارس والمعاهد بصورة متزايـدة بشؤون الصوت والصورة .

ان فولكلور الكاسيت هـذا سيشكل في المستقبل مصـدرا لا ينضب له معين من مصادر الباحـث عن الأغنية الشعبية والأغنية الدارجة فضلا عن أنه يدخل الحياة الشعبية بقوة لا يمكن تجاهلها .

سكرتير التحرير

الذي لم تمسسه يد التطور مثـل أغاني الهجيني للمطربة الشعبيـة الذائعة الصيت ميسـون صنـاع وتسجيلات للدبكـة الرمثاويـة الفلسطينية . وبالاضافـة ، لذلك فهناك الأغاني العربيـة ذات الطابـع الشعبي مثل أغاني طلال مداح وعدد

رمضان في الحياة الشعبية الدمشقية

نحاول هنا القاء الاضواء على الحياة الاجتماعية في هذا الشهر من خلال ما كتبه الاقدمون في مزق مخطوطاتهم ومؤلفاتهم وما حدثنا به السلف وما شاهدته بأم عيني في الاربعينيات من هذا القرن ذلك ان مدينة دمشق تكاد تنفرد بتقاليد مميزة عن مثيلاتها من الحواضر العربية والاسلامية • فمن عادات الدماشقة القيام بما يسمى : تكريزة رمضان ، وهذه عادة قديمة جرى عليها العامة ، ذلك انه قبل حلول شهر رمضان بيوم او ايام يقومون بسيارين (نزهات) عائلية او على شكل جماعات من الاصدقاء الى مناطق الغوطة الشرقية او مناطق الربوة والمقسم والشاذروان والمنشار والغياض ، مما يروي ولع الدماشقة بالخضرة والظلال وافانين الجمال •• وهكذا كنا نرى كل جماعة وقد افترشت جانبا من مكان مطل على مناظر الخضرة والماء • وامعانا في الحرية كان كل جماعة يحجبون انفسهم عن اعين الغرباء والحشريين بحواجز قماشية شدت بين شجرتين او اكثر بحيث لا تحجب الرؤية عن التمتع بالنسيم العليل والماء المنساب بين الاشجار •

وفي حين تنهمك النسوة في اعداد الطعام من انواع المقالي والشواء وغير ذلك ، يكون الرجال والشباب بين ورق اللعب والنرد وقد ينفرد البعض عن ذلك للمساهمة مع النسوة في اعداد الطعام • على حين يتحلق بعض الشباب حول شاب تبرع بوصلة غناء من الميجانا والعتابا وابو الزلف وبعض المنولوجات الشعبية (ميت مرة قلت للبابا زوزني – زوجني – •• وبعد الحرب •• وشرم برم) ويذهب البعض الى تفسير هذه الظاهرة (التكريزة) على انها وداع وفسحة : وداع لما لذ وطاب وفسحة يعيش المرء بعدها بعيدا عن ملاذ الحياة الدنيا • وقد يستمر المرء مع روحانية رمضان وقد يعود سيرته السابقة •••



يستقبل الدماشقة شهر رمضان بتقاليد موروثة ، تبدأ بتقاليد اثبات مولد هـــلال الشهر ، وهذه تلتزم باسس علمية . ففي ليلة الثلاثين من شعبان يجلس القضـــاة والعلماء والوجهاء في المسجد الاموي خـــلال الساعات التي يتوقع فيها ظهور هلال رمضان لاعلان الصيام . وقد نقل الينا ابن طولون في الجزء الاول من مؤلفه (مفاكهة الخلان في حوادث الزمان) شاهدا عن تقاليد القوم في اثبات هلال شهر رمضان ومن ذلك[1] :

« وفي ليلة الاثنين تهيأ الناس بدمشق لصوم الغد . وعلقت القناديل المشعولة بعد المغرب خلا الجامع الاموي ، وقال الموقتون : رؤية هلال شهر رمضان عسرة .. ومكثه على ست درج ، فحضر القضاة بالجامع على العادة فلم يره احد ، فانكروا على من شعل القناديل ، كاهل جامع يلبغا، فبلغهم فاطفؤوها . ثم اتى رجل وشهد انه راى هلال ليلة السبت . وجاء آخر وشهد انه راى هلال رمضان بعد المغرب من هذه الليلة ، وزكي فحكم بقبول شهادته ، واعيدت القناديل واصبح الناس صياما ... ».

ونقل الينا صورة اخرى في الجزء الثاني من نفس المؤلف لعام ٩٣٢ هـ . بقوله :

« في ليلة الخميس (٣٠ شعبان) وقع اختلاف في ان غدا من رمضان ، فلم يشهد احد فاطفئت قناديل مئذنة العروس بالجامع الاموي بعد ايقادهـــا ، ثم ثبت على بعض القضاة فاعيدت واصبح الناس صياما .. وقد زاد ناظر الجامع الاموي .. فيه نحو الثلاثمائة وستين ضوءا ومن ذلك الصنوبرة التي قبال المقصورة ، ولم يوقد فيها قناديل من قبل وانما كان يوقـــد فيها الشمـــع في الليالي المفردات .. » .

وقد كان لكل مدينة في القطر مجلســا مماثلا لمدينة دمشق اصبحت فيما بعـد على اتصال دائم بمجلس مدينة دمشق ، الذي اصبح ينعقد في المحكمة الشرعية ، لتبليغ ما قد يحدث من مولد هلال شهر رمضان . وكان القاضي الشرعي ومجلسه في دمشق يبقى في المحكمة الشرعية حتى ساعـــة متاخرة من الليل بانتظار من يثبت مولد هلال الشهر . في اية منطقة في انحاء القطر . فان كـــان الاثبات ، فان القاضي يتأكد من الشهود عن حقيقة مولد الهلال من حيث شكله وحجمه واتجاهه ومكان المشاهدة ووقتها ، فان توافق ذلك مع الميقات والشكل الفلكي للهـــلال ، يجري التشاور في مجلس القاضي ، ويعمم ذلك بالاتفاق مع المجلس .. وبالتالي تنار المساجد ويخرج المسحرون للبشارة وينفض الوجهاء، كل الى حيه ليبادر المنـــادون بقرع الطبول واعلان الصوم ويعمم ذلك على القطر ..

---

(١) القسم الاول ص ١٢٩ رمضان عام ٨٩٥ هـ.

وتنعكس هذه الحالة على الحياة العامة في الاسواق فيترفع القوم عن ملاهي الحيـاة وينصرفون الى الطاعات وارتياد المساجـد وخاصة المسجد الاموي حيث يتحلقون حول العلماء والائمة والوعـاظ يتفقهون شؤون دينهم .. فاذا اساء انسان الى آخر اجابـه سامحك الله ، وان راى امرؤ مكروها قال : استغفر الله اللهم اني صائم ..

واستعدادا لهذا الشهر المبارك تـدب الحركة في المسجد الاموي ويتعاظم النشـاط وتتوزع الاعمال وتنسق بشكل يكون فيـه المسجد معدا لاستقبال المصلين والمقبلين عـلى المواعظ طوال ساعات النهار وجانبا كبيرا من الليل ، ويتم توزيع العاملين في المسجد على ست مواقيت ثلاثة منها نهارية وثلاثـة اخرى ليلية بحيث يختص كل عامل في المسجد بعمل معين له اجر محدود ، وقد يجمع العامل بين عملين او اكثر ويتراس الجميع قائمقام المسجد وتدعى وظيفته قائمقامية[2] يساعـده ريس لكل ناحية فهناك مريسية للشعـالين واخرى للمؤذنين ومثلها لاعمال التنظيف ، وكذلك للمراحيض .. الخ .

ولعل من الظريف ان نشير الى الاجور التي كان يتقاضاها اولئك العاملون في المسجد الاموي آنذاك ، فقد كانت تقـدر بالقروش والبارات ، وكانت قيمة القرش الشرائيـة تقارب القيمة الشرائية لليرة السوريـة في ايامنا قبل موجة الغلاء العالمية الحاليـة . ونذكر على سبيل المثال لا الحصر ان اجر قائم مقام الجامع (٧٥٠) قرشا خلال شهر رمضان وكانت مسندة للحاج محمـد علي الحلبي ، واجرة اشعال قناديل الجامع خلال هذا الشهر (٥٥٠) قرشا وكانت موكلة للسيد عمر الريان ، واجرة تنوير (شعلة) كل مئذنة (١٥٠) قرشا وكان يتولى تنوير مئذنة العروس السيد حسين الداية وتنوير المئذنة الشرقية السيد محمود الريان وتنوير مئذنة سيدنا يحيى السيد عمر الريان . وكان كل مقرىء للقرآن يتقاضى خلال هذا الشهر بالجامع المذكور (١٠٠) قرش ومن ابرزهم المقرىء موسى الحافظ .. كما بلغ عـدد قناديل صحن الجامع (باحته) (١٣٤٠) قنديلا وعدد قناديل الحرم (٩٦٠) قنديلا[3] .

* * *

وجرت الدولة في ايامنا على غرار السلف في الاحتفاء بهذا الشهر الكريم فتستقبلـه بمـا يتناسب ومقامـه في نفوس الداشقة ، فتشيع في النفوس روح السماح والمحبة وتعمد الى انارة مساجد المدينة واعدادها لاستقبال شهر رمضان . كما تقوم باغلاق اماكـن العبث وسد كل السبل امام ضعفاء النفوس وتعمل على النهي عن المنكر وتعاقب من يخرج على الاخلاق والتقاليد المرعية وتقيم موائد الفطار للعامة يشارك في حضورهـا المسؤولون .. وهذه سنة قديمة ينسبها اليعقوبي الى الوليد بن عبد الملك الخليفة الاموي .

ولكن هذه الموائد كانت بشكل يغاير ماتراها عليه في عصرنا .. فقد كان اهـل الخير والبر يوقفون جانبـا من اطيانهم واملاكهم للتكايا والمدارس لتقديـم العلم

(٢) توارث هذا المنصب آل الحلبي ردحا طويلا من الزمن .

(٣) من ارشيف الاستاذ اكرم الشوا : الوثائق (٥٠ - ١٠١ - ١٢٦ - ١٣٤) . وتعود هذه الوثائق الى عام ١٣١٧ هـ و ١٣٠٣ - ١٣١٦ هـ .

والطعام مجانا سواء في شهر رمضان او في سائر ايام الحول . وقد حدثنا ابن طولون الدمشقي الصالحي [4] (٨٨٠ – ٩٥٣) هـ ، باسهاب عن حواصل المؤن التي كانت لمدارس الصالحيةواوقافها وما كانت تقدم في رمضان من خبز وطعام وحلوى ..

لم يزل اهل الخير .. يتفقدون اهلها بالمآثر . ثم تغيرت الاحـــوال وتناقص عـــدد تلـــك التكايـــا والمدارس وعـــدد ايام البر فيها .. حتى اقتصر الامر عـــلى تكية الشيخ محيي الدين بن عربي والتكية السليمية في ايام قليلة من الاسبوع ، حتى كان عهد الرئيس الشيخ تاج الدين الحسني عام ١٩٤٢ حيث حول جانبا من مخصصات هذه الاوقاف لموائد الافطار في ايام معينة من رمضان في حديقة التكية السليمية ولا يزال هذا التقليد جاريا حتـــى اليـــوم وان تغير المكان الذي جرى عليه العرف .

ولعل العلماء اكثر الدماشقة احتفاء بهذا الشهر ، فما ان تتم مراسيم اعلان مولد هلال شهر رمضان حتى يتوافد العلماء ومشايـــخ الطرق الصوفية والوجهاء الى دار السيد نقيب الاشراف للمباركة بهذا الشهر الفضيل ويرد نقيب الاشراف لهم الزيارة كما يزور (الوالي) رئيس الجمهورية الآن للمباركة بالشهـــر وتقديم التوصيات التي يرجع امرها الى آداب شهر رمضان .

وقد ادى الوعي الوطني والتلاحم المصري بين الدماشقة الى مشاركة رجال الدين من الطوائف الاخرى للمسلمين حيث يقومـــون بزيارة رئيس الجمهورية ونقيب السادة الاشراف والمفتي العام رسميا للتهنئة بحلول هذا الشهر المبارك ، وبالتالي فان ابناء الديانات الاخرى من المواطنين يسلكون سلوكا يراعي شعور الصائمين بحيث لا يمكن ان تعرف المرء ان كان مسلما او مسيحيا .. وهذا له اكبر الاثر في المحبة المتبادلة بين الجميع .

ويصاحب استقبال هذا الشهر مختلـــف انواع العبادات بشكل يميزه عن بقية شهور السنة .. وتكون مزاولة الاعمال خلال ايامه كغيرها من ايام السنـــة وهي مصحـــوبة بكثير من التذكر والاعتبار ، لان الدماشقة يعتبرون الصوم عبادة ملازمة للمرء في سائر وقته ..

وتسود المدينة خلال شهر رمضان صلات اجتماعية فريدة من نوعها ، ففي ايام مســاء الاسبوع الاول يتزاور افراد العائلة الدمشقية للتهاني والتبريك ويشمل ذلك اصول وفروع العائلة .. فعند اعلان مولد الهلال يتوارد افراد العائلة الى مجلس كبيرها (عميدها) فيقبلون يده مهنئين مباركين ، وتستمر هذه الحال عدة ايام ، واذا صدف ومر الاسبوع الاول من الشهر ولم يقم بهذا الواجب فان عميد العائلة يشعر بعدم الرضا والراحة لان حقه على ابنائه واحفاده هذه الزيارة . وقد حدثنا العلامة محمد كرد علي في خططه عن ذلك بقوله[5] (للدمشقيين في رمضان عادات منها : الانقطاع عن بعض العادات الضارة وقضاء النهار في سماع المواعظ والليـــل في زيارة بعضهم بعضا وارتياد محال اللهو المباح) .

وفي بداية الاسبوع الثـــاني يأتي دور النساء في المباركة وتقديم التهاني ، فتلغى مواعيد الاستقبال المألوفة ، ويصبح لشهر رمضان خاصية خاصة عنـــدهن ، فيتبادلـــن التهاني من عصر كل يوم الى قبيل المغرب ،

---

(٤) القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحيـــة . تحقيق الاستاذ الشيخ محمد احمد دهمان .

(٥) خطط الشام : ج ٦ ص ٢٨٢ .

وخلال ذلك تدور احاديث عن مآدب الطعام وطرق اعداده وقد يتساعدن في ذلك ويتهادين (يتساكبن) اطباق الطعام وهن يعتقدن ان في ذلك ثوابا ٠٠ كما يقمن ليلة اثبات مولد الهلال بزيارة العائلات المنكوبة بوفاة عزيز عليها سواء اكانت هذه العائلات من الاهل او الجوار ، وذلك من باب المواساة والتعزيـــة حتى يشعر اهل الفقيد بالسلوى والمؤانسة ، ذلك ان اطلاق مدافع مولد الهـــلال يعتبر بمثابة تجديد الآلام والاحزان لتلك الأسر ٠٠ وكثيرا ما يقوم الرجال بهذا التقليد ايضـــا وخاصة اذا كان الفقيد قريب النسب اليهم ٠٠

ومعظم النسوة يذهبن الى المقابر (البرية) لزيارة الموتى بعد عصر اليوم الاول من شهر رمضان ، حيث ياخذن الطعام وبعض الحلوى ، واحيانا بعض التين والزبيب والحلاوة لتوزيعها على الفقراء عن روح موتاهن طالبات لهم الرحمة والغفران ، وكثيرا ما يكلفن الصبية والقراء بقراءة سورة ياسين او الرحمـــن من القرآن الكريم ووهبها الى روح الميت ٠ وقد يندبن ويلطمن ٠٠٠ وجميع هذه المظاهر من التفجع مبالغ فيها ، لان عادة النسوة المبالغة في مثل هذه الامور ، لان العيب عندهن عدم المبالغة ٠ ومن المالوف الاكثار من اغصان الآس وطاقات الورد في (مطعمة) القبر كما قد (يصمدن) صورة الفقيد في مكان بارز من شاهدة القبر موشاة بالسواد ٠٠٠ وكثيرا ما يكون القبر محاطـــا بالكراسي يجلسن عليها موزعات بين ناحيـــة قريبة للميت ومشرثرة تتطفـــل فتشـــارك المجموعة ٠

ويصاحب شهر رمضان في حياة الدماشقة ، العامة واولي الامر منهم ، القيام باعمال البر كل حسب مقدرته وسعة حاله ٠٠ وغالبا ما يكون افطار اول يوم عند عميـد العائلــــة ، ويحضرونه دون دعوة ٠٠ وهذه عادة قديمة ، ويكون افطار اليوم الثاني عند اكبر اولاده سنا، وهكذا تستمر هذه الحال عدة ايام وقد تمتد الى معظم أيام الشهر ٠ وبعد ايام يقوم عميد العائلة بدعوة فروع الاسرة جماعات جماعات وكذلك الاصحاب والجوار والفقراء ، كمـــا يخصص بعض الايام لرد الزيارات والولائم التي يدعى اليها ٠

ولعل من الخصائص المميزة لهذا الشهر ان الدماشقة يستعدون لاستقباله قبل حلولــه باسابيع ، فالاكلات الطيبة لرمضان (والمونة) لرمضان ٠٠ والاسواق تستعد له ايضا بشكل منقطع النظير ، فيدب فيها النشاط قبل حلوله بايام فتعرض الحوانيت السلع من سكروزز وطحين وسمن وفستق حلبي ونقوع وقمر الدين ٠٠ كما يصحب ذلك من النشاط والحركة من الضحى حتى السحور ٠٠

* * *

ومعظم ليالي رمضان يقضيها الخاصــة (العلماء) في الصلاة والتهجد والاذكار حتى يحين وقت الامساك ، ومنهم من يلزم صـلاة التراويح بتلاوة جزء كامل من القرآن الكريم حتى يتم الختم في الشهر ، ومنهم من يصلي التراويح في كل ليلة بختم كامل ٠٠ وبعـد السحور تعقد بعض الاذكار في المساجد والجوامع حتى الفجر ، وينظر الصوفيون الى الصيام نظرة خلقية وروحية[٦] فهم الذين عطروا ايام الصوم بالانفاس الروحية واليهم يرجع الفضل في نظم ما ساد على السنة الناس من الاناشيد ، وقد

(٦) التصوف الاسلامي ص ١٩٨ للدكتور زكي مبارك ٠

سلكوا مسالك متنوعة من التنغيم والتطريب ، وكثرت منظوماتهم في الفن الغنائي الـذي يعرف باسم (كان وكان) ٠

واذا تم شهر رمضان الثلاثين يومـا يلتقي مشايخ الطرائق الصوفية مع مريديهم بعد عصر ذلك اليوم في المسجد الاموي ويكون لكل مكان مالوف يتجمع المريدون عنـده ، فالسعدية امام المحراب الحنفي والتغلبية امام مقام سيدنا يحيى ٠٠ وهكذا تتجمع بقية الطرائق الرفاعية والقادريـة والهاشمية والتلمسانية الاحمد ، والمولوية والشاذليـة ٠٠ الـخ بالاضافة الى آل سلطان واليافي والعيطة ٠٠ ومن ثم يلتقون ويقومون بتـلاوة الاوراد والاذكار والتهليل والتكبير والمدائح النبوية والتوديع لشهر رمضان ، ويشاركهم عامة القوم المتواجدين ـ بطبيعة الحـال ـ في الجامع ٠ حيث تقدم كل طريقة وصلـة من المدائح والذكر والتعليل وقـد يشترك مريدو طريقة مع طريقة اخـرى من باب الزيارة والود ٠

ونظرا للدور الذي كانت تلعبه تلـك الطرائق في العقد الثاني من هذا القرن كاندية روحية يغشاها الاستعمار ، فان رجالاتـه عمدت الى تملق مشـايـخ تلك الطرائـق ، وبالتالي عمد الى دس عملائه بين صفوفها ، متظاهرا باكرام اهل العلم وتقـديم مظاهر التبجيل مدعيا باطلاق الحريات الدينية وهو انما يفعل ذلك ليصرفها عن الجوهر ويجعلها تتعلق بالمظاهر والقشور وبالتالي فان فعلة الاستعمار هذه انما كان الهدف منها احكام سلطته على القطر ، وامعانا بالتظاهر باطلاق الحريات الدينية كان المستعمرون يرسلون من يحضر حلقات الذكر من باب المشاركـة والتسامح ، وهم انما يفعلون ذلك على مرآى من العامة ليفقد القوم ثقتهم بالمشايخ وليزرع الفرقة والتمزق بين المواطنين ٠ وقد تعدى ذلك الى الطلب من بعض الطرائق اقامـة حضرات وحلقات ذكر خاصة تحضرها الوفود التي تكون بضيافة المستعمرين من باب التفـرج والمتعة واظهار الدين الاسلامي بشكل مزر ٠٠ وهذا يخرج تلك الطرائق عن مثلهـا وغاياتها وهذا يبرر ايقاف نشاط تلـك الطرائق في عهد ثورة آذار ٠٠

اما ليالي رمضان لدى العامة فلها نكهة خاصة بالاضافة لروعتها وجلالها ٠ ففي هذا الشهر تعود السهرات الدمشقية الاصيلـة الى مجدها الذي غاب طوال السنة ، وفي هذه السهرات يجتمع الاقارب نسـاء ورجالا يتبادلون النكات ورواية اخبار السلـف وقفشاتهم ، ولا يزال لتلـك السهرات الرواسب العذبة في نفوس القوم ٠ وبعض هذه السهرات يتخللها الغنـاء والطرب البريء وبعضها يقـوم على التحـدث عن الاخرين وتسمى (مقلاية) اشارة الى ذكر عيوب الاخرين وتقليب اوضاعهـم ومع ان الغيبة والنميمة من المحرمات فانها محللـة في عرف الدماشقة خلال سهراتهم في ليالي شهر رمضان ٠٠ فما ان يذكر اسم شخص حتى تذكر مساوئه وتغفل محاسنه ويقلب في (المقلاة) ذات اليمين وذات الشمال ولا يترك الا وهو محروق ٠٠

ومن لم يتيسر له ذلك ينطلـق الى المقهى بعد صلاة العشاء والتراويح لتمضية بعض الوقت ، فيتناول الشاي او المرطبات

وقد يدخن النارجيلة (الاركيلة) ويستمع الى الحكواتي اذا شاء ، وقد يحضر مشهدا لخيال الظل اذا رغب ..

والحكواتي قصاص شعبي :

يتخذ مكانه على سدة عالية في صدر المقهى ، والاستماع الى الحكواتي « عادة قديمة[٧] نشأت مع الامية ، فيجتمع في المقهى عدد من الناس يختلف بحسب نوع القصة وشهرتها وجودة القصاص ايضا ، ومن تلك القصص : عنترة والزير وابي زيد الهلالي وهي روايات تمثل الشجاعة والكرم والانفة والحمية والوفاء والصدق والمروءة والجراة وحفظ الذمام . الى آخر ما هنالك من المكارم التي ينسبونها الى ابطال الرواية ويجعلون النصر لهم والدائرة على مناوئيهم ويصفونهم بالجبن والكذب والبخل والرياء والغدر والخيانة والنكث بالعهد الى آخر ما هنالك من المفاسد ، مما يربي في نفوس السامعين حب الفضائل والعمل بها ويبغض لهم النقائص ويحملهم على البعد عنها .. وتقدم تلك الروايات على اقسام كل يوم قسم ، ويتوقف الحكواتي عادة في موقف من الرواية مما يربط المستمع ويشده في اليوم التالي لمتابعة ما حدث للبطل . وحدث ان الحكواتي توقف مرة اثناء قراءة قصة عنترة عند اسره وزجه في السجن بعد تكبيله بالاغلال فصعب على احد الحاضرين الذين يهيمون بعنترة ان يتركه سجينا ، ولما ذهب الى منزله لم يستطع صبرا فذهب الى منزل الحكواتي وايقظه من نومه مهددا اياه بالقتل اذا لم يخرج عنترة من السجن ويفك قيوده في الحال .. فاضطر الحكواتي الى متابعة القصة حتى اطلق سراح امير الفوارس . ومن اطرف ما يروى انه عندما يصل الحكواتي الى زواج عنترة يقوم عشاقه بتزيين الحي واقامة الافراح وقرع الطبول ..

واذا كان الاستماع الى الحكواتي ممكنا في جميع ايام السنة ، فان مشاهدة فصول خيال الظل قاصرة على ليالي شهر رمضان . وهذه الفصول تعرض على فئتين من المشاهدين ، للصغار والكبار ، كل على حدة، للصغار في اول السهرة ومن ثم للكبار ، ولكل فئة مستوى معين من اسلوب العرض ومضمونه . وقد كان للكراكيزي[٨] ، قبل ان تنشا وسائل الاعلام ، دور هام في حياة القوم فعلى لسان شخوصه (الجلدية) يقدم ما يريد ان يبث في اذهان المشاهدين من نقد وتجريح او مدح او طرب وغناء ، مع بعض الحكم والنوادر ، من خلال فصوله التي يعرض كل ليلة فصلا منها او من خلال مسلسل الحرب الذي يقدم كل ليلة (غرزة) جانبا منه . وقد كان الكراكيزي يلقي على لسان شخوصه التعليقات السياسية ولم تكن السلطة تسلم منه ، وذات ليلة بات كراكيزي في سجن النظارة لانه شتم الشرطة في نكتة لاذعة . وتلك الفصول منها ما هو اصيل متوارث كفصل الطاحون وابا صوفيا واليهودي وشم ارين الساحرة وبعضها وضع في فترة لاحقة كفصل علي كوكب الدوماني والوزير الخائن .. وتجدر الاشارة الى ان الفصول القديمة قد اصابها بعض التعديل على

---

(٧) خطط الشام ج/٦/ .

(٨) ليالي كركوز : مخطوط قيد الطبع للكاتب .

مر السنين بسبب ما كان يعانيه المخايلة من احداث المجتمع ، اما الفصول الحديثة فكان وضعها بسبب ان حوادثها جرت واثرت حياة القوم فاستغـل الكراكيزي ذلك واراد ان يستخلص منها العبر على لسان شخوصه . وبعض هذه الفصول الموضوعة مستمدة من الواقع حيث كان الكراكيزي يدخل الى المحكمة ويسترق السمع ويتابع الاحداث التي تجري في البلد ليضمن ذلك فصوله ، لذلك كـان الترخيص بالعمل في هذه المهنة يخضـع لصعوبات مشددة . وكان على الكراكيزي ان يكتب على نفسه تعهدا بعدم التعرض للسلطة بالنقد والتجريح . وقد حدثني الكراكيزي ابو سليمان المعماري ان الصحافي المرحوم سعيد التلاوي كان يتسقط الاخبار منه وهو وراء الخيمة وكان يساعد المخايل في عمله تخت موسيقي يأتمر بأمر شخوصه ويردد معهم ، وكثيرا ما كان الكراكيزي يجري حـوارا بين الجمهور وبين شخوصه ، ذلك ان براعـة الكراكيزي ليست في تحريك شخوصه الجلدية باصابعه العشرة بخفة وسرعة خاصة فقط وانما ايضا بقدرته على اسماعك الاصوات كلا حسب شخصية صاحبه وغنة صوته دون تبديل(٩) . حتى انه يستطيع ان يسمعك صوت عراضة شعبية فيها اصوات مختلفة في آن واحد . وقد يكون المشهد صاخبا او حربيا ، وفي هذا براعة فائقة ، وقد حدث ان جن احد المخايلة من شدة براعته وتوزع صوته على شخصيات الفصل فخرق الخيمة ومد راسه منها .

واذا مارس بعض المخايلـة الاسفـاف والسوقية في تعابيرهم في الفترة المتاخرة الا ان من سبقهم ترفع عن ذلك . وكان لمسرح خيال الظل اهمية بالغة قبل تلك الفترة . وقد ذكر الشيخ محيي الدين بن عربي في فتوحاته المكية(١٠) « .. ومن اراد ان يعرف حقيقة ما اومانا اليه في هذه المسالة فلينظر خيال الستارة وصوره ومن الناطق في تلك الصورة ، عند الصبيان الصغار الذين بعدوا عن حجاب الستارة المضروبة بينهم وبين اللاعب بتلك الاشخاص والناطق فيها . فالصغار في ذلك المجلس يفرحون ويطربون ، والغافلون يتخذونه لهوا والعباد العلماء يعتبرونـه ويعلمون ان الله ما نصب هذا الا مثـلا ، ويعلمون ان العالم مع الله مثل هذه الصور مع محركها ، وان هذه الستائر حجاب سر القدر المحكم في الخلائق ، ومن هذا يتخذه الغافل لهوا ولعبا » .

* * *

وقبل الاتيان على نهاية هذا الموضوع ارى لزاما علي الحديث بعض الوقت عن مسحر رمضان في مدينة دمشق ، فرمضان من دونه (مو حلو) ، والهدف من التسحير هو تنظيم امساك المسلمين وافطارهم في البلد الواحد ، وقد كان يسحر مدينة دمشق مسحر واحد كان يصعد على مكان مرتفع ومعه طبل كبير يضرب عليه ويصيح باعلى صوته :

يا سامعين ذكـر النبي عالمصطفى صلـوا
ولولا النبي مـا انبنى جامع ولا صلوا ...

الا ان هذا الامر تطور بدواع ومسببات بتطور المدينة واتساعها ، وبدأ عدد المسحرين يزداد حتى اصبح لكل حي مسحر خاص به ،

---

(٩) مجلة العمران : العدد ١٣ ـ ١٤ ـ ١٥ لعام ١٩٦٧ .

(١٠) الباب : (٢١٧) .

بل قسم الحي الى (مطافات) مناطق يتوزعها المسحرون وتتناسب مع عددهم · وهكذا تنطلق الدقات على طبلات صغيرة فيها سحر واغراء ونشوة وصخب وفيها سكينة تشق سكون الليل الساجي وتوقظ القوم الى ذكر الله وتذكرهم بما عليهم حيال البؤساء والفقراء وينطلق مسحرو دمشق مزودين بعدة العمل (الطبلة والسلة والفانوس) بين الحارات الملتوية بالابواب يقرعونها بعصيهم الصغيرة او يدقون (السقاطات) ويرددون باصواتهم التي تتفاوت بين الخشونة والحدة يرددون عبارات رمضان التقليدية التي اصبحت جزءا لا يتجزء من شخصية هؤلاء المسحرين ·

يا نايم وحد الدايم ·· يانايم وحد الله ·· قوم (اوم) يابو كاسم وحد الله قوم يابو كاعود ·· يابو صياح يا بو مملوح وحد الله ··

ويشدني الحنين بخيوطه السحرية الى طفولتي يوم كنت أعدو مع اندادي وراء صاحب الصوت مساء كل يوم ونحن نردد : يا رمضان غيرت الطبيعة ·· السن زغير (صغير) والرئبة (الرقبة) رفيعة ، عابرين وراءه الحارات فيكر علينا ونفر ، ونعود نسترضيه هاتفين : عالبرغوت عالبرغوت مندفعين بعقولنا الساذجة باصرار ويسايرنا فنتحلق حوله جذلين وينقر عل طبلته فنسمع :

عالبرغوث معاني
عشش باداني(١١)

سكت البرغوث وفركته
حسبته مات وتركته

عنفظ وجاب ولاد اخته
ولاد اخته هالسجعان(١٢)

عشرة طبلوا بالمطبال
عشرين زمروا بالمزمار(١٣)

حط الدعوى عالسكين
سماع مني شو حكيت

انا مبارح شواضيت(١٤)
شو بحكي عالبرغوت ··

كل سنة وانتم سالمين · واولادكم سالمين ·· احياكم الله الى كل عام · ويمضي ونهتف ·· وراءه طالبين (الضراير والربة والقطة ··) في حين يرد بعضنا :

يا مفطر يابم
يا بزاق الدم(١٥)

دمك دم الخنزير
علئوك بالجنزير (١٦)

والجنزير مالو حلئة
علئوك بالمشنئة(١٧)

---

(١١) معاني : من المعاناة ، باداني : آذاني ·
(١٢) عنفظ : هرب ، هالسجعان : شجعان ·
(١٣) بالمطابل : الطبل ·
(١٤) شو أضيت : عانيت ·
(١٥) البم : السمين ، بزق : بصق ·
(١٦) علأ : علق ·
(١٧) الحلئة : الحلقة ، المشنئة : المشنقة ·

والمشنشة مالها خيـــط
دبوك بنهر اليـــط[18]

واليط ما فيــه مـــي
دبوك ببيت المي[19]

كبرنا والمسحر لا يزال يربطنـــا باحـــلام الطفولة السحرية المتزاحمة ، وكبرت معنـــا نظرتنا اليه كانسان يترك دفء منزله واولاده وعياله ليقف في البرد القارس على قرعات طبلــه الرتيبة باماديحه ودعاباته .. كبرنا ونحـــن نسترجع براءة ذلك الصوت الذي طبع في عقولنا اثرا لا يمحى ، فرمضان بدونه (مو حلو) والمسحر فاتحة الخير في شهر الخيرات والبركة وهو حامل بشارة شهر رمضان .. ومن هــذه الزاوية ينطلق حبنا له المرتبط برواســب الطفولة ..

فالمسحرون اذا فئة من سواد الشعب اتخذ افرادها من التسحير حرفة (كارا) لهم ، وقد انبثق عن هذه الحرفة تنظيمات مثل ما كان لسائر الصناعات والحرف الدمشقيـــة[20] وتدخل هذه التنظيمات في نظام الاصناف او ما يسمى بمشيخة الكارات ، وهذه كانت تدير شؤون الحرفة وتسوي مشاكلها ، وتضم المراكز التالية : (شيخ الكار ـ النقيب ـ الشاويش ـ الاعضوات) ولكل من هؤلاء عمل يختص به بغية تامين سير التسحير في المدينة على وجهه الاكمل .

وقد كان مردود التسحير يفيض عـــن مستلزمات الحياة الاساسية بما يدر عـــلى المسحر من نقود وهبات وطعام وحلـــوى ..

ويذهب البعض الى ان اتساع المدينة وامتدادها الافقي والعمودي وتزايد عدد المقيمين فيهـــا القادمين من المدن والقرى المجاورة ، وتلاشـــي الرحمة مـــن نفوس القوم نتيجة لتلاؤنهم من الواقع الجديد لمدينة دمشق اشاع في حيـــاة المسحر ودخله الفوضى وعدم الاتزان ، فصعبت عليه الحياة وضاقت به لدرجة لا يحسد عليها من الكفاف وضيق ذات اليد . وهكذا حلت محل الليرة السورية القروش القليلة العـــدد ، واستبدلت اطايب الاطعمة والحلوى بما هو (محمض) على وشك التلف .

ورانت على النفوس اللامبالاة واصبـــح التسحير وعدمه سيان وخاصة بعد ظهـــور الساعات ذات الاجراس المنبهة . بل اصبح بعضهم يوصي المسحر بأن لا يمر بباب داره طيلة شهر رمضان كي لا يزعجه بصـــوت طبلته . وعلى ذلك لم يعد المسحر يشعـــر بخيرات رمضان حتى في الاعياد ، ولولا ايمان ابناء هذه الحرفة وطمعهم بالثواب والحظوة عند الله لانقرضت الحرفة واستغنـــى عنهـــا اربابها . ويعمل المسحرون في بقية ايـــام السنة اعمالا مختلفة فمنهم الباعة المتجولون (المتعيشة) ومنهم من يعمل مجلخـــا او ناطورا او عاملا في البناء ..

وقد كانت هذه الحرفة تنحصر في عائلات دمشقية تحفظ اصولها وفروعهـــا وتتوارث العمل ابا عن جد ، واذا صدف ان انعـــدم العقب الذكر في الاسرة ، او ان ابناءهـــا يزهدون بالعمل فالاسرة عندئذ تضمـــن التسحير الى مسحر غريب عنها بمعرفة شيخ

---

(١٨) اليط : نهر تلتقي فيه المجاري العامة .
(١٩) بيت المي : دورة المياه .
(٢٠) انظر كتابنا فنون وصناعات دمشقية .

الكار • ومن الاسر التي امتدت فيها حرفة التسحير (بيت الحجة) فمنها كان سليم وصالح واحمد وعمر وعبد الجليل .. جميعهم مارسوا التسحير في مطاف توارثوه ، وهذا يفسر خروج المسحر في شهر رمضان مع ولد صغير غالبا ما يكون ابنه ليساعده من جهة وليتعلم اصول الصنعة (خوش داشي) وآدابها ويتعرف الى اهل الحي ومكاناتهم الاجتماعية ، ويتعرفوا عليه من جهة اخرى وبالتالي كي يحفظ المدائح والدعابات التي سيرددها عندما (يكرس) يصبح مسحرا • ويختلف عدد المسحرين باختلاف تقسيم المدينة الى المطافات التي يحددها شيخ الكار • وعندما يتسع العمران في مكان ما ، يحق للاسرة المالكة لحق التسحير اخراج مسحر منها ليسد الفراغ وهكذا قسم حي الشاغور الى مطافات منها : القراونة والمزاز وزقاق الشيخ والصمادية والخضيرية والاصلاح وزقاق البرغل والشماعين • ونتيجة لاتساع المدينة تجمع المسحرون في اربع تجمعات لاربعة اقسام وهي :

أ ـ القسم الممتد منعونوس الى باب المصلى وتضم حوالي (٤٠) مسحرا •

ب ـ والقسم الممتد من باب المصلى حتى (بوابة الله) مدخل المدينة من الجنوب وتضم حوالي (٢٠) مسحرا •

ج ـ منطقة الاكراد والشيخ محيي الدين والصالحية والمهاجرين وتضم نحو (١٥) مسحرا •

د ـ منطقة الشاغور الجواني والبراني والقيمرية ، وتضم نحو (٣٠) مسحرا •

وكل مجموعة يجتمع مسحروها في مقهى الحي حتى السحور يتسامرون ويحتسون الشاي ويستعرضون دخلهم في (المساوية) .. ومن ثم ينطلق كل منهم الى مطافه ليباشر عمله •

وتعتري المسحرين مشاكل اكثر من ان تحصى اثناء قيامهم بعملهم منها المضحك ومنها المؤسف ، فكثيرا ما تعرض المسحر لمداعبات شبان مطافه وقد تكون هذه المداعبات فوق الاحتمال وتكون خارجة عن اللياقة ، وفي بعض الاحيان يركنون له في زاوية مظلمة وبأثواب غريبة كالاشباح ، وما ان يمر امامهم حتى يفاجئونه بالوثوب بها كالعفاريت ، وقد يتسلط على المسحر احد السوقة (الزعران) كما حدث في حارة الداور آغا في حي سوق ساروجا ، حيث تسلط عليه شاب يسيء اليه وذات مرة سكب عليه (سطل ماء) فوقع السطل على المسحر فكسرت طبلته ورضت يده وشج راسه .. وقد يلم بالمسحر كلب كلب كما أن المسحرين يعانون من دوريات الاستعمار التي كثيرا ما كان افرادها يشهرون في وجهه البنادق ، وبالتالي يعجز المسحر عن افهامهم حقيقة امره ، وكثيرا ما تكون الطبلة والعصا لغة التفاهم .. اما مداعبات الاطفال فتكاد لا تحصى ومضايقات الأطفال ومشاكساتهم قديمة الا انها تتسم بطابع البراءة وقد تتسم بقلة الادب والسوقية عندما يصفون المسحر بالجرذ وزوجه بالفار بقولهم :

ابو طبلة مرتو حبلة[٢١]

شو جابت ما جابت شي

جابت جردون بيمشي [٢٢]

والمسحر واقواله صنوان لا يفترقان ، كالظل في تلازمه ، ولمجرد ذكر المسحر امام الدمشقي تتداعى في راسه اقوال المسحرين : مدائحهم وتغنيهم برمضان حضهم على الكرم وقدحهم بالبخل واهله ودعاباتهم • واذا كانت (مناهل الصفا والبردة) النبع الذي تصدر عنه غالبية اقوال المسحرين معنى ومبنى ، فان المسحرين طوروا تلك المدائح واضافوا اليها من عندهم وصوروا بها وبالغوا في عرض الاحداث حينا ومسخوا جوانب اخرى حتى بدت تلك الاقوال كانها لا تمت الى النبع الذي صدرت عنه الا بصلة واهية ••

والمدائح بعد الافطار قليلة ، ذلك لان المسحر لا يكاد يشرع بالقرع على طبلته حتى يتراكض نحوه الاولاد يرافقونه في جولته ، صخبين فرحين طالبين دعابات تفرحهم وتنسي من صام منهم درجات المئذنة (الصيام لوقت الظهر عند الاطفال) مشقات صيامه ، ومن صام النهار كله جوعه وعطشه ، وكل مسحر يطلق على لسانه ما خطر في فكره ليرضي الاطفال والاولاد المتراكضين من حوله ليروي تشوقهم ،

وكيف لا وهم الذين يخبئون للمسحر اطايب الطعام ويؤثرونه على انفسهم ، ويسترضون اهلهم بغية المبالغة في اكرامه ، ومن ذلك :

عالفراير والربـــة

ربوا على الالب الدبلة[٢٣]

من جورهم بعت الطبلة

وصفيت حـــافي عريان

لما الفرايــر كـادوني

من بعد عزمي هانــوني

شلوطوا دقني بالنار [٢٤]

لما الجديـدة بجدتهـــا

لما العتيـقة البربارة[٢٥]

هلي صوتها ملاة الحـارة

لما تفرش فرشتها[٢٦]

هيه الوزير وانا السلطان[٢٧]

صار لي ثلاثين ليلة سهارى

وانا اتكعتل بالحارة[٢٨]

اولادكــم اروشونــي

حيطانكـم طرمخوني [٢٩]

بالرز بحليب غسلــوني

بالمعمـولات لا تنســوني

هاتو المخاتر وحاسبوني

كل سنة وانتم سالمين

واولادكــم سالمـين

احياكم الله الى كل عام

---

(٢١) مرتو : زوجه •

(٢٢) الجردون : الجرذ •

(٢٣) الالب : القلب ، الدبلة : الكرب •

(٢٤) شلوط : حرق ، الدقن الذقن •

(٢٥) العتيقة : القديمة •

(٢٦) هلي : التي • ملاة : ملء •

(٢٧) هية : هي •

(٢٨) تكعتل : وقع •

(٢٩) اروش :ضج ، طرمخوني : كناية عن اصطدامه بالجدران •

السحر بين النظرية والتطبيق

كلمة استهلالية :

لقد انتهى الباحثون الانتروبولوجيون في العصر الحديث ال قوام أية حضارة من الحضارات يرتكز على الدور الذي يلعبه كل من السحر والدين والعلم في مجتمع من المجتمعات والى أنه ليس هناك شعب من الشعوب بدائيا كان أم متحضرا قديما أم حديثا لم تلعب فيه هذه الجوانب الفكرية والروحية دورها في حياته وان اختلفت مستويات الحضارة بين الشعوب في الدور الذي يلعبه كل من هذه الجوانب في حياتها وسنقصر حديثنا في هذه الصفحات القليلة على الدور الذي لعبه وما زال يلعبه النظام السحري في حياة هذه الشعوب أو تلك .

فاذا تأملنا الممارسات السحرية العملية والمرافقات والحيثيان الطقوسية والتعويذية فسنجد أن السحر هو الحامل الثقافي لكل المناشط الانسانية وأنه المحور الجوهري الذي ينظم كل انواع التفاعلات والعلاقات التي تربط الفرد والمجتمع بالبيئة الاجتماعية والبيئة الطبيعية ويحدد أصول هذا التفاعل في جملة من القواعد المنظمة الدقيقة . ونظرا للمكانة الكبيرة التي حظي بها

السحر والساحر على السواء وادراكا للدور البارز الذي يلعبه السحر في تنميط الحياة المعيشية وتشكيل النماذج السلوكية المجتمعية فقد انبرى نفر من جهابذة العلماء والمفكرين وفي طليعتهم علماء الانتروبولوجيا الأقطاب مثل مالينوفسكي وبراون وريفرز للكشف على طبيعة هذا النظام السحري في محاولة علمية جادة لسبر أبعاد هذا النظام وتحديد أصوله ومبادئه ومرتكزاته ·

لقد اتبع مالينوفسكي منهجا انتروبولوجيا قوامه الملاحظة المنظمة والاقامة الطويلة بين الجماعة موضوع الدراسة مستخدما في ذلك لغتهم واسلوب حياتهم وفنهم السحري قبل أن يصل الى مرحلة التعميم التجريدي التي هي مطمع وغاية كل علم ، وقد توصل مالينوفسكي الى مجموعة من التعميمات من اهمها أن السحر لا ينفرد بمرحلة حضارية او ثقافية سواء كانت مرحلة حضارية بدائية أم متحضره بل على العكس من ذلك تماما اذ أن السحر هو أحد جوانب فكرية ثلاثة تشكل مجتمعة حياة الشعوب بدرجات مختلفة وأن هذه الجوانب الثلاثة السحر والدين والعلم تتفاعل في كل مرحلة حضارية مخالفا بذلك آراء الانتروبولوجي ريفرز الذي يؤكد على أن الحضارة هي نتاج الدور الذي يلعبه أحد هذه الجوانب الفكرية في الحياة الاجتماعية مشكلا بذلك الاسلوب الحياتي والنمط المعيشي للمجتمع بأسره ·

والنتيجة الثانية التي توصل اليها مالينوفسكي أن الانسان البدائي لم يتجه أولا الى الروح وانما كانت فكرة الروح أو القوى الخارقة للطبيعة ثمرة تجاربه العملية فقد كانت الضرورات الحياتية شغله الشاغل وهمه الأكبر الا أن خروج الظواهر الطبيعية عن المألوف أيقظ في نفسه دافع البحث عن القوى التي تتحكم في حركة هذه الظواهر · بحيث اصطبغ السلوك الانساني بصبغة عقلانية قوامها تجاربه الحياتية



وصبغة لاعقلانية اساسها فكرته عن القوى فوق الطبيعية ٠

ولما كانت النتائج والتعميمات التي توصل اليها مالينوفسكي حصيلة معايشة قائمة على الملاحظة المنظمة واستخلاصات لتطبيق المنهج الانتروبولوجي الوضيفي المحكم فاننا نثق بقيمة هذه الآراء والتعميمات وأنها تصدق ليس على المجتمعات التي درسها فحسب وانما على كل أو معظم المجتمعات البدائية والمتخلفة ٠ ومع ذلك فانه لايمكننا أن نقلل من قيمة الأبحاث التي قام بها ريفرز وعلماء الانتروبولوجيا الآخرون فقد ترك لنا ريفرز الوفرة الوافرة من المادة الاثنوجرافية عن حياة الشعوب والمجتمعات التي فتحت الباب أمام الباحثين والعلماء لتناولها بالتحليل والمقارنة ٠

ومن ناحية أخرى فليس هناك اختلاف فيما بين العلماء الانتروبولوجين في أن نشأة السحر ترتبط تاريخيا بتصور المعرفة الانسانية على استكناه حقيقة القوى التي تسير العالم وتتحكم في حركته ، ولذلك فقد تعددت هذه القوى وتنوعت الى حد التضارب والتناقض ٠ الا أن الروح التي يختلف شكلها وطبيعتها وماهيتها من جماعة اجتماعية الى أخرى كانت الأساس الأول وراء كل معتقد أو طقس أو عادة أو تعويذة ٠

علاقة السحر بالروح :

ويرتبط السحر بالأرواح باعتبارها نوعا من القوى أو هي القوى ذاتها التي تفعل ما يعجز البشر عن فعله في الطبيعة والانسان والحيوان ٠ فلقد كان الانسان البدائي يعتقد بوجود علاقة قوية بين أرواح الموتى والأحياء وكانت هذه الأرواح متسلطة على تفكيرهم الى حد تقديسها ، وقد ترتب على هذا بطبيعة الحال الاعتقاد في خلود الروح وصلتها القوية بالأحياء ٠ واذا كانت الأرواح تعيش منطلقة على هذا النحو وهي خافية عنهم بطبيعتها فانهم كانوا يتبعون كافة الوسائل في اتقاء شرها بخاصة اذا كانت من النوع الشرير المؤذي ٠ ويعتبر السحر الأداة الرئيسية الأولى التي يستطيع الانسان بواسطتها النجاة من هذه القوى غير المرئية وكان الانسان البدائي يعتقد أن الأرواح الشريرة تقتر عليه رزقه ولذلك يحرص أنه اذا حصل على نعمة أن لا يذكر عددها أو أن يسلك سلوكا معينا يحول نظر

الروح الشريرة عن هذا الرزق كي لا يتلف ولا اعتقد أن أحدا يجهل الطرق التي يعد بها الفلاحون محصولهم ، فالكيال الذي يحصي «صاعات» القمح يقول واحد،ماله، ثاني ٠٠ الخ وعندما يصل الى العدد سته يقول ستوك يا الله أما العد سبعة فهو سمحة وهكذا ، وكلنا يذكر عندما يعد الأطفال انفسهم أو عندما ينقسمون الى فريقين يقولون للطفل الذي يقوم بعملية العد «عد اجمال ابوك ولا تعدنا» ومع مرور الزمن غاب الأصل الاعتقادي وبقيت العادة ٠

والانسان يحاول جهده ابعاد الروح الشريرة عن طريق اخافة هذه الروح بما يمكن أن يسبب لها الفزع أو عن طريق تضليلها بكعب الأرنب وصليل الأجراس وفقء عين البعير ونحو ذلك ٠

مسكن الروح :

بالرغم من أنه ليس هنالك مكان محدد بالذات تستقر فيه الروح فقد تصور الفكر البدائي أن الروح ـ وأحيانا يطلق عليها الرب ـ تسكن في موضع معين من الجسم كالرأس أو الشعر ، ولهذا ربما يكون تطويل الشعر في خصال متدلية على الكتفين مظهرا للقوة على أساس حلول الروح أو الرب كما هو الحال في حكاية شمشون ودليلة ٠

ويعتقد سكان جزيرة سيرام وهي احدى جزر الهند الشرقية أنه اذا حلق شبابهم شعورهم فان الضعف والوهن ينتابهم اثر ذلك فالقوة السحرية تتركز في شعر الرأس بشكل خاص وفي باقي شعر الجسم وحلق الشعر يعني القضاء على القوة السحرية ٠ وليس غريبا أن يجد هذا الاعتقاد الذي ينتشر على نطاق واسع مكانا له في الحكايات الخرافية فكل ما يبدو في الحكاية الخرافية من خيال منطلق انما هو مرآة تنعكس عليها المعتقدات الحقيقية التي كان يعتقدها الناس الذين نشأت بينهم هذه الحكايات ٠

والشعر كمكمن للقوة من حيث أن الروح تحل فيه لا يقتصر على شعر الرأس المثبت بل ان حرق شعرة كفيل أن يولد قوة خارقة للطبيعة في الأشخاص ٠ أو أن حرق شعرة في حالة ضيق كفيل بازالة المتاعب والكروب واصناف العذاب المختلفة التي يتعرض لها شخص ما ٠

وهنالك حكايات خرافية كثيرة تؤكد أن الروح تسكن في البيض

والطيور وفي الأشجار وغيرها من جزئيات العالم الطبيعي ، وحتى تعيش الروح في مأمن فان الشخص ينزع الروح ويضعها في مكان أمين حتى اذا تعرض الفرد لأذى جسمي تكون روحه في مأمن وفي بعض قبائل استراليا يسلم كل فرد روحه لرئيس القبيلة على شكل عصا حيث تحزم هذه العصي التي تحتوي على الأرواح وتوضع في مكان أمين بعيدا عن الاعداء ، وهذا المكان له قدسية خاصة ، وكل ما حوله من نبات أو جماد أو حيوان له قدسية ، ولا يجوز تعذيب أو قتل من يلجأ الى هذا المكان ، ولهذا فقد نشأ نوع من السحر يتمكن فيه الساحر من القبض على هذه الارواح في اماكنها ٠

فالانسان البدائي اذن كان يحتفظ بفكرة مؤداها أن الروح منفصلة عن الجسم ورغم هذا الانفصال فان الاتصال بين الأرواح والأجسام قائم كما أن الأرواح تتصل ببعضها أيضا ٠ ويبدو أن العبريين كانوا يحتفظون منذ عصورهم التاريخية الأولى بفكرة أن الروح تعد شيئا منفصلا عن الجسد وأنه من الممكن عزلها عن جسم الانسان في أثناء حياته اما عن طريق أعمال السحر الشريرة أو بناء على رغبة الشخص نفسه الذي يسعى للاحتفاظ بها في مكان آخر لمدة تطول أو تقصر ٠

فالنقطة المحورية في الممارسات السحرية هي الروح كما هي مرتسمة في فكر الرجل البدائي وذهنه ونحن اذ ننظر الى طبيعة الروح وخصائصها وفاعليتها في نطاق الاطار التصوري للعقلية البدائية باعتبار أن فكرتههذه تمثل خلاصة ما تمخض عنه التفكير البدائي في العصور التاريخية الأولى أقول اذا نظرنا الى هذه الروح بعقلية انسان القرن العشرين فاننا نقع في أغلوطة السيكولوجيين التي نبه اليها دور كهايم في معرض رده على آراء « ليفي برول » الأولية عن الانسان البدائي ، وانه ليس من الحكمة أن نقوم فكرة الرجل البدائي عن الروح في ضوء معطياتنا الفكرية الراهنة التي قطعت أشواطا بعيدة في نموها وتقدمها وتطورها ٠

لقد كانت فكرة الانسان البدائي عن الروح بأنها الموجود الاعظم الذي يتميز بالقدرة والبقاء وأنها أشبه بموناد لا يبنز المنبث في المادة الكونية كلها على شكل ذرات ٠ والبعد الاتصالي للروح يشكل القاعدة الأساسية في العملية السحرية فالروح متصلة بكل شيء في الكينونة الكبرى

وأي تغير في طبيعة أوشكـــل جزء من أجزاء الكينونية يؤثر على الاجزاء الأخرى في حركة تعاطفيـة تأثيرية ، وهذا الفهم التصوري لطبيعة الروح وحركتها يعتبر المدخل الأساســي لبناء اطار تصوري للمبــــادىء الأساسية التي يقوم عليها السحر ٠

المبادىء الأساسية للسحر :

لقد وجه ريفرز الأنظار الى أن أية عملية تحليلية متفهمة ومتعمقة لمبادئ الفكر التي يقوم عليها السحر تكشف عن مبدأين اثنين ٠

ـ المبدأ الأول قانون التشابـــه أي أن الشبيه ينتج الشبيه أو أن المعلول يشبه علته ، ومن هذا القانون أي قانون التشابه يستنتج الساحر أن في استطاعته تحقيق الأهـــداف والنتائج التي يريدها عن طريـق محاكاتها أو تقليدها وعلى ذلك يمكننا أن نسمي التعاويذ والطلاسم التـــي تقوم على قانون التشابه بالسحـــر التشاكلي أو سحر المحاكاة ٠

ـ والمبدأ الثاني قانون الاتصال وهو تعبير عن أن الأشياء التي كانت متصلة بعضها ببعض في وقت مـــا تستمر في التأثير بعضها في بعض من بعيد بعد أن تنفصل وعلى أساس هذا المبدأ يستنتج الساحر أن كل ما يفعله لأي شيء سوف يؤثر تأثيرا مماثلا على الشخص الذي كان هـذا الشيء متصلا به في وقت من الأوقات سواء كان يؤلف جزءا أو لا يؤلف مثل الشعر والاظافر ٠

والساحر يعتقد بطريقة ضمنية أن المبادىء التي يستخدمها في ممارسـة فنونـــه هي ذاتهـــا التي تنظم عمليات الطبيعـــة الجامـــدة وغير الحيـــة وهـذا معناه أن قانـــوني السحر يصدقان على كل شيء وليس على السلوك الانساني فقط ٠ ويمكننا أن نفهم السحر التشاكلي والاتصالي بطريقة أجدى اذا أطلقنا عليهما تسمية شاملة وعامة مثل السحر التعاطفـي نظرا لأن الاثنين يفترضان امكـــان تأثير الأشياء بعضها في بعض عن بعد عن طريق نوع من التعاطف الخفي بحيث ينتقل ذلك التأثير من شيء لآخر من خلال ما يمكن تصوره على أنه نوع من الأثير الشفاف ٠

امثلة تطبيقية على قانوني السحر

السحر التشاكلي أو سحـــر المحاكاة : ـ يمكن أن نسمي المحاولات التي يقوم بها الناس لالحاق الأذى أو الدمار بأعدائهم عن طريق ايذاء أو تدمير صورهم من هذا النوع من السحر على أساس أن ما يصيـب الصورة من شر وايـــذاء يلحق

بصاحبها وأنه حين يتم تدمير الصورة يموت الأصل بالضرورة ، فاذا أراد الساحر أن يلحق أذى بشخص معين فيكفي أن يرسم صورته فاذا أراد أن يلحق به تشويها فانـــه يبقر عين الصورة واذا أراد أن يقضـي عليـــه نهائيا ويميته فانه يحطم صورتـــه تحطيما نهائيا ، وأحيانا يكتفـــي الساحر بأخذ جزء من خاصية أو من ممتلكات الشخص ليلحق به الأذى عن طريق ايذائه هذه الخاصيـــات أو الممتلكات ، ومثل هذه الأصـــول السحرية لا تزال جارية حتى يومنا هذا حيث يطلب الساحر شيئا معينا تعود ملكيته للشخص وتعرف هـذه الأشياء عند الفلاحين والحضر عـــلى السواء (بالعلق) ويفترض أن قراءة بعض التعاويذ والرقى على هذا الشيء كفيل بأن ينقل الأثر الســـيء الى صاحبه . واذا أراد الساحر أن يلحق أذى شديدا بالشخص فانه يدفن هذا الشيء في مقبرة دارسة .

والسحر التشاكلي أو سحـــر المحاكاة لا يقتصر على الايذاء والحاق الضرر وانما يستعمل للخير والنفع أيضا ، فالمرأة العاقر أو العقيم تتجه الى الساحر ليمارس هذا النوع من السحر حيث تضع في حجرها شكلا على هيئة عروس بينما يمسك هو رجل ديك الدجاج ويقوم بحركات تشبـــه حركة جماع الدجاج وتقـــوم هـــي بحركات الولادة في الوقت الذي يردد سؤالا واحدا بين الفينة والأخرى هل وضعت الطفل ؟ فتجيب نعم وينتشر الخبر وتأتي النسوة للتبريك رغم أن الطفل لم يولد . فالتظاهـــر بولادة الطفل طقس سحري محض يهـدف عن طريق المحاكاة أو التمثيـــل الى ضمان الولادة بالفعل بالمستقبل ولكن الساحر مع ذلك يؤكد على فاعلية هذه الطقوس بالصلاة وتقديم القرابين وفي بعض القبائل البدائية فان جميـــع أفراد القبيلة يمارسون عملية الجماع في موسم الزرع لينقل هذا الأثر الى المحصول فتغل مزروعاتهم .

ودون أن نستطـــرد في ذكـــر القصص التي تشير الى تطبيقات عملية لهذا النوع من السحر في الماضـــي والحاضر فيكفي أن يتصور القارىء الأعمال السحرية التي يقوم بهـــــا السحرة في القرية والمدينة ليجد امثلة كثيرة على هذا النوع من السحر أو ليستمع الى نصائـــح « الدايـــة » وتوجيهاتها للأم أثناء وبعد الوضـــع من حيث الاماكن التي ينبغي أن يحفظ فيهـا الطفـل ونـــوع المأكـــولات والمشروبات التي ينبغي أن يتناولهـا حتى يجد تطبيقات عملية غايـــة في

السذاجة والبساطة تصور نمط التفكير الذي كان الطابع المميز لشعوب بأسرها ·

أمثلة تطبيقية على السحر الاتصالي

قد يستغرب البعض اذا قلنا أن هذا النوع من السحر كان يمارس ولا يزال في معظم البلدان الأوروبية المتقدمة كبريطانيا والمانيا، ففي المانيا يعتبرون أسنان الفار أسنانا قوية ولذلك فهم يحرصون أن يلامس الفار أحد أسنان أطفالهم بعد خلعها لتبقى الأسنان قوية متينة طيلة الحياة · ولذلك فانهم يحرصون أن يضعوا أسنان أطفالهم في جحر فار ليمر عليها حتى ينقل هذا الأثر عن طريق ملامسة الفار لهذا السن الى أسنان الطفل وأحيانا يقولون « أيها الفار الصغير أيها الفار الكبير هذه اسناني القديمة خذاها وأعطياني بدلا منها سنا أخرى جديدة واذا كنت تستغرب ذلك ألم نقل نحن « أيها الشمس خذي سن الحمار وأعطيني سن الغزال » ؟ وبعض القبائل تحرص على أن لا توضع السن في حجارة الكوارتز التي تستعمل في الطقوس السحرية خوفا من أن يلحق اسنان الطفل أذى ·

وفي بعض القبائل يدفن الحبل السري للطفل الانثى اسفل الهاون الذي تدق فيه الحنطة لكي تصبح الفتاة خبازة ماهرة حين تكبر بينما يعلق الحبل السري للطفل الذكر فوق احدى الأشجار بالغابة لكي يصبح الطفل صيادا ، وفي الريف الأردني فان المرأة تحرص ان ترمي الحبل السري للطفل في الطريق لكي يعثر على النقود · واضح من هذه الامثلة كيف أن الانسان البدائي كان يعتقد بانتقال خصائص الأشياء عن طريق التلامس او الاتصال ·

السحر وقانون التداعي

بعد أن عرضنا للمحاولات الجادة التي بذلها العلماء والانتروبولوجيون والباحثون المتخصصون في الدراسات الانسانية لا بد لنا من التنويه من أن المحاولات التنظيرية للسحر كان رائدها استكناه طبيعة التفكير البدائي ورد اصول هذا التفكير الى مبدأ كوني أشمل دون أن يكون الانسان البدائي واعيا تماما بطبيعة هذه القوى التي يستعين بها في اجراءاته السحرية ولذلك فقد كرس هؤلاء العلماء جهودهم المتلاحقة لتحليل العمليات السحرية بكل أبعادها واجراءاتها وحيثياتها للخروج بتعميمات تصلح أن تكون مبادىء تفسيرية للعمل

السحري ولربما يكون الانســــان البدائي قد فهم قانـــون الاقتران أو قانون التداعي بصورة ضمنيـــة وفي غاية البساطة والسذاجة الا أنه لم يفهم عمله السحري على أنه نسق للقانون الطبيعي أي تقريرا للقواعد التي تتحكم في تتابع الأحداث مشكلا بذلك الاطار التصوري للسحـــر النظري ، وهو كذلك أوهن من أن يربط بين علة ومعلول أو بين سبب ونتيجة

فالرجل البدائي أوحتى المتحضر حين يمارس السحـــر يمارســـه لمقتضيات عملية تتسم بالصبغـــة النفعية المحضة قوامها استمـــرار الوجود والرغبة في البقاء ، وقد اتخذ من الصدفـــة واتفاق أو اقتـــران الحوادث قانونا لدرء خطر أو جلب منفعة بحيث أصبح قانون الاقتران أداته الترشيدية في الاقدام على فعل معين والاحجام عن فعل آخر ٠ وهو في كل ذلك يبتغي مصلحته الخاصة التي تتركز حول استمرارية الوجود ٠ وقد قادته تجاربه الخاصة والمتنوعة الى تصور نوع من القوى تنظم هـــذه الحوادث ٠

ولقد لعبت الظواهر غير المألوفة أو الخارقة للطبيعة دورا كبيرا في تدعيم هذا التصور ونحن في هـــذا نتفق مع مالينوفسكي في أن الانسان البدائي لم يتجه الى الأرواح في البداية بل كان منشغلا كل الانشغال بحياته المعاشية من صيد وقنص وفلاحـــة وبأحداث القبائل وأعيادها الى أن قادة اهتمامه بمكونات حياته المعيشية الى القوى والأرواح التي تؤثر على هذه المكونات الحياتية ان خيرا أو شرا ، ومن هنا كانت نشأة النظام السحري وتتفق آراء مالينوفسكي هذه مـــع الأصول التنظيرية لنمو الفكر البشري التي تتخذ من المطالب البيولوجيـــة والوضعية الاجتماعية الجذور الأولى للنمو الفكري والتطور الثقافي ٠

تصنيف الأعمال السحرية :

تصنف الأعمال السحرية عـــلى اسس ومحكات مختلفة ويمكن اجمال هذه الأسس والمحكات في الموضوعات والأبعاد التالية ٠

١ البعد النفعي فاذا قصد بـــه المنفعة الشخصية البحتة سمـــي بالسحر الخاص واذا قصد به مصلحة الكل وخير المجموع سمي بالسحـــر العام ٠

٢ البعد الوظيفي : ووظيفة السحر يمكن أن تستخدم في مسألتين متناقضتين شريرة وخيرة أو سحر ضار وسحر نافع • فالسحر الضار يمارس بقصد الحاق الأذى بالآخرين او على الأقل ايذاء شخص ما من أجل شخص آخر أما السحر الخير أو النافع فانه يخدم أهدافا أخرى تعود بالنفع على الفرد وعلى المجتمع ككل ولا تتعارض مع قيم ذلك المجتمع وهذا النوع من السحر له فروع كثيرة متخصصة تتنوع تبعا لتنوع الحياة الاقتصادية على وجه الخصوص فهناك سحر خاص بقبض الحيوان وسحر خاص بصيد السمك أو بفلاحة البساتين أو بصنع الفخار أو استنبات النبات أو صنع المطر وان يكن هناك فروع أخرى تتعلق بغير ذلك من أنواع النشاط الانساني مثل السحر الخاص بالحب •

وأهم انواع السحر على وجه العموم نوعان • السحر الخاص بالتنبؤ بالمستقبل أو التنبؤ بالغيب والسحر الخاص بالعلاج أو التداوي أو التطبيب وترجع أهميتهما الى الدور الذي يلعبه كل منهما في حياة الانسان والمجتمع من ناحية كما أن ممارستهما تحتاج الى كثير من التخصص والدراية والمهارة • وسنتناول جانبا واحدا من السحر وهو النوع الثاني الخاص بالعلاج والتطبيب •

السحر التطبيبي او العلاجي :

يستند السحر التطبيبي أو العلاجي على فكرة مؤداها أن أعضاء الكائن الحي تستجيب للكلمات التي يرددها الطبيب أو الساحر كما يستجيب الانسان لاوامر تصدر اليه وعماد هذا كله أن أي عضو من أعضاء الجسم يمتلك روحا أو خاصية حيوية تمكنه من فهم وتنفيذ ما يطلب منه وبراعة المطبب وقدرته تبدو عندما يحرك هذه الأعضاء وتصبح مطاوعة لتنفيذ أوامره وهو في ذلك يستعين ببعض الرقى والتعاويذ التي تقوم على الفكرة الساذجة وهي « فعالية الكلمة » •

وتكشف محتويات الرقى والتعاويذ على تداع بسيط للأفكار السحرية يسمح لنا بأن نفترض وجود أصل مستقل لها في الاماكن المختلفة والازمان المتفرقة • وهذا مثال على الاسلوب الذي تستخدم فيه

الرقى والتعاويذ في التطبيب والمداواة .

« انضم أيها النخاع الى النخاع وانضم أيها الطرف الى الطرف ولينم ثانية مافقدته من لحم وعظم . انضم أيها النخاع الى النخاع وانضم أيها الجلد الى الجلد الأعلى » .

والرقى والتعاويذ ليست مقصورة على الشعوب البدائية فحسب بل هي منتشرة في بلاد متقدمة كبريطانيا بحيث تدخل تحت باب الشعر السحري ففي الريف الانجليزي لا يزالون يستعملون الرقى والتعاويذ في معالجة بعض الحوادث التي تسبب آلاما للجسم . فاذا أراد اخراج شوكة من الجسم القيت الرقوة أو التعويذة التاليه

« سعيد هو المسيح الذي ولد وقد كلل بالشوك وخرم جلده لكي يتعمق السم ولكن جراحه الخمسة فيما قالوا التأمت قبل أن يموت فليتعمق الشفاء ويخرج الشوك وسعيد هو المسيح الذي ولد » .

كذلك فان المطبب الساحر يستخدم النبات في التطبيب عن طريق ذكر أسم النبتة ودون استعمالها المادي . ويرافق المراسم السحرية كذلك هذه المنظومات التي تلقى في مناسبات احتساء الخمر لشجر التفاح .

« في صحتك يا شجرة التفاح الطيبة حتى تحمل أغصانك ما يملأ الجيوب والقبعات والمكاييل والجونات .

وكلمة ختامية فان السحر يضرب بجذوره البعيدة في المعتقدات الخرافية فهو ليس الا الممارسة العينية الظاهرة لمعتقد معين وهو هنا الروح الخفية أو القوى غير المرئية التي تتحكم في كل الظواهر الطبيعية . وقد نستنتج من خلال الممارسات العملية التي عانى منها الانسان البدائي ولا يزال يعاني منها الانسان المتخلف أن خروج الظواهر الكونية عما الفه الانسان وشاهده في هذا الكون الفسيح المترامي كانت الميكانيزمات الأساسية للفكر البدائي في استنباطاته واستنتاجاته ومقارناته وتاملاته .

وفي تصوري أن الخروج عن المألوف كان أساس ذلك الوضع العجيب الذي حظى به الناس منذ القديم ولا تزال تتشبث ببعض رواسبها وبقاياها حتى هذه المرحلة الحضارية المتقدمة من نمو الفكر البشري وتطوره .

الحكاية الشعبية المرحة

عمر الساريسي

يجد الباحث في الحكاية الشعبية السائرة المتداولة على السنة الناس في المجتمعات غربي النهر وشرقيه ، يجد انها تتباين في اهدافها وطبيعتها حتى يمكن ان تقسم الى انواع عدة منها الخرافي ، وشبه الواقعي ، وحكايات المعتقدات ، وحكايات الشطار ، وحكايات التجارب الشخصية ، والحكاية المرحة وحكاية الحيوان .

ولكل نوع من هذه الانواع يمكن أن ينعقد بحث مستقل ، لكننا نقصر بحثنا في هذا العدد على الحكاية المرحة .

تعريفها :

والحكاية المرحة في « الاحدوثة القصيرة المنثورة غالبا ، والتي تحكي نادرة او سلسلة من النوادر المسلية وتنتهي الى موقف فكه مرح[١]، ويأخذ الناس موضوعاتها من الحياة اليومية، لذلك تندر فيها الخوارق ، وان ظهرت في احيان قليلة فمن اجل خلق قاعدة يقوم عليها الموقف المرح الذي تسعى اليه هذه الحكايات ، والحدث فيها ليس طويلا ، بل قد يقصر حتى يقتصر على اجابة لاذعة أو نكتة طريفة ، أو رد سريع الخاطر جمع بين الفكاهة والنادرة[٢] .

---

(١) الكسندر كراب ، علم الفولكلور ، ترجمة احمد رشدي صالح ، صفحة ٩٤ .

(٢) المصدر السابق ، الصفحة ٩٥

وقد تقوم بين الناس على تسجيل مواقف تمتاز بعضها عن بعض بالمفارقات المضحكة أو الاخطاء التي قد تصل الى الحماقات ، وبعضها تظهر فيه الاكاذيب والمبالغات المفرطة ، كما سيتضح هنا ، وبعضها تلعب فيه الحيل العابا مضحكة ، وبعضها يقوم على بلادة بعض افراد في المجتمع أو غبائهم (٣) ٠

وظيفتها :

واذا عرض باحث لوظائف الحكاية الشعبية بوجه عام لاحظ أن منها التسلية وازجاء الفراغ ، ولكن الحكاية المرحة بالذات تضيف الى التسلية عنصر الامتاع وادخال السرور الى قلوب السامعين والرواة ، وقد تعتبر هذه الوظيفة نفسية من حيث انها تنفس عما يريد جمهور الحكاية ان يقوله بصراحة ولا يستطيع ذلك ، فيجده فيما يسمعه من الحكاية التي تسخر من غفلات بعض الناس في المجتمع سواء منها النساء أو الرجال أو يرتاح حينما توجه الحكاية نقدا لبعض فئات المجتمع التي لم ترضه تصرفاتها ٠

وقد يدخل العبث والمجون في الحكاية من باب التسلية والامتاع ، فتسمع بعض الحكايات التي تسف اسفافا ملحوظا في موضوعات جنسية تسجلها على بعض الافراد المنحرفين في المجتمع ، ونحن لا نقول بان مجتمعنا قد يخلو من بعض هذه الفلتات الانحرافية ، فلها اسباب ذاتية واجتماعية وبيئية كثيرة ، لذلك فان الباحث في الحكاية لا بد وان يقع على الامثلة الكثيرة منها ٠

وما اشبه الحكاية المرحة بالرسم الهزلي الساخر (الكاريكاتور) لانها اذا لاحظت على أحد افراد المجتمع ملاحظة تستحق التعليق والضحك فانها تكبرها مرات عديدة حتى تطغى على اصل صورة صاحبها ،فلا يظهر له امام الناس الا هذه النقيصة ، انها تبالغ في رسمها لبعض الانماط الاجتماعية وتستعمل الخيال في اتقان رسم اخطائهم او غفلاتهم ٠

امثلة حول النساء :

والا فمن يصدق أن الأبوين ، حينما أرادا أن يزورا ابنتهما المتزوجة في قرية اخرى لم يجدا مايحملان لها من الهدايا الا بوابة البيت والطابون !!! والحكاية اذا ارادت أن تسخر فانها لا تنتهي الا وقد سخرت الفكرة الساخرة التي تريد ابرازها عن طريق

(٣) الدكتور عبد الحميد يونس الحكاية الشعبية من سلسلة المكتبة الثقافية رقم ٢٠٠ ـ ١٩٦٨ ، الصفحة ٧٧ ٠

عرض اكثر من صورة او تطبيق لها ٠ فالأبوان في الحكاية السابقة (عيشة وام عيشة) حينما وصلا الى بيت ابنتهما « سرحت » الابنة مع زوجها الى الحصاد واوصتهما بالطفل النائم ، حينئذ قامت أمها اليه حينما اخذ يبكي فسخنت له الأم الماء الى درجة الغليان وحممته الحمام الأخير !! وكذلك فعلت بالدجاجات حينما ظهرت عليهن قلة النظافة !

وعن (حظ بعضهم مع النساء) ذكرت حكاية اخرى ان رجلا قد تزوج بخمسة من النساء على التوالي ، وكلهن اما مغفلة تلقي بكل ما عندها من الدقيق في البئر لتعجنه مرة واحدة او تعطي كل ما جمع في البيت من المؤونة لشهر رمضان تعطيه لرجل يمر بالبيت لان اسمه رمضان ! وهكذا تفعل الثانية والثالثة حتى الخامسة هذه هي المبالغة في رسم بعض الصور الاجتماعية ٠

وفي حكاية اخرى ، تتضقايق امرأة من اسمها ، الدردبه ، فتبيع العجل الذي يعتمد عليه زوجها في فلاحة الأرض لتشتري من تاجر يعبر بالحي اسما آخر «أحسن» يختاره لها ومن يدري فلعل الحكاية تنتقد من سماها بهذه الاسماء المستكرهة على الاذن وعلى اللسان : الدردبة جلوكم[٤] ذلك لان زوجها حينما يعود الى البيت ويقف على ما حدث، يسارع الى الخروج منه قائلا لها : سأعود اليك أن لقيت في الناس امثالا لك ! وعطف الحكاية على هؤلاء النسوة يظهر في أن هذا الزوج يجد اكثر منها غفلة وسذاجة !

ويختفي تحت غشاء الاضحاك الذي تبدو عليه الحكاية المرحة لون من النقد الاجتماعي لا بد ان يكون الموجه لمن كانت على حسابهم صور هذه الحكايات ، فالامثلة السابقة في حقيقتها انتقادات وتوجيهات للمرأة للوصول بها الى الكمال والخير المنشود في بيتها ومع وزجها وفي كل ما تصدر عنه من افعال ٠

وحول الرجال :

وليست هذه الامور موجهة فقط للنساء ٠ فقد يبدو أننا بدأنا بها وشهرنا بها ، لكن الحكاية لم تعف الرجال من النقد الساخر اللاذع ٠

ولتكريس هذه الصورة الساخرة فانها تعرضهم علينا على قدر كبير من السذاجة ، وفي بيوتهم ايضا ، لتتضح المقابلة التي تنشدها احيانا في اظهار ان بعض الازواج قد

(٤) المرحوم فايز علي الغول ، الدنيا حكايات ، الصفحة ١٥٦

يكونون مغفلين والزوجات ذكيات ، ولقد استمعت الى حكاية (ابو سليمان) في منطقة القدس ، وهي تشبه حكاية (ابو كاترينا) مما جمعه المرحوم فايز الغول .

يحادث الرجل الأول في الأولى (حرذونا) على صخرة ويستشيره :

– يا ابا سليمان هل احصد لك هذا الحقل الذي استحصد زرعه ؟

فينفض الحرذون برأسه ، وهي حركته الطبيعية . فيأخذ الرجل في الحصاد ثم يرفع رأسه ويسأل ابا سليمان :

– يا أبا سليمان كم تعطيني من اجر ؟ هل تعطيني على اليوم جنيهين ؟

فينفض الحرذون برأسه ، فيتم الرجل الحصاد !

وكذلك يحادث الرجل الثاني . ابو كاترينا ، يحادث البومة واسمها هنا أم سليمان(٥) .

– يا ام سليمان : هل تشترين ثورنا ؟

– (فتميل البومة برأسها)

– بكم تشترينه ، بجنيهين ذهبا ؟

– (فتميل البومة برأسها)

ثم يعود الى بيته ويحضر ثوره ويسأل البومة

– هل اربطه بهذه الشجرة ؟

(فتميل البومة برأسها ، فيرى في هذه الحركة موافقة على عرضه !

وفي كلتا الحكايتين تسمعة زوجته فتهزأ من عقليته . لكن المستغرب فيهما ان هذين الرجلين قد اطلعتهما الحكايتان على كنزين : الاول في جحر نزل فيه الحرذون ، والثاني تحت الشجرة التي ربط بها الثور ! هل هو توقيف مقصود من الحكاية بوعي وادراك ؟ حينئذ تتدخل فيها عناصر الحكاية الخرافية التي تدخل كما تقدم لتحافظ على اطار الفكاهة في الحكاية .

ثم ان الرجلين لم يأخذا من الكنزين الا جنيهين ! وحينما علمت زوجتاهما بالكنزين ، خططتا لسرقتهما في الليل ! وهذه اشارة الى

---

(٥) في حكاية (ابو كاترينا) نجد أن الحرذون يلقب بابي سليمان ، وفي حكاية (الدردبه) نجد ان البوم تلقب بام سليمان . وقد حاولت ان اصل من رواة هذه الحكايات الى اصل اطلاق هذه الاسماء فلم اصل الى شيء ، ولا يعقل الا أن يكون بين التسميتين ترابط تاريخي له علاقة بقرب ما بين الروايتين .

أن الواقعية في الحياة هي التي تطحن المثاليـــة . لان الرجلين صرخـــا واعترضا على سلب الكنز ، وهدد بابلاغ الحكومة عنه ، وطالبا بأخذ الاجرة والثمن فقط منهما ، فما كان من الأولى الا أن حاولت ان تثبـــت للشرطة ان زوجها يهذي لئلا يصدقوا بوجود الكنز ، فرمت في فناء البيت (مقادم وكرشات) في منتصف الليل واطلعته عليها بعد أن ايقظته من النوم مباشرة، وحينما قال بذلك في الصباح لم تصدقه الشرطة وأخلي سبيـــل زوجته !

وثمة رجل ثالث تنطقه الحكاية بحديث تفهمه الحيوانات . وذلـك لاظهار سذاجته . ففي حكاية (فهز الكلب ذيله) التي استمعت اليها من بعض أهالي منطقة القدس، يذبح احد الاخوين ، الجمل الذي يؤمن قوت العيال ثم يدعو كلاب الحي لتنهش من لحمه ، ويطلب منها أن تأكل من اللحم اليوم وتحضر الثمن يـــوم الاثنين ، وكان يخاطب أكبر الكلاب حجمـــا فيهز الكلب ذيله ،كما يفعل على عادته فيفهم من هذه الحركة أن الكلب موافق ويدعو الكلاب يوم الاثنين ، فلا يجد معها شيئا ، فيطردها .

وقد تكرر منه هذا الموقف فكان يصعد شجرة خروب ويأخذ في رمي قرون الخروب للغنم التي يرعـــاها وهو يقول

كلن قرين قرين[٦]

وخلين لخوي [٧] حسن قرين

واللي ما بتخلي[٨] اذبحها

وحينما نزل الى الأرض لم يجد من قرون الخروب الا واحدا قد استقر على رأس تيس الغنم فذبحها جميعا الا تيس الغنم !

ومن اجل ان تتم الحكاية فترة الاضحاك والامتاع التي انشئت مـــن اجلها ، تجري على يد هذا الساذج بعض الافعال التي تدل على منتهـــى السذاجة ولكنها تؤتي ثمارها المطلوبة حيث يحمد له الناس في النهاية هذه الافعال ، لم يحمل من اثاث بيـــت منهوب الا حجر الرحى! ولم يقبل الا أن ينام على اغصان شجرة ! في الليـــل استراح تحت الشجرة مســـافرون ، ولم يخطر ببال هذا الساذج ان يتبول الا في تلك الفترة فأحس المسافرون وكأن مطرا يسقط عليهم ثم خطـــر بباله أن يطحن لانه قد جاع ، وحينما سمع المسافرون ذلك . وقد كانوا خطرا عليه وعلى اخيه ولوا هاربين من غضب ورعد ينزل عليهم من السماء !

---

(٦) قرنا قرنا .

(٧) اتركن لاخي

(٨) لا تبقي .

قبول الواقع :

هل تكافىء الحكاية هؤلاء السذج بتسديد افعالهم وتصويب آرائهم لتدعونا لتقلبهم وتقبل واقعهم والرضى به والسعادة فيه ، وتكون في النهاية دعوة الى القبول بالقدر بكل ما فيه ! من اجل اشاعة السعادة النفسية في الحياة باعتبارها من أهم اهداف هذه الحكاية ؟ لا استبعد ذلك ابدا ، لانني الاحظه في حكاية اخرى توضحه بشكل أبرز .

ففي حكاية (محمد المجنون) نلتقي برجل يتخذ سيفا من خشب ويكتب عليه « قاتل ميه [8] والف » و «مطلق ميه لوجه الله» ، ومع ذلك يشتهر صيته فيدعوه الملك اليه ، ويدفعه للتخلص من ضبع ازعجه وازعج الناس من حوله فيندفع بعد ان يأخذ سيف الملك ، ويقتل الضبع بطريقة عجيبة !يقع السيف من يد هذا الرجل التي جعلت ترتجف حينما أبصرت بالحيوان في الليل ، ولكنه لا يقع الا على رقبة الضبع فيرديه قتيلا ! .

هذه واحدة ، امـا الاخرى فأدهى وأمر ، يرسله الملك وراء شراذمة من اللصوص الذين يقطعون الطرق فيطلب فرس الملك بعد سيفه ، ويطلب الى زوجته ان تربطه على الفرس في الليل بالحبال !وفي الصباح حينما بدأت المطاردة جعل يصيح باعلى صوته (امسكوني لقع[9]) فيشتد زعيم اللصوص في الهرب ظانا ان خصمه يقول : «امسكوا لي الاقرع» وهذا اللص الكبير اقرع !

وتمعن الحكاية في رسم هذه الصورة الكاريكاتورية فيصدم بشجرة فتنخلع امامه من شدة الصدمة فتقع في يده ، ولكنها في نظر اللصوص من اخطر مظاهر القوة ، وفي النهاية تكون له الغلبة عليهم !

انها صورة دونكيشوتية رائعة ، وهي تذكرنا بما يحكى عن ابي حية النميري الذي عرف التراث العربي بقول الشعر وبالجبن (والفشر) ، وكان كثيرا ما يفتخر بسيفه الذي يسميه لعاب المنية مع انه مصنوع من الخشب ! ويروي ان زوجته قو طلبت اليه ان يرى ماذا دخل المطبخ من صوت كأنه صوت لص يتخفى ، فما جرؤ على دخول المطبخ ، وظل يهدد « بسيف المنية » يهزه في يده وهو خارج المطبخ ، ولما تبين له ان ما فيه

(٩) لئلا اقع .

كلب قال : الحمد لله الذي مسخك كلبا وكفانا حربا (١٠) .

مصير السذاجة :

ومع أن الحكاية تتسامح مع هؤلاء السذج الا انها لا تغفر ، في الوقت نفسه ، الا يستغل امرؤ فرصة سنحت له ، لا تغفر له ذلك وتعاقبه اشد عقاب ، ففي حكاية (الباحث عن سعده(١١)) يكون مصير مغفل الموت بين فكي الأسد لانه يرفض عروضا كثيرة تمكنه من الغنى والجاه والجمال !

ولا تغفر الحكاية لاناس سذج لا يعرفون كيف يتكيفون مع المواقف المتجددة ، ولا يدركون ان مايناسب ظرفا لا يناسب آخر ، ففي حكاية (يارب تكبر وتتدور) التي حدثني بها شاب من مخيم الكرامة ، تطالب زوجة من زوجها ان يذهب ليحضر لها دواء اسمه « سم » ويظل يكرر : سم سم لئلا ينسى فيمر برجل يأكل ، فيقول له سم ! فيلطمه الرجل لانه يفهم منه دعوة له بالشر والسم في الطعام ويقول له بل قل : « صحة وعافية » ويظل يهذي بها الى أن مر على كلب يلتهم خبز رجل فيلطمه هذا على هذا القول ويطلب اليه ان يقول كلاما اخر مناسبا له ، لكنه يقوله في مكان ثالث غير مناسب بل مثير للغيظ وهكذا حتى يتكرر منه هذا الجمود وعدم التكيف .

نقد المجتمع :

وتحت هذا الغشاء الرقيق من الامتاع والاضحاك نبصر بحكايات اخرى توجه نقدا لبعض فئات المجتمع يمثلها بعض ابناء هذه الفئات والطبقات الذين تسخر لنا الحكاية منهم . ففي حكاية الشيخ عصفور نقد لفئات الدجالين من الذين يكتبون الحجب ويقرأون الكف ويضربون في الرمل : انها تكشف لنا هذا الرجل قبل ان يقعد لهذه الأعمال : رجل كسول قتلته البطالة فدفعته زوجته لمزاولة هذه الاعمال ، وهم وان ساعدتهم الحظوظ احيانا ، كما أوصلت هذا الشيخ الى بلاط الملك ، الا انهم لا يستقرون على صخرة ثابتة من القناعة النفسية بان اعمالهم صحيحة ويستطيعون ان يدافعوا عنها لذلك هرب الشيخ عصفور من قصر الملك لئلا ينكشف أمره .

وتوجه الحكاية نقدها الاجتماعي

---

(١٠) راجع كتاب الحماسة (ابي تمام) شرح المرزوقي تحقيق عبد السلام هارون ، الصفحة ١٣١٤ .

(١١) فايز الغول الدنيا حكايات .

المبطن لبعض المتعالمين في الدين ممن يدعون فهم كل شيء والاجابة على كل شيء ، فتدخل على عالم صعلوكا يتحداه (كما ورد في حكاية عالم وصعلوك) ويرد على الغازه واشاراته بيديه باشارات مثلها او اكثر منها ، فيفهم من ذلك العالم اموراعلمية دينية منها رد واجابة ناجحة على ما كان يدور في ذهنه من الغاز ، اكن الصعلوك كان يفسرها تفسيرات حسية لا علاقة لها بالعلم ، فمثلا اشار العالم للشاب باصبعه الى الأعلى فأشار له باصبعه الى الأسفل ، فقال العالم يشرح ذلك قلت له ان الله رفع السماء بغير عمد فقال لي : وبسط الأرض ايضا٠اما الشاب فقال للناس خارج الغرفة : قال لي شيخكم ٠ سأرفعك الى السماء فقلت اما انا فسأنزلك الى بطن الأرض !

وربما كان في هذه الحكاية شيء من مرارة النقد على رجال الدين ولكن لا يشمل منهم الا غير الواضحين في تعليمهم وتنفيعهم للناس ، ثم انه ليس موجها من قبل جميع الناس ، فمن بين الذين قابلوا هذا العالم لم ينتقده الا هذا الشاب !

وتوجه الحكاية كذلك نقدها الى بعض فئات الفقراء الذين تظهر عليهم سيماء الفكر ، ولكنهم يبطنون الحقد على الناس واضمار الايقاع بهم فحكاية (ثلاثة من العميان) فيها يعطف احد الناس على أعمى فيعطيه دينارا ذهبا، فيتحسس الاعمى الدينار ويطلب منه مثله ان كان معه ليطلع عليه فيعطيه، فيدعي الاعمى ان الدينارين له ، ويصرخ بذلك ، ومن يصدق ان الاعمى قد أخذ من البصير شيئا ؟! وتشتد الحكاية في معاقبة هذا الاعمى على يد هذا البصير بسبب مثل هذه الافعال ٠ وقد حفلت حكاية (اثنان من العمال) بالسخرية المرة بالعاملين اللذين لم يخلصا في عملهما ٠

والى فئة اخرى وجدت حكاية (ثلاثة من العبيد) توجه النقد الشديد لبعض هؤلاء الملونين في عدم فهمهم لطبائع الأشياء وفي شدة مغالاتهم في عنادهم بعضهم لبعض ، وفي شدة بلادتهم وعجزهم عن القيام بما يجب من النشاطات اليدوية البسيطة ٠ حتى ان هذه الحكاية تروي ان طعامهم المكون من اللحم ومن الارز اكله غيرهم ونهبت عظامه الكلاب وهم جالسون حوله لانهم اتفقوا ان اول من يتفوه ولو بكلمة فعليه عقاب اغلاق الباب ، ولم يتكلم فعلا احد ولم يغلق الباب فضاع طعامهم ونهشت وجوههم الكلاب ! انها روايات تذكر بتنابلة السلطان في العجز والبلادة ٠

نوادر الاشخاص

يبقى ان نستعرض في حكاياتنا المرحة ما فيها من نوادر تنسب الى اشخاص باسمائهم[١٢] ، عرفوا باسماء لها نصيب من الواقع التاريخي ، واقصد شخصية جحا وشخصية ابي النواس (بتشديد الواو المفتوحة) ٠

جحا :

ففي مجتمعنا حكايات كثيرة جدا عن جحا بحيث لو جمعت لقامت عليها دراسة قائمة برأسها ولكن صاحب هذا الاسم موجودة حكاياته في اغلب اقطار الوطن العربي بل وفي تراث الحكايات المرحة العالمي[١٣] لذلك لم أر ما يغري بالحديث الذكي اكثر من انه يمثل الاحتيال الذكي والواقعية الصريحة ، وعدم الاحتفال بالمثل والقيم ، ويبحث عن المنفعة المادية وربما الجنسية ٠

ابو النواس :

أما ابو النواس ففي مجتمعنا من يتحدث عنه كثيرا باعتباره نديما لهرون الرشيد ٠ وحكاياته معه لم تزد عن اجابات ذكية تدل على سرعة الخاطر ، او حكم في الحياة وفي الوجود تخلب ، اللب اشارات ذكية لبعض وقائع الحال ٠

فحينما يسأله هرون الرشيد ـ في الحكايات الكثيرة التي تحمل اسمه ـ فيم يفكر يجيب : في الغيوم التي بها يظهر ان الغرب لم ينته من ارسال الغيوم لان الشرق لم يمتلىء بها ! اننا قد نفهم من هذا انه يفكر في الوجود بأسره ٠

وحينما يسأله عن سبب تأخره في النوم يرد : انهم اولاد الحرام الذين لا ينامون ولا يدعون الناس ينامون ! والعبارة فيها تورية تحتمل معنيين احدهما حقيقي والآخر قد لا يبتعد عن شخص الخليفة ، وهكذا الى أن يوفر للخليفة الاضحاك والامتاع وينجو عدة مرات من ضربات سيفه ٠

---

(١٢) اما النوادر المطلقة والتي تضرب امثلة للعبرة والسخرية الاجتماعية ، وكثيرا ما توقعها الحكاية على السنة الحيوان ، وتكون في غاية الاختصار ، فهي عندنا قليلة الى حد ما ٠ واكتفي ان امثل عليها بنادرة القرقسة (وهي طائر صغير الحجم جميل الشكل) وابو سعد (وهو طائر كاسر يقرب في شكله من الصقر) : ـ « حفرت القرقسة في الأرض ثم قالت : حفرت فتكحلوا عيني وتخضبوا بالحنا كفاي ٠ ولما راى ذلك ابو سعد ، حفر في الأرض ايضا لكنه قال : حفرت فتقلعوا عيني وتقطعوا رجلي » ٠ وواضح انها تضرب مثالا لما يصلح للبعض ولا يصلح للبعض الآخر ٠

(١٣) راجع مجلة الفنون الشعبية القاهرية العدد الحادي عشر ٠

الموت

فريد كمال أحمد

من الظواهر الاجتماعية والطبيعية في نفس الوقت ظاهرة الموت التي يعايشها الانسان في مختلف مراحل حياته ، ويقف متأملا حيال ذلك اللغز الذي يشوبه الغموض .

والموت لغز من ألغاز الحياة التي أفرد لها أدب الشعب اهتمامات خاصة وأثار حولها قضايا ومفاهيم مختلفة أبعدت الشك الذي يعتري نفس الانسان حول تلك القضية الى حين .

«فقد لخصت الجماهير في أدبها ، تاريخها ، وتجارب حياتها فهو السجل الكبير الذي يرينا موقفهم من مشاكل اليحاة والطبيعة،وفي تكوينهم الفكري والعاطفي ، جانب ضخم يطالعنا في كل قرية ، وكل فلاح ذلك هو المعتقد يخالفون به العلم الحديث وتعاليم الاسلام والمسيحية »(١) .

والالغاز عادة التي يصعب تحديد مفهوم معين لتوضيحها تحاك حولها أقاصيص عدة ،وتفسر تفسيرات مختلفة وتعالج قضاياها باطروحات مختلفة .

والموت ظاهرة تستأثر باهتمام الانسان الباحث عن الحقيقة او الذي لن يهدأ له بال الا باستجلاء الغموض الذي يشوبها ، وبارضاء نفسه بتفاسير منطقية في بعض الاحيان وغيبية في بعضها الآخر .

ولكون الموت يمثل تحولا جذريا في فكر وحياة الانسان ، فقد حظي بمادة وافرة من أدب الشعب وحظي

(١) رشدي صالح ، أحمد ـ الادب الشعبي ص ١٢١ ، ١٩٧١ الطبعة الثالثة .



باهتمامات كبيرة من جانب المعتقد الشعبي الذي حاول بشتى الوسائل ايجاد التفاسير المنطقية لذلك اللغز ولذلك العالم وعالم الامــوات ، أو العالم الآخر ·

ومع كل هذا يبقى الموت لغزا من الغاز الكون لعدم امتلاك الانســان لاشياء ملموسة تفسر تلك الظاهرة « ولكن من طبائع الامـم من بني الانسان تفسير غوامض الامور بما تقبله عقلياتهم ويريحهم من عنـاء التفكير[٢] ·

ولهذا تأتي المفاهيم الشعبيــة والمعتقد الشعبي التي هي جزء من الثقافة الشعبية التي تنامت عبـر العصور كنتاج للتفاعل المتكامـل والطبيعي بين الانسـان والبيئـة والمجتمع لتضع حـدا لكل هـذه التساؤلات مستندةفي ذلك الى مفاهيم دينية ، تقول أن الموت حـــق ، وأن نزول القبر حق وأن البعــث حق ، وأن الحساب والعقاب حق الى آخر ما هنالك ·

وتأتي أيضا لتؤكد أن عالـــم الاموات كعالم الاحياء به جنة وبه نار وان الاموات يقيمون علاقات مـع بعضهم البعض وأن هناك في عالمهـم الثواب والعقاب ·

كل هذه المفاهيم يجسدها المعتقد الشعبي في خلد الجماهير وتبقـى كالعرف والقانون تحـدد المفهـوم وتفسر الغموض ، وترضي طبيعـة الانسان الباحثة المستجلية الراغبة في كشف خبايا الامور ·

حدوث الموت

يموت الانسان وتكتم أنفاسه ، بعد جهد جهيد من المنازعة ، أو بمعنى آخر مصارعة الموت ، في تلك اللحظة يكون قد اجتمع أهل المصاب وأقاربه وأحاطوا به من كل جانب ، وتراهم يستغفــرون ويقرأون سورة يس ، وبعضهم الاخر يدردشون عن حيـاة وأعمال ومنجزات ذلك الذي يصارع الموت ·

---

(٢) انظر العبادي ، أحمد عويدي ــ المراة البدوية ــ ص ٢٧ ــ عمان ١٩٧٤ ·



وفجأة يحس امـــام القريـة وشيخها الجليل أن أجل من يرقـــد أمامه اقترب فتراه يقف مهللا مكبـرا (ويسبل) الشخص المراد بمعنى أنه يوجههشطر المسجد الحرام ويضعهفي وضع طولي · وقبل أن يلفظ النفس الاخير يؤتى بوعاء به ماء ، وينقط في حلقه آخر نقطة من ماء الدنيا ، وحالما تصعد روحه الى السماء يلف فمـــه برأسه بشاشة ويفارق الحيـــاة الى حياة أخرى ·

تمزق الاثواب ، وتبدد صيحات النساء الهدوء والصمت ويكون الحزن عميقا اذا كان المتوفي شابا ،واذا كان غير متزوج أو متزوجا وليس له أولاد (خلف) ويبدو التناقض واضحـــا في المفاهيم الشعبية للموت التي يقول بعضها أن الميت ينتقل الى عالم آخر فيه حياة وموت وفي نفس الوقت ، يحزن عليه ، وتمزق الاثواب أسفـا عليه ، ما دام الانسان ينتقل من حياة الى أخرى كما ينتقل من بلد الى آخر

أثناء المنازعة

يرى المفهوم الشعبي أن الشخص الذي لا يلاقي عناءا كبيرا ولا يبذل جهدا كبيرا في المنازعة (في الصراع مع روحه) سيكون مرتاحا في عالمه الآخر·

أمـــا الشخص الـــذي يخـرج حشرجات صوتيه ومضايقات أثنـــاء المنازعة ، يكون من أحباء الدنيـــا ولذلك فان آخرته لا تحمد ·

وفي لحظة المنازعة يقال ان المنازع يكون أشبه من يكون في عالم الاموات فعلا ، حيث يتاح له رؤية الامـــوات والتحادث معهم ·

غسل الميت :

ما دام الانسان المتوفي سيذهـب الى العالم الآخر ، وسيقابل ربــه ، ويحاسب فاما أن يعاقب وامـــا أن يثاب فلا بد أن يكون طاهـــرا من الحدثين الاكبر والاصغر ولذلـــك يسخن الماء ويبرد حتى تصبح حرارته معتدلة لاعتقادهم ان الميت يحس ·

ويراعى أن يصل الماء الى جميع أجزاء جسم الميت · ويؤتى بأغصان من شجـرة الخـروب أو الزيتـــون وتوضع تحت رأسه أثناء عمليـــة التغسيل لكونه أحل في منظور المعتقد الشعبي ·

توديع المتوفى

يأتي أقارب المتوفى ليودعـــوا فقيدهم ويقبله كل منهم في وجنتيـــه قائلا « ودعتك لربك اللي خلقك أنتم السابقون ونحن اللاحقون » ·

وتودعه زوجته قبل أن يستحم لئلا يفسد وضوؤه ، ويراعى عـــدم

سقوط الدموع على وجنتي المتوفى لأن ذلك حرام ومكروه ٠

وتحث زوجة المتوفى وأقاربه على مسامحته ٠

جهاز المتوفى أو الكفن

يؤتى بالجهاز حالما تنتهي عملية التغسيل ويتكون الجهاز من :

١ ـ الكفن وهو عبارة عن قطعة من القماش بيضاء اللون ٠

٢ ـ العطر والحنة والقطن ٠

٣ ـ طاقية ولفة الرأس ٠

الادوات المستعملة في نقل المتوفى

١ ـ الحمالة : وهي طاولة من الخشب لها يدان من الجهتين يوضع المتوفي في وسطها ويحمل عليها ٠

٢ الطاولة التي يغسل عليها المتوفى ٠

الصلاة

تلي هذه العمليات الصلاة ، عندما يحين موعد الدفن حيث يكون باقي أفراد القرية قد انتهوا من عملية حفر القبر ، وتكون قد انتهت مرحلة التوديع والتغسيل ، يحمل بعدها المتوفى الى المسجد حيث تقام عليه صلاة الجنازة التي يتقدمها الامام ويليه شيوخ القرية ٠

وينقل فورا الى المقبرة محمولا على الاكف ، وسط جو من التهليل والتكبير الى أن يصل القبر حيث يوارى التراب ٠

ويراعى أن لا يبقى المتوفى مدة طويلة في بيته بعد وفاته مستندين الى المثل القائل (اكرام الميت دفنه) ٠

هذا ما يجري عندما يستوفي الاجل شخصا ما وقد عرضته بصورة سريعة لكي يتسنى لنا رؤية هذه الممارسات في المعتقد الشعبي،في محاولة لتجسيد تلك الاعمال في أذهان الجماهير لتحل تلك الممارسات محل العرف والعادة تصبح جزءا منها ٠

فالموت في المعتقد الشعبي حق وهو من الله اعتمادا على قوله تعالى « واذا جاء أجلهم لايستقدمون ساعة ولا يستأخرون » واستنادا الى قوله تعالى (كل نفس ذائقة الموت) ٠ وفي هذا الصدد (تجمع الاديان السماوية على أن الله يقبض اليه الانسان حين تأتي اللحظة المقدرة ، فلا هو يؤخر عن ميقاته ولا هو يقدم[٣])

---

(٣) أحمد رشدي صالح ٠ الادب الشعبي ـ ص ٢٦٣ ـ ١٩٧١ ـ مطبعة النهضة

وبالرغم من افراد الجماهير لهذه الظاهرة والتي يشوبها الغموض قسما كبيرا من أدبه الشعبي في بكائياته ٠الا أنه لا يذكر شيئا عن العالم الآخر ، وما يجري فيه من حساب أو عقاب أو ثواب ٠

وتصور البكائيات أن الموت ظلم وتصفه كانه وحش مفترس في قولهم

يا أبو فلان منين أجاك الموت
دارك عاليه ومسيجة بشوك

وهذا يدل دلالة واضحة على عدم وضوح صورة ملك الموت في ذهن العامة ٠ والبكائيات عموما تذكر عوضا عن الحساب والعقاب ، صفات المتوفى وأعماله الخيرية ، وشجاعته وتسرد في أدب شعبي منمق وملحن على شكل (تناويح) قصة حياته ٠

يا خسارة على الاجواد يا خسارة
عمروا المقابر وأخربوا الحارة
مطرق الفضة وعود المشمش
مالي لسان يقول عا الحباب اشي
دارهم يا عالية يا ام الدفوف
دارهم ويما(٤) مقاعد للضيوف

« ويبقى الموت نهاية غامضة ، وهو شر في معتقد العامة ٠ ومن ثم يصورون الموت بصورة الظلم والعدوان والافتراس ، وتفوح كافة البكائيات بالروح الوثنية المعارضة جملة وتفصيلا لوجهة نظر الاديان السماوية(٥) ٠

القبر

القبر في المفهوم الديني اما أن يكون حفرة من حفر النار أو روضا من رياض الجنة ومن العادات المتبعة عندما يستوفي الاجل شخصا ما أن يحفر القبر أفراد الحمائل الاخرى ولا يسمح لأهل الفقيد بحفر قبر فقيدهم ٠

ويؤاجر الافراد بعضهم اثناء عملية الحفر ، ويتعاونون جميعا على حفره ٠

ومن المعتقدات الشعبية حول القبر أن من يكون قبره سهل الحفر فان آخرته على خير ومن يكون قبره واسعا أيضا ٠ أما من يكون قبره صعب الحفر فتكون آخرته سيئة ٠

ويقال ان القبر يضاء على المتوفى وتكون حياته أشبه بحياته في الدنيا أو اذا كان قد توفي على خير يسال في نفس الليلة أما اذا كان قد توفي على شر وكانت أعماله سيئة فلا

---

(٤) ويما : يا أمي ٠

(٥) أحمد رشدي صالح – الادب الشعبي – ص ٢٦٣

يسأل الا بعد الليلة الثالثة كرامة لسيدنا محمد ويبقى القبر عليـــه مظلما ٠

بعد الدفن (التلقينة)

يجلس الحاضرون ، بعـــد أن تنتهي عملية الدفن ولا يبقى أحـــد واقفا ، ويبدأ الامام بتلقين الميـــت (التلقينة) على اعتبار أنه يسمع ، وهي مجموعة من الادعية والنصائح التي تساعد المتوفى على مواجهـــة الملكين الموكلين به وبأعماله ٠

ويدعـون المتوفى بابـن فلانـــة وينعتونه لأمه لكونها أعلم وأكثـــر دراية من أبيه بصحة بنوته ٠

فيقول « كـــل شيء هالك الا وجهه‌له الحكم واليه ترجعون سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض ، أعدت للمتقين » اعلم يا عبدالله وابن أمته أنك مت وذهبت عنك الدنيا وزينتها ، وصرت الآن في برزخ من برازخ الاخرة ، فلا تنس العهد والميثاق الذي فارقتنا عليه وقدمت به الى دار الاخرة ، وهـــي العروة الوثقى ، شهادة أن لا اله الا اللهوبالاكرام محمد رسول الله ٠ اعلم أن الموت حق ، والقبر ونزوله حق ، وسؤال الملكين حق ، منها خلقناكم للاجر والثواب واليها نعيدكم للدود والتراب ومنها نخرجكـــم للعرض والحساب ٠

فاذا أتاك الملكـــان الشفوقـــان الرفوقان الموكلان بك وبأمثـــالك وسألاك ما دينك ؟ وما ربك ؟ من الذي بعث فيك وفي الخلق أجمعين ، فقل لهما بلسان طلق بلا خوف ولا فزع ، الله ربي حقا ومحمد نبيـــي صدقا ، والقرآن امامي والكعبـــة قبلتي ، والابراهيم الخليل أبي وملته ملتي ، وعشت ومت على قول أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ٠

فيا مؤانس كل وحيد ، ويـــا حاضر لست بمغيب ، انس تحـــت أطباق الثرى تربته ولقنه حجته ، وانتم أيها الجمع انصرفوا مغفـورا لكم بحق أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ٠

وينصرف الحاضرون كـــل حسب اتجاهه :

أهل الفقيد يقفون في صـــف لمصافحة المعزين الذين يقولون لهـم (يسلمن روسكم) ويرد أهل الفقيد والبقية في اعماركم ٠

أما الحمائل الاخرى التي تجامل

أهل الفقيد فتذهب لتحضر الاكل سواء أكان (فوالة[٦]) أم (اكره[٧])

وتجامل الحمائل الاخرى أهل الفقيد باحضار السكر وعلب القهوة على المسجد .

أما النساء فيكن من حين وفاة الشخص منهمكات في عمل حلقات النواح التي يسودها الحزن واللطم على الخدود ويكون هذا في بعض الاحيان مصحوبا بصراخ .

عادات تلي الدفن (والموت)

من العادات المتوارثة ، أن يزار القبر في الاسبوع الأول من موت الشخص وتشرب على قبره القهوة ، وتقرأ له الفاتحة ، وتوزع الحلويات كل هذا حسب اعتقادهم رحمة للميت ، ودفع بلاء عن الاحياء من أهله وعياله .

ويقال ان روح الميت تأتيه كل يوم خميس ولذا توجد عادة توزيع الحلويات يوم الخميس ولذا تسمى (خميسية)وتوزع النقود على الصغار رحمة عن روح الفقيد .

وتلي وتلي الخميسية ــ الختمة وتأتي بعد أربعين يوما من وفاة الشخص يذبح فيها أهل الفقيد ضحية (شاة أو خروف) ويوزعونها على شكل أكلة شعبية (عادة عصيدة[٨]) وتوجه دعوة عامة لاهل القرية لتناولها في المسجد .

ويقال ان هذه الأكلة تصرف كثيرا من الذنوب عن روح المتوفي .

ويقال ان قراءة الفاتحة تكسب الميت مغانم من الاخرة وتذهب عنه سيئات الدنيا . وهناك رواية في هذا الصدد تقول (ان شخصا عارض في قراءة الفاتحة على القبور ، ووهبها الى الموتى ، قائلا انها لا تغني ولا تسمن من جوع ويقال ان الشخص الذي اعترض على قراءة الفاتحة وادعى عدم جدوى قراءة الفاتحة ، كشف عن بصره لقريب له ميت رآه واقفا أمامه ليقول له (يا لئيم أتعارض في قراءة الفاتحة لنا ، وتحسدنا عليها ، فمن قراءتها كان نصيبي هذا العنقود من العنب من الجنة) .

وما دام المفهوم الشعبي يرى أن عالم الاموات كعالم الاحياء فهم يرون وجوب طرح السلام على قاطني المقبرة بالقول (السلام عليكم يا قاطني هذه الجبانة) .

---

(٦) الفوالة : أكلة مستعجلة من النواشف ، والمقالي .

(٧) الاكرة : أكلة دسمة (لحم وفتيت) .

(٨) العصيدة : اكلة من القمح المجروش والمطبوخ مع اللحم .

« لا واذن فجملة القول أن هـــذه الطقوس جاءت من احساس الانسان بالخوف الداخلي من جهة والرغبة في الحصول على سبب ييسر الصعب ويحقق الامل والاعتقاد بأن الاتصال بمن يذهب الى العالـــم الآخر عن طريق الموت أمر مرغوب فيـــه لأن علاقاتنا به لم تنقطع ، كل هذا دفع بالقوى النفسية والعاطفية للانسان أن تتعلق بالغيبيـــات وابتـــدعت التعاويذ والرقى والطلاسم كأحـد الوسائل التي تساعد على اتصـــال العالمين ببعضهما البعض (٩)

الاطفال الموتى

يقال أن الاطفال الموتى هم طيور الجنة في الاخرة وهـــم المستقبلون الاوائل لأهلهم حيث يقومون بتقديم الماء لهم من ماء الجنة ولذلك فهم يقولون (نيال من اله قطعة لحم في التراب) يقصدون الاطفال .

القتيل :

من المفاهيم الشعبية المتعـارف عليها ، والمتفق على صحتها في المعتقد الشعبي أن الشخص الذي يلقـــى حتفه في مكان ما يبقى قرينه في ذلك المكان .

ويدعون ذاك القرين بالملـــك فيقال ان على عين دير ابزيع والتي تسمى (بوبين) ملك أبو علي الذي يسمع صراخـــه بين حين وآخر في الليل .

وهذا مطابق لقول أسلافنـــا الاقدمين مؤيدين ببعض الكتاب من العصر الحديث بأن للشعراء في العصر الجاهلي كان ما يسمى قرناء .

الشهداء :

الشهيد هو ذلك الذي يتوفـاه الاجل وهو يدافع عن وطنه وكرامـة شعبه وشرف أمته ولهذا وضعـــه الله مع الانبياء والصالحين في الجنة بدون حساب أو عقاب .

ويرى العامة أن الشهيد ليس كباقي الموتـى فهو لا تخرج له رائحة كريهة كباقي الموتى بل بالعـــكس تفوح منه رائحة زكية عطرة .

ويقال ان لحمه لا يبلى ويبقـى كما هو لفترة ما دون أن يخدش .

---

(٩) كتاب الهلال ـ عدد خاص عن السحر والسحرة ـ ص ٨٥ ـ محمد أبو الانوار ـ يناير ـ ١٩٧٥ .

عطية الميت :

الحلم في الموتى نذير شـؤم ، فاذا حلم الانسان بآخر حي بـأنه يموت ، فسيطول عمر ذاك الشخص أما اذا رأى في المنام انسانا كان ميتا وطلب منه غرضا ما وأعطاه اياه ، فستفقد العائلة أحد أفرادها أو قد يحل بها مكروه . وقد حدث أن توفي شخص في قرية دير بزيع وحلمت به زوجته ، وحدثت قائلة أنه طلب منها شربة مـاء وأعطته وياها وكان أن توفيت ابنتها ولحقت بوالدها بعـد أيام .

أما عطية الميت فهي خير وبادرة طيبة أن يرى الانسان في منامـه أن ميتا يعطيه شيئا .

وعن الموتى يقول ليفي بروهل أن أهل غينيا الجديدة الهولندية ، تسود لديهم الفكرة بأن الموتى يظلون دائما على اتصال بعالمنا وبالأحياء منا وأن لهم قوة خارقة وأنهم يمارسون تأثيرا عظيما على الحياة الارضية(١٠)

من ياخذ الارواح :

عزرائيل هو المـوكل بارواح البشر وأبو مزراق هو الموكل بأرواح الحيوانات ، وعادة يصيـب أبو مزراق البغال فيأخذ أرواحهن ، ولذا عندما تبدأ بغلة بالمنازعة يؤتى بكلب مسعور ليهاجم أبو مزراق ويقال ان البغلة تشفى وتجنب شر أبو مزراق

« واجمالا لا يـدور المفهـوم الشعبي الديني حول المعتقد القائل بأن الخير والشر من الله والموت قدر محتوم لا مناص منه ، وعندما يقع القدر فان الدواء والطب لا يفيدان في قليل أو كثير (١١) .

ندب الميت :

يا خسارة على الاجواد يا بنات
عمروا المقابر أخربوا الساحات
دارهم يا عالية يا ام الدفوف
دارهم ويما مقاعد للضيوف
دارهم يا عالية يا ام الدوايا
دارهم ويما مقاعد للولايا
روح يا أبو فلان وضافتك دولة
رويتهم قهاوي واللحم حوله .
روح يا أبو فلان ضافتك عربان
رويتهم قهاوي واللحم عالنار
يا سبع يا أبو البارودة سبع
دايس الظلما وما معك ربع
يا طراف الشالة كش الدرج

(١٠) رشدي صالح ، أحمد ـ الادب الشعبي ـ ص ١٦٠ .

(١١) انظر . سرحان ـ نمر ـ احياء التراث الشعبي ـ ص ١٣٩ ـ دار فيلادلفيا ١٩٧٤ .

الله يساعد عيلته يوم ان خرج
يا طراف الشالة كش الحظير
الله يساعد عيلته يوم الرحيل
طلع عالسرايا فوق يتمايل
يا حسه رعد يا عراك يتهايل
طلع عالسرايا فوق يتمختل
يا حسه رعد يا عراك لتفسكل
طلع عالسرايا يا يجحر بعينه
يا كشيل الحمولة ما اختارو غيره
حطيت له في المقبرة بنورة
غسل وجيهك يا سميح الصورة .
حطيت له في المقبرة صحن اخضر
غسل وجيهك خوف يتعفر
مطر ورعود والدنيا رشاريش
والشيخ كبير والمهرة ما تمشيش
بعرف ارجالي من رجال الناس
اصحاب الشهامة مقوين الراس
قالت فلسطين يا ناس أنا شومالي
اصحابي رحلوا واليهود قبالي
قالت فلسطين يا ناس أنا شوذنبي
اصحابي رحلوا واليهود بجنبي
لا يا بلادنا يام الحجار السود
رحلوا اصحابك وسكنوك اليهود
لا يا بلادنا يا ام الحجار اصغار
رحلوا اصحابك وسكنك الكفار
سجاد الحرم مكفي على بابه
بيبكي على الحرم من غيبة اصحابه

وعا اليوم يا رام الله لو انها هالت
ولا ظعون فلسطين منها شالت
عاليوم ويا القدس لو انها تهددت
ولا ظعون فلسطين منها حملت
والقبر ضيق ما بريده ليكم
ولا سجاد تتمددوا رجليكم
والقبر ضيق ما بيسع السامر
ولا قهيوة تشربوا يا أكابر
والله لأكتب على بلاطه رقيقه
عمره دنا ما زوده ادقيقة
والله لأكتب على بلاط الرخامي
عمره دنا ما زوده ايامي
يا عبد كلم سيدك وشو يريد
ناوله الفنجان وابريق الحليب
يا عبد كلم سيدك وشو الطلب
ناوله الفنجان وابريق الذهب
عاليوم ويا الغالي لتيجي دارنا
نذبح ذبايحنا ونوفي بنذارنا
واجب يا هذي جاية مشتاقة
قزوا[١٢] اليها علمه[١٣] مع المراقه
يا علم اجانا من قفا الخروب
قالوا ياي هذا قمت أنا مرعوب
شيخ العرب نايم ومضوي قناديله
بدري حلي له النوم والا أغني له
شيخ العرب نايم ويا أبو السبع بدلات
بدري حلي له النوم والا عندالباشات
والشيشة يا هذي بأربعة مية

---

(١٢) قزوا: بعثوا
(١٣) علمه :خبر وفاته .

جيناها يا هذي تيجي شيخ القرية
والشيشة ياهذي بأربعة جهادي[١٤]
جيناها يا هذي تيجي شيخ البلادي
غرب على بلدنا أبو العين الغفور
عازمه أبو هذا ذابح له خروف
سند على بلدنا أبو العين الغضية
عازمه أبو هذا ذابح له رباعية[١٥]
عليش هالنسورة يا خايبة بتحوم
يا دم السبوعا في السهل بيعوم
عا اليوم يا أبو هذا لتيجي مسير
ندبح ذبايحنا واليك ياخير
ما تقيموا ها الشوك عن قبر الغريب
يوم عبد الله ما زاره خطيب
ماتقيموا ها الشوك عن قبر الغريب
يوم عبد الله ما ضافوه الحباب
ما تشيلني يا خي واطلعني الوادي
وأقبرني يا خي حول البلادي
هاتوا الشاعرين يقول عالفرشة
سودا يا ربابة حملوا دعنشة
انفلن الشعر يا صاينته ليشي
انفلن الشعر على طعامين العيش
انفلن الشعر يا صايناته عاد
وانفلن الشعر على طعامين الزاد
والقبر ما منش هوا ورياحي
ولا قهيوة تشربوا يا ملاحي
لا حلفتك يادود با الله وأمان الله

لا توكل السانه قاري كلام الله
لا حلفتك يا دود بالسيد سليمان
لا توكل يمينه ذباحة الخرفان
بكرج[١٦] القهوة عالفنجان هيئو له الفناجين
يا ضيوف لفوا على فلان عددهـــم تمانمية
بكرج لقهوة على النار هيئوا له ها الصنية
يا ضيوف لفوا على أبو فلان عددهم ثمانية
شنار عالتينة مسخم عينه
قومي يا هذي واكسري الارغيلة
يا أبو فلان يا جلجلي
ياعلمه مصري يا ذباح
كبش الغنم يا طيب الاصلي
يا أبو فلان يا جلجلي ياعلمه شامي ياذباح
كبش الغنم يا جيد الخالي
طلع عا السرايا بكرجة هوله
روح يا أبو فلان ضافتك دولة
مطرق الفضة وعود الخيزران
مالي لسان يقول على أبو فلان كلام
مطرق الفضة وعود المشمش
مالي لسان يقول على أبو هذا اشي

---

(١٤) جهادي : ليرات ذهب ٠

(١٥) رباعية : نعجة حايل ٠

(١٦) بكرج : ابريق القهوة ٠

دسته[١٧] كبۆ ومغرفته [١٨] بحرية
والقيل على بيك يا هذي غيه
دسته كبير ومغرفته تمرح
والقيل على بيك يا هذي يصلح
ماتوا الشاعرين يقوم فيهم قيل
سودا ياربابة حملو في الليل
ناوليني السيف واليطق عن الوجاق[١٩]
تنشالش[٢٠] عا الحمولة صار عليها ضياق
نولني السيف واليطق عن الدفوف
تنشالش عا الحمولة صار عليها صفوف [٢١]
يا هذا واطلع عالبلاد ونادي
الشيخة لهذا والبلاد بلادي
يا هذا واطلع عا البلاد وغني
والشيخة لهذا والبلاد لعمي
هذا يا ابني خاتمي في الكيس
واختم مترحي يا أبوي لا تكندس[٢٢]
هذا يا بني خاتمي في الدار
واختم مترحي يا أبوي لا تنظام
عاليوم يا أبو فلان لعنك [٢٣]راحت
وخذت من الهذايل[٢٤] حية وراحت
شيخ العرب نايم ومرخي الستر عليه
ما أدري حلي النوم ولا نحد عليه
يا هذي حرمي التطريز على ذيالك
يا جوزك حرم الجينات[٢٥] على دارك
قالوا لي دواهم في علالي الراس
قالوا اهم بمية قلت أنا بكياس
قالوا لي دواهم بيض مع حليب
واحنا في عشم ان المريض يطيب
يا خي وبحياتك على حياتي
واصحا لبناتك بين بناتي
لولاك غالي ما متن اقدامي
يا صديق النا يا عزيز يا غالي
لولاك غالي ما متن رجلية
يا صديق النا يا عزيز عليه

---

(١٧) دسته : وعاء كبير من النحاس يغلى به ماء أثناء الطبخ .

(١٨) المغرفة : أداة تستعمل لتحريك الطبخة واخراج ما في الدست .

(١٩) الوجاق : مكان في البيت الريفي القديم يشبه الخابية أو الرف .

(٢٠) تنشالش : تتدافع .

(٢١) صفوف : من (صف) شكل من أشكال الاحلاف والتكتلات في السابق حيث كان يقال لابو غوش مثلا (صف) أو عزوة

(٢٢) لا تكندس : لا تنهمش .

(٢٣) لعنك : لو عنك .

(٢٤) الهذال : الهمل .

(٢٥) الجينات : جمع (جيئة) .

أصل الزار المصري

الاحتفال بالزار عادة شائعة في القاهرة وسائر المدن المصرية في الوقت الحاضر الا ان الكلمة نفسها تحتاج الى شرح . ففي معجم سبيرو (Spiro) الخاص بالمفردات العربية العامية في مصر نجد انه ترجمها « التعويذة الزنجية » دون ان يذكر جمعها او اشتقاقاتها وقد ذكر لي احد المصريين ان معناها هو « الزيارة » من الفعل العربي « زار » ولكني لا اعتقد بصحة هذا القول ، وكذلك الدكتور شنوك هيرغرونج (Schnouck Hurgronje) لا يرى هذا الراي . وفي السودان وجدت ان كلمة « الزار » لا تستعمل الا بمعنى الحفلة ، وان الأرواح نفسها تعرف هناك (بالاسياد) واستعملتها بهذا المعنى ايضا السيدة نيا سليمة (Niya Salime) (مدام رشدي باشا) في كتابها « الحريم والمسلمون في مصر » ومما لا شك فيه انها كلمة حبشية مع ان معناها قد تغير اثناء انتقالها من بلد الى آخر ، وهي في الاصل تعني الروح ولها معنى ثانوي آخر وهو الساحر الذي يتصل بالارواح والزار في راي بلادون (Plowden) هو ساحر او طبيب ، استطاع ، عن طريق التعاويذ او عن طريق خطفه سرا اثناء طفولته من قبل الأرواح ، ان يكتسب القدرة على الاتصال الوثيق بهذه الكائنات وهو يعتبر واحدا منهم . وقد استعمل ب . كاهل (Hirr P. Kahle) في مقاله القيم عن حفلات الزار في (Der Islam) الصادر في عام ١٩١٣ كلمة الزار التعنى الروح كما تعني الحفلة التي تقام . وقد استقى معلوماته هذه من بين الطبقات الدنيا في القاهرة والأقصر ، وكان الدكتور ركس انجلباخ (Rex Engelbach) الذي تكرم ووضع تحت تصرفي بعض ملاحظاته التي حصل عليها من فلاحي مصر السفلى ، قد استعمل الكلمة في هذين المعنيين .

وانني اعتقد ، استنادا الى حفلات الزار وما شابهها من الحفلات التي شاهدتها في شمال افريقيا ووسطها وقمت بالمقارنة بينها ، ان الكلمة جاءت من الحبشة وان حفلة الزار كما تمارس في مصر في الوقت الحاضر جاء بها العبيد السود من القبائل الزنجية في افريقيا الاستوائية ورغم انها تشبه الحفلات الدارجة في الحبشة الا انها ليست ماخوذة عنها . ومما لا شك فيه ان بعض الكلمات تنتقل من مكان الى مكان فينسى مع مرور الزمن اصلها ويتوسع معناها ويتغير . خذ

مثلا كلمة كوجور (Kojur) نرى انهـــا تستعمل في طول السودان المصري ـ الانكليزي وعرضه لتعني الطبيب الدجال ، سواء أكان المستمطر (صانع المطر) او الساحر او المشعوذ وليس هذا بالامر الجديد فقد استعملها بكر (Baker) من قبل بهذا المعنى والحقيقة ان الكلمة انتشرت انتشارا واسعا الى حـــد ان السوداني العادي الذي يتكلم العربية لا يعرف انها ليست عربية وان اي ضابط مصري يخبرك انها جاءت من كردفان او النيل الابيض او بحر الغزال او من اية مديرية لم يسبق له ان زارها .

في كتاب السيدة نيا سليمة القيم نجد وصفا لحفلتين من حفلات الزار ، تروي المؤلفة ان خادمتها الزنجية تلبستها روح جعلتها تظلع في مشيتها لان « القرينة » اعترضت على ارتداء سيدتها الملابس السوداء ، واذ تعمقت مـدام سليمة في الموضوع تكشف لها ان الغالبيـــة الساحقة من النساء السود لهن ارواح قرينية وان هؤلاء النساء يعتبرن تلك الارواح بمثابة اسيادهن ، وهذه الارواح تاتي من السودان والحجاز ومصر ومن اماكن اخرى ولكنها ارواح شريرة يخشى جانبها . وهناك نساء معينات يطلق عليهن اسم الشيخات (مفردها شيخة) او الكوديات (مفردها كودية) يدعين القدرة على التعامل مع الارواح ، فعندما تتلبس الروح احدى النساء ـ الدليل الاول على ذلك توعك صحتها توعكا بسيطا ، فانها تستشير الشيخة التي تتاكد من اسم الروح وتصف العلاج . وفي بعض الاحيان تعلن القرينة انها تمت بصلة القرابة لروح اخرى مستحوذة على مريضة اخرى من مريضات الشيخة ومن شان هذه القرابة ان تعقد صداقة وثيقة بين المضيفتين ممـــا يؤدي في الغالب الى فوائد مالية كبيرة للشيخة وللواحدة من المراتين على الاقل . ان الارواح تعذب مضيفاتهن بطرق مختلفة الى ان تقام حفلة زار لترضيتها ، ولكن هناك فرق كبير بين زار وزار .

هناك حفلات زار فخمة ينفق عليها مبالغ كبيرة من المال ، وهناك حفلات زار خاصة تجري في البيوت وهي الحفلات التي تقيمها الشيخة (Goudias) بانتظام مرة واحدة في الاسبوع . وقبل حلول رمضان تحتفل هؤلاء النساء احتفالا رسميا بمولدهن السنوي تظل النســـــاء المسوسات تتقاطرن عليه لعدة اسابيع وتتدفق الهدايا .

والرواية التالية مقتبسة من وصف لحفلة زار ورد ذكرها في كتاب « الحريم والمسلمون في مصر » : تقوم في وسط الغرفة طاولة مائلة مصنوعة من خشب السنط على سجادة عجمية مهترئة ، وبجانبها شمعتان تشتعلان في شمعدان فضي قديم وكانت المراة التي من اجلهـــا اقيمت الحفلة مديدة القامة قوية البنية ذات

بقلم: براندن سلجمان
ترجمة: حنا سالم خضر

بشرة نضرة صافية لا يبدو عليها الانفعال او الكآبه • كانت الغرفة غاصة بالنساء والاطفال ، وسرعان ما تجمعت الزنجيات في احد اركـــان الغرفة حول الطبول في جوقة تكفي لان تدفع باي مستمع حساس الى الجنون • ثم قامت الكودية (Goudia) بالقاء ذرات من مسحوق على مجمرة واضيئت الانوار وتحلقت مجموعة من النساء حول الطاولة التي اصبحت الآن موفرة بالسكر والعسل والصابون والفطائــر والحلوى وباقة من الورود ، وراحت الكبرى ترتل بعض النداءات بينما رفيقاتهـــا يرددن عليها بهمهمات خافتة ، ثــم قامت ببعض الاشارات الغامضة فوق الاشياء الموجودة امامها والقت بمساحيق ذات اريج طيب على المجمرة فانتشت المريضة والزنجيات الاخريات برائحة البخور وعبق الجو بالدخان واشتد قرع الطبول الى حد يصم الاذان • ويبدو ان قوة غريبة قــد سلطت على هؤلاء النسوة اذ تملكهن دافــع مفاجيء اصبحن معه مهتاجات فراحت احداهن تزحف على الارض وتمسح راسها بالسجادة بينما اخذت احدى ذراعيها تتحرك تحركـــات تشنجية وكانها تسبح في سائل غير منظـــور وسرعان ما هبت قرابة عشر نساء منهن للرقص وهن منتشيات بالجو العابق وبقرع الطبول • وبعد ذلك جيء بكبش وزين بالاشرطة والحلي فقامت المريضة بمسك صوفه من عند العنق ودارت حول الغرفة ثلاث مرات وهي تتمايل وتهتز قبل ان تدخل الساحة وما لبثت المراة المريضة ورفيقاتها ان عدن وايديهن مخضبة بالدم ووجوههن مغطاة بالبراقــع • وكانت الـ (Goudia) حاملة وعاء مملوءا بادوات الزينة وهي ملطخة بالدم • بدأ الرقص من جديـــد وكان اكثر احتياجا الى ان خيم على المكان صمت مفاجيء اوقف الراقصات عن الرقص فخر بعضهن على ركبهن بينما سقطت الاخريات على الارض مبهورات الانفاس فقامت (Goudia) باسعافهن جميعا عن طريق لمسهن والهمس ببعض الكلمات المقدسة ، واخيرا عدن راضيات الى مقاعدهن في خطى متزنة تلوح السكينـــة على وجوههن ، كسيدات محترمات لم يقمن الا بأحد التمارين الرياضية •

يستمر المهرجان السنوي الكبير لمدة اسبوع تقريبا تقام فيه حفلة كل مساء وتوزع خلالها كميات المواد المرسلة مـــن انصار الزار على المشتركين في حفلته ، وفي الأمسية الاخيرة تقدم الذبائح • وتتضمن ضحايا الزار ، كما لا حظت السيدة نيا سليمة ، الخراف والماعز والعجول وصغار الابل والطيور العديدة • وهذا الزار يعقد في بيت نظيف مرتب حيث لا مكان اطلاقا للحفلات البربرية وسرعان ما تتلبس الارواح ثماني نساء ويسمع أحد المتفرجين يقول انهن من النساء العظيمات (الباشوات) في عالم الشياطين ثم يعطى لكل منهن طربوش وعدة اوشحة وسيف او عصا وهن يــدرن بحركـــات ايقاعيـــة مغمضات العيون وبعضهن يحدق بنظرات جوفاء ثابتة وتنطلق من افواههن كلمات غير متماسكة وصيحات خشنة واصوات اشبه بنباح الكلاب ويتطاير منهن الزبد الذي صبغ شفاههن بالبياض • وظلت احداهن ، وهي امراة فارعة الطول وثيقة التركيب ، ترافع يدها الى عنقها وكانها كانت تحاول ذبح نفسها بسكين • كان عفريتها يطالب بخـــروف كضحية وقد بدا ان زنجية طويلة القامة ذاوية العود ترتسم على محياها تعابير ساخرة كانت تمثل دور مديرة المسرح • وفجاة انطلقت الطبول في قرع ايقاعي كانت روحها تؤثـــره وسقطت على الارض في نوبة قاتلة فحلت محلها امراة اخرى • اخبرني ضابط مصري انه اخذ الى

احدى حفلات الزار عندما كان طفلا صغيرا وقد جاء وصفه للزار الذي شهده مطابقا للوصف الآنف الذكر في خطوطه الرئيسية . فالزار حفلة تشترك فيها نساء من عائـلات كثيرة مختلفة لا يسمح للرجال من الطبقة العليـا بدخولها لان هؤلاء الرجال يمقتون مثل تلك الحفلات باعتبارها مصدر ازعاج متواصـل وتكلف في الغالب مبالغ كبيرة من المال ،فعدا عن الأجور التي تدفع للشيخات فان الارواح القرينة كثيرا ما تطلب كميات من المجوهرات من اجل « مضيفاتهن » .

وهذه العادة لا تقتصر على الزنجيات والعبيد والنساء المعتوقات[6] بل على العكس نجد الكثير من النساء المصريات اللواتي يعتقدن بانهن ممسوسات وهناك اكثر من رجل طلق زوجته لانها اصرت على حضور الزار . ومـع ان المشتركات مـن المسلمات اللواتي يستعملن عبارات دينية طوال الحفلة الا ان هـذه العادات ليست لهـا ايـة صبغة دينيـة . والواقع ان الشعور الاسلامي المناهض للزار قوي الى حد ان علماء جامع الأزهر في القاهرة طلبوا مساعدة الحكومة لمنع اقامة مثل هذه الحفلات .

ومع ان الزار بين الطبقات العليا يقتصر كليا تقريبا على النساء الا ان هذا الاقتصار لا ينسحب باية حال من الاحوال على عامـة الناس . يصف السيد ب . كاهل حفلتـي زار في القاهرة والاقصر اشترك في كلتيهـا الرجال والنساء . وفي هذه الحفلات يعتبر سفك دم الضحية على المريض الذي قد يشرب منه ايضا ، جزءا هاما من شعائر الحفلة .

وقد اخبرني السيد ر . انجلباخ ان الارواح كثيرا ما تتلبس الرجال مـن طبقة الفلاحين ومن اجل مصلحتهم لا بد من احياء حفلة الزار .

وتدل ملاحظاته على استعداد النـاس المتدينين لاستيعاب الاراء الاجنبية في دينهم الخاص والاعتقاد بها كجزء من عقيدتهم الخاصة ومن هذا يتبين ان الناس الفقراء يحاولون ، قبل اللجوء الى الزار ، طرد الارواح الشريرة بذكر اسم الله والتبرك بالنبي رغم ان هذا قلما كان له اي تاثير . ومـن احد اسباب المرض الناجمة عـن الارواح اهمال الصلاة واهمال ذكر اسم الله قبل النوم بالدرجة الاولى وهكذا نرى الفلاحين يحتمون باسم الله ضد قوة الارواح الشريرة المستعدة دائما لدخول الجسد اذا ما تاهت الروح من النائم ، ويبدو ان الفلاحين يخلطون بين هذه الارواح وبين الجن والعفاريت التي لها ذكر في الكوزمولوجيـا الاسلامية .

والدلائل الموضوعية التي ابدتها النساء في الزار الذي شهدته في السودان خلال شتاء ١٩٠٩ ـ ١٩١٠ على انهن ممسوسات لا تختلف كثيرا عن مثيلاتها في مصر . ويجب الا يغرب عن البال ان النساء في السودان لا يتحجبن رغم انهن يسدلن رداء الراس على افواههن في بعض الاحيان ولذلك لايقتصر الزار هناك على الحريم بـل يقام في العراء حيث يحضره الرجـال ويشتركون فيه .

وفيما كنت في كودوك (Kodok) ذات ليلة جذبني قرع الطبول وعزف الربابة الى معسكر العائلات التابع لسرية من كتيبة سودانيـة . كان افراد هذه السرية كلهم تقريبا من الزنوج المتقدمين في السن جاءوا من مختلف القبائل ومن اسرى قوات الخليفة والتحقوا بالخدمة في زمن الاحتلال البريطاني ونسوا تقسيماتهم القبلية ولغتهم . اما الافراد الاصغر سنا فلم يكونوا

يعرفون حتى اي قيد من قيود قبليتهم ولا بد ان المتقدمين في السن قد اجتازوا الكثير من صروف الدهر وتقلباته قبل ان يستقروا في حياة الثكنات العادية المملة ولذلك لم يكن غريبا ان تكون الارواح التي كانوا يناشدونها من زمرة متنوعه تختلف اختلافا كبيرا عن زار آخر شهدته فيما بعد .

كانت هناك جماعة من حوالي عشرين شخصا احتشدوا خارج كوخ حيث كان رجل عجوز يعزف على الربابة بينما كان آخرون يصاحبونه بالضرب على آلات تحدث قرقعة وتولت زنجية عجوز مسؤولية الحفلة . كانت ترتدي حزاما عرضه حوالي تسع بوصات مغطى كله بحوافر الخراف مخاطة عليه وتحدث خشخشة كلما تحركت . كانت هذه الحوافر اثار الضحايا التي قدمت في زار كانت هي رئيسته . وبقرب الكوخ كانت توجد ادوات الزار وهي عبارة عن علمين مكتوب عليهما اسماء عربية ، وكان احد هذين العلمين من القطيفة الحمراء عليه صليب قبطي من القماش الاصفر مخاط عليه . وبالاضافة الى ذلك كانت هناك عصي ومقشة لطرد الذباب مزينة بخرز وعدة اوان تحتوي على بخور وروائح مختلفة .

والظاهر ان العلم الذي يحمل الصليب القبطي نقل رسمه من كنيسة وان القطيفة كانت من النوع الذي يستعمل في تزيين الكنائس . وتقول الشيخة ان هذا العلم يخص روحا مسيحية تسمى سيليسيليا (القديسة سيسيليا) تلبست امراة في الكتيبة ، وقد صنع حسب التوجيهات التي اعطتها الروح اثناء احدى حفلات الزار .

وقد امكن تحت ضوء القمر الاستوائي الوضاء رؤية وجوه تلك الجماعة الصغيرة بوضوح . لم يكن يبدو عليها اي انفعال غير عادي ، ومع ذلك فقد تقدمت النساء ، الواحدة وراء الاخرى ، للامام وركعن على ركبهن فوق حصيرة مفروشة امام الموسيقيين وتلبستهن الروح فرحن يتمايلن باجسادهن ويحركن رؤوسهن حتى اصبن بالدوار . وبعد مواصلة هذه الحركات العنيفة لبضع دقائق تفوهن بصوت خافت ببعض الطلبات من اسيادهن الا ان واحدة منهن اخذت تغني بوضوح وبصوت خفيض (انا مسافر بعيد من بلدي ، اسمي نيمسو) ولكن قرينتها لم ترض الا بعد ان اخذ الموسيقيون بعزف اللحن الذي حددته . اوقفت معظم النساء حركاتهن فجاة كما بدانها وجلسن على الارض ساكنات خامدات فجاءت الشيخة اليهن وقامت بوضع اذرعهن وسيقانهن على نحو متقاطع عدة مرات واحنت رقابهن الى ان استعدن الوعي وساعدتهن على النهوض ثم ابتعدن بهدوء او انضممن الى الجماعة الصغيرة من المتفرجين باستثناء واحدة منهن تحركت بعيدا بضع ياردات ورقصت مدة دقيقة او دقيقتين ، وعندما كفت عن الرقص لم تكن تدري اين هي فقد زايلتها كل ذكريات الزار ، واعتقدت انها جاءت مباشرة من كوخها .

لم يكن غياب الدم في هذه الحفلة من خصائصها المميزة كما يبدو لاول وهلة فحفلات الزار هذه كانت تعقد اسبوعيا ، ولا شك انها كانت تبدو للمشتركين فيها كجزء من حياتهم العادية الروتينية اما اذا طلبت الارواح الاضاحي وكان بوسع المضيفين تقديمها اقيمت حفلة زار كبرى وقدمت الاضاحي وهنا يلعب الدم دورا هاما في حفلات الزار الاخرى .

تقام حفلات الزار في مراكش وهي اكثر ما تكون شيوعا بين الزنجيات ، وهي شائعة في

حريم القاهرة والطبقات العليا هناك تتقيـــد بنفس المراسم والطقوس . وقد ذكرت نيا سليمة اثنتين من الزنجيات الغنيات المعتوقات كانتا تفدان الى القاهرة من القسطنطينية سنويا للاشتراك في الزار وهذا يعني ان الزار كان معروفا في تركيا ، وحتى في مكة نجد وصفا لحفلة زار هناك . واعتقد ان هذه العادة انتشرت حيث كان يسمح للزنجيات بدخول الحريم . وجدير بالذكر ان محمد علي عندما فتح السودان جاء باعداد كبيرة من مختلف القبائل السوداء الى حريم مصر ، ولا شك ان هؤلاء العبيد حملوا معهم عبادة الارواح القبلية وارواح الجدود ، وهناك عادات مماثلة بين القبائل الزنجية في الوقت الحاضر . ولعل زار قبيلة آزندي الذي شهدته في السودان وعدم اي ذكر للزار من قبل الرحالة القدامى في مصر ما يؤيد هذه النتيجة كما انني لم اجد اي ذكر للزار او لأية طقوس مماثلة في اثار الرحـــال ريتشارد بوكـــوك (Richard Pococke) التي نشرها كلوت بك (Clot Bey)، طبيب اسماعيل باشا ، في Apercu General Dur. l'Egypte ولا في ملاحظات غيره من امثال سافاري (Savaray) سونيني (Sonnini) البارونه فون ما نوتولي (Von Manutoli) ولين (Lane) نفسه واخته .

ومن جهة اخرى نجد ان معتقدات زنوج افريقيا زاخـــرة بطقوس مماثلة ساشير الى بعضها هنا . يصف و . جنكر W. Junker مشهدا لاحد العرافين في قبيلة آزندي « ياخذ العراف مكانه في وسط الحضور وياخذ بالرقص البطيء الموزون بمصاحبة قرع الطبلة . ويحني بين الحين والآخر راسه الى الوراء باتجاه الارض للاصغاء ، ثم يزداد الرقص تدريجيا سرعة وعنفا وتـــزداد الاشارات والايحاءات الى ان ينهك نفسه اخيرا وهو يقفز ويتلوى بعنف ويظـــل يصغي لسماع الرسائل من الارواح السريـــة ولكنه يقطع الان قفزاته الجنونية ويمسح العرق عن جبينه ويقترب من دائرتنا ويبدأ خطابه . يكرر ذلك بعد كل رقصة ويوجه الخطاب كل مرة الى شخص معين او يختار موضوعا مـــا اختيارا عشوائيا » وفي هذه الحالة لا يوجد ذكر لضحية ولكنها توضح كيف كان العرافون متعودين على الرقص الى ان يتمكنوا من الاتصال بالارواح .

ويروي شوينفورت (Schweinfurth) انه ظل مستيقظا ليلا في بحر الغزال بسبب السحرة الذين كانوا يمارســـون اخراج الشياطين . ويوحي وصفه لرقصة اخرى شهدها في نفس المديرية انه كان يراقب حفلة ارواح رغم انه لم يكن يدرك ذلك . ومع ان قبائل نيلوتك دينكاس (Nilotic Dinkas) تعترف بالله اعلى الا ان ديانتها العملية معنية اكثر بارواح الموتى ، ارواح الاقرباء الذين ماتوا حديثا ، الاتيب (Atiep) ، وارواح الجدود الجباره ، الجوك (Jok) . هذان الصنفان من الارواح يؤثران ، خيرا او شرا ، على كل ناحية من نواحي حياتها . « قد يطلب اتيب أب او أم او جد في اي وقت طعاما في المنام ، واذ ذاك ياخذ الرجل طحين ذرة ويخلطه بالدهن في وعاء صغير يضعه في ركن من كوخه حيث يترك حتى المساء وعندها يجوز له ان ياكله او يشارك فيه اي شخص ينتمي الى عشيرته ولكن ليس مع انسان غيره . اما اذا لم يؤمن الطعام فان الاتيب يجعل الحالم او زوجته والاطفال مرضى لقد سمعت اينما حللت ان العادات التي تراعى بعد وفاة شخص ما ، ولا سيما في المآتم ، كانت

تعقد لترضية اتيب الميت ومنعه مـــن ارسال الامراض او المصائب الى الباقين من الاحياء .
تاتي الارواح الى الرجال في الاحـــلام وتبين رغباتها او تجعلها معروفـــة عن طريق التيت (Tiet) ، وهو رجل قادر على رؤية الارواح والاتصال بها ،

ويعزى سلطانهم دائما الى احدى الارواح ، ونعتقد انها روح احد الجدود وهي الروح الحالة في التيت ، وبما ان الروح عند وفاة التيت تحل عادة في جسد اقرب المقربين فمن شان ذلك ان تصبح السلطة وراثية . وغالبا ما يقوم التيت بافهام القريب ، بعد موته او موتها ان الروح ستحل فيه والدلائل التي تشير الى ان الروح حلت فيه فعلا هي التغير في عاداتـــه وتنتابه نوبات وفترات من فقدان الوعي . توجه قوى التيت عادة لاكتشاف ما يجب عمله في حالة المرض اي انه يدل على الجوك المسؤول عن ذلك المرض وما يجب عمله لكي يشفى المريض ، وليس هذا فحسب فهو يعطي ايضا المشورة في حالـة فقدان المواشي وفي الحـوادث اليوميـة الاخرى .

في احد ايام شهر آذار ١٩١٠ رأيت تيت يقـوم بعملـه في قبيلـة بـور دينكا (Bor Dinka) كانت ثمة امراة تشكو من مرض منذ فترة من الزمن ، فاستشار زوجها ، وكان اسمه بول (Bul) التيت الذي اتصل بالارواح .نفى ليربيو (Lerpio) ، جوك بور (Bor) الكبير ، ان يكون له اي تاثير عـلى المراة ، ولكن دنج (Deng) ، وهو جوك من قبيلـة الياب دينكـا (Aliab Dinka) اعترف بانه كان مسؤولا عن مرضها وطلـب تقديم ثور كضحية الا ان الزوج اهمل الطلب لان الدينكاس كانوا يعتبرون المواشي من اعز ما يملكون ، ولهذا بدت له الضحية باهظة او ربما لان الجوك الذي طلبها كان غريبا ، فقد كان جد الدينكاس يعيش على الضفة المقابلة من نها النيل وعلى بعد مسيرة يوم الى الجنوب .

مضى الوقت ولم تبرا المراة من مرضها ، واخيرا استشار زوجها لووال (Luwal) تيت بيورديت (Biyordit) رئيس بور (Bor) الكبير وصانع المطر . انتظر زوج المراة المريضة مع اخرين من عشيرته بيورديت وتيته خـارج كوخ ليربيو المقدس ، وعندما وصـلا جلس الجميع ، وجلس التيت لووال على جلد وامسك بيقطينة (gourd) كان يمسح عليها بيده ، ثم هز اليقطينة واغمض عينيه واظهر امارات الممسوس العادية ، فامسك بيورديت بذراعه لمنع غضب الروح من ايذاء التيت . هز لووال اليقطينة مرة اخرى فاخذ جسمه كلـه يرتعش وطوح براسه للخلف واغمض عينيه ، ثم تكلم ليربيو عن طريقة الى بيورديت الذي كـان يجيبه ، وبعدها راح التيت يتكلم في جمـل قصيرة وهو يمسك باليقطينة بيده ويقوم بحركة دائرية حرة من المرفق . اشار ليربيو عـلى بيورديت بضرورة التضحية بثور من ماشيـة ليربيو ، وعلى الزوج ان ياخذ احد عجولـه ويذهب به الى بلاد الياب (Aliab) لاستبداله بثور . لم تعط كل هذه التوجيهات مرة واحدة بل كان بيورديت يوجه ، بين الحين والآخر ، اسئلة الى لووال الذي كان يجيب عليهـا دائما وهو مغمض العينين ، وكان يتكلم بصوت احبش . كان ليربيو مستقرا في اليقطينة رغم

انه كان يتكلم عن طريق التيت ، وحدث اثناء الحفلة ان سقطت السدادة من اليقطينية فقال جميع الحاضرين « كـلاك ، كـلاك » (gluck, gluck) وهي عبـارة تستعمـل لترويض حيوان ، لترضية الروح وابقائها في اليقطينة ، وبعد ان اعيدت السدادة الى مكانها بعناية قال الجميع «ارام» (aram) ، ثم اخذ لووال ، وهو لا يزال في حـالة انفعال شديد ، يحرك بعينين مغمضتين ، اليقطينة الى الجهة الغربية الشمالية ، اي باتجاه مهب الريح ، والحضور كلهم يحركون ايديهم في نفس الاتجاه ، وبهذه الطريقة طرد المرض لان اريبو كان جوكا قويا الى حـد شفاء مرض ليس له به يد .

وعند التضحية بالثور يوزع لحمه بعناية فتكون الاضلاع من نصيب التيت والفخـذة اليمنى من نصيب بيورديت ويوزع الباقي بين اقرباء بول (Bul) المقربين على أن يقطع جزء معين ويترك قرب المنزل للارواح على ما يبدو .

وهناك قبيلة اخرى من قبائل نيلوتك ، وهي قبيلة شيلوك (Shilluk) لها ملـك وصانع مطر والسلسلة الطويلة في اجداده هم من الارواح القوية ، ويمكن لأي مـن هـذه الارواح ان تتلبس الناس . وقد لاحظت في احدى قرى شيلوك جمجمتين من جماجم الخراف مثبتتين في سقف البيت ، وقد قيل لي ان هـذين الخروفين ضحي بهما لمصلحة امرأة تلبسها داج (Dag) ابن نياكنج (Nyaking) ملك شيلوك الاول . علقت ثلاث قطع صغيرة من اذن الخروف بخرز وربطت بكاملها فتركت الروح جسدها . وقد استعمل رئيس قرية اسمه اشول (Achol) كان قد سجن بأمر من الملك الحاكم ، وهو الملك الخامس والعشرون بعد داج ، وسيلة مماثلة . فبعد اطلاق سراحه عومل وكان روح احد الملوك الموتى قـد تقمصته ، وكان لا بد من التضحية بخروف ، واحضر له اصدقاؤه خلاخل من خزف علقت بها قطع من اذن الخروف ، وقد لبس اشول هذه الخلاخل لحمايته من غضب الملك الحاكم .

لا اعرف الا القليل عن ديانة قبيلة شير (Shir) ولكن حدث في يوم زرت فيه احدى قرى شير ان المت بزوجي وعكة صحيـة ، فاستطاع « الطبيب » بواسطة قطعتين من الجلد معرفة سبب المرض . قال بان الارواح التـي تقمصت المريض كانت ارواحا قوية وانها كانت ارواح امه وجدته ، وقد نصحنا بالعودة الى قريتنا وترضية الارواح عن طريق التضحيـة بخروفين على ان لا ياكل زوجي ولا انا من لحمهما .

وفي قبيلة الباجندا (Bagonda) تكـرم الارواح وتبنى لها المزارات قرب القبـور . « كانت معظم الارواح خيرة وتساعد افـراد العشيرة التي تنتمي اليها ، ويستطيع الطبيب عن طريق استشارة وسيط الوحي (oracle) ان يخبر الناس من هي الروح التي تسبب لهم المتاعب وكان الرجال والنساء على السـواء معرضين لان تتلبسهم الارواح ، ويتخذ هـذا التلبس شكل غثيان او جنون بسيط . وفي مثل هذه الحالات يمكن استدعاء الطبيب لطرد الروح بالتعاويذ او بجعل المريض يستنشـق دخـان عقاقير معينة بجانب السرير وسرعـان ما تطرد الروح . ومع انه غالبا ما كان يعتقد بان الارواح تسبب المتاعب الا انه كـان من المفروض ان تساعد افراد العشيرة اذا عوملت

معاملة حسنة فتري رئيسا او ثريا يقيم احيانا حفلة لروح قريب يذبح فيها بعض الحيوانات عند المزار ويشاركه في تناول الطعام الاقرباء والاصدقاء الذين دعاهم .

« ولقبيلة الناندي (Nandi) معتقدات مماثلة . « فعبادة الموتى عندهم ظاهرة بوضوح وهم يعتقدون بان الروح تسكن في الظـــل ، فعندما يموت البالغون تبقى الروح . وارواح الموتى التي تسمى اوئك (Oiik) تعتبر السبب فيما يلم بهم من امراض ولهذا من الضروري عندما يمرض احد افراد قبيلة ناندي ، اكتشاف الجد الذي سبب الكارثة وترضيتـــه الا ان هذه الارواحلا يمكن ان تكون شريرة كليا لانه يستعان بها لحماية الاطفال والمحاربـــــين الغائبين » .

« وفي قبيلة آـكامبا (A - Kamba) يقال بان الموت ناتج عن ان الآئيمو (Aiimu) تغادر الهيكل الجسدي ، فعندما يموت شخص تذهب آئيموه وتعيش في شجرة تين برية . تدخل الآئيمو في جسد امراة او طبيب فيصبح الوسيط ممسوسا ويغدو بوسعه ان يتنبأ . وهناك مظهر آخر في المعتقدات الروحية عنـــد الآـ كامبا وهو طبيعة الاتحاد الوثيق ، القائم في اذهانهم ، بين ارواح الجدود وارواح الاحياء والدليل على ذلك حقيقة ان كل امراة متزوجة هي في نفس الوقت زوجة رجل حي وزوجـــة آئيمو او روح احد الجدود ، والاعتقاد الراسخ هو ان خصوبة المراة تتوقف الى درجة كبيرة على زوجها الروحي فاذا لم تحمل امراة خلال الاشهر الستة من زواجها فانهم يردون ذلك الى اهمال آئيموها الخاص لها فيقدمون البيرة[٧] ويذبحون عنزة كترضية ،واذا لم تحمل بعد اشهر قلائل اقاموا حفلة كبيرة وذبحوا عجلا . اما اذا حلمت المراة بعد الزواج مباشرة فانهم يبتهجون كثيرا لانهم يعتبرون انها لقيت حظوة في عيني آئيموها .

الفكرة السائدة الكامنة وراء هذه العادات كلها هي احترام ارواح الموتى الذين يمقتـــون مبدأ اهمالهم من قبل اقربائهم . فاذا تـــم استرضاؤهم سارت الامور سيرا حسنا وغدوا اصدقاء وحماة كما كانوا وهم في عالم الاحياء ، ولذلك تقدم الخمور والقرابين اما اذا اهملوا فلا بد من تذكير اقربائهم بمرض يلم باحدهم . وفي حالات كثيرة فان الطبيب ، الذي يكون في حالة تنويم مغناطيسي ، هو الذي يعرف الروح ويأمر بتقديم القربان او الهدية المطلوبة . وفي حالات اخرى يقع المريض في حالة من التنويم وعن طريقه تتكلم الروح . ومن البديهي انه يجب احترام جدود القبيلة بنفس الدرجة التي تحترم فيها ارواح الموتى من الأقرباء، وقـــد رأينا ان هذا هو الحال في قبيلة شيلـــوك . والاتجاه العام هو اعتبار مثل تلك الارواح اقوى سلطانا من ارواح الذين ماتوا حديثـــا وهي تمارس نفوذها نحو الخير اذا عوملـــت معاملة حسنة . ويلاحظ ان قبائل آزنـــدي (A-Zondi) آديو (Adio) ، مابنجو (Mapingo) وماجبوندا (Magbwonda) وكلها في الكنجو البلجيكي ، تؤمن بسلطان الاقرباء من الموتى . « انها تعتقد بان امواتهـا يعلنون عن رغائبهم الى الاحياء في الليل والاحلام بالنسبة لهم حقيقة . عندمـا يـرون ميتا في المنام فانهم يعتقدون بانهم يتكلمون مع روحـــه بينما هو يقدم لهم المشورة ويعرب عن رضائه او سخطه ويعلن لهم عن اماله ورغائبه ».

تؤمن قبيلة آزندي (A-Zonde) بهذين النوعين من الارواح والذين رايتهم في ام درمان يؤمنون بالتاكيد في سلطان ابطال القبيلة . لقد كانوا جنودا في سرية وجرى تجنيدهم من بيوتهم الخاصة قبل فترة من الزمن واحضروا نساءهم معهم . وعلى الرغم من انهم مسلمون الا انهم لم يتاثروا كثيرا بالدين الذي اعتنقوه حديثا . وبعد التحري والاستقصاء وجدت ان حفلات الزار في كتائب العبيد كانت تقام ايام الجمعة وانهم لا يعترضون على حضوري الحفلة التالية التي صدف ان اقيمت في كتيبة آزندي وقبل ان اصف هذا الزار لا بد لي من اعطاء وصف موجز لكل واحد من المشتركين .

كان ثمة ثلاثة راقصين تلازمهم كلهم نفس الارواح وهم بابنجا (Babinga) وزوجته نجورما (N'gurme) وهما مع اطفالهما ننجا (Nanga) ، روسيا (Rusea) وانجورا (Angora) تلبستهم ارواح اسلافهم وكان فرج وهو عريف قال عنه ضابط انه جندي قدير ، الممثل الرئيسي . لم يكن فرج في طفولته قادرا على الرضاعة فتولت جدته اطعامه عن طريق مضغ قصب السكر وبصق عصارته في فمه واستدعي كوجور (عراف من قبيلة آزندي) الذي عرف ان روح بابنجا كانت في جسد الطفل فكان لا بد من قتل حيوان بري (لان اهله لم يكونوا يملكون اية مواشي في ذلك الوقت) واقامة حفلة زار له (A-Zande ataro) ورغم انه قيل بان بابنجا ظل مع الطفل الا انه لم يكشف عن وجوده الا بعد ان بلغ الطفل الثانية عشرة من عمره عندما الم به مرض خطير وحدث ان اسرة زبير باشا (Zubeir Pasha) ونقل الى ديم زبير (Dem Zubeir) على بعد مسيرة ثمانية ايام شمالا من منزله وهناك ذبحت بقرة وخروفان فشفي فرج من علته ولكن منذ ذلك الوقت اصبح من المهم جدا ان يسمع صوت الطبل (A-Zonde gaza) كل اسبوع ولم تكن ثمة حاجة لان يقدم اية قرابين ولكن اذا لم يقرع الطبل اصيب بوجع في الراس والصدر . كان جسده يرتجف عندما يسمع هذه الموسيقى ويشعر برغبة جامحة في الرقص ، واذ يكون في هذه الحالة يتلقى احيانا اوامر من بابنجا وكانه يحلم ولكنه لا يقدم اي قربان اذا لم يستلم امرا بذلك . وعندما يكون فرج في الطابور ويقرع الطبل ياخذ جسده في الارتجاف وتراوده نفسه للرقص ولكنه يحجم بكل مشقة وصعوبة . وقبل بضع سنوات حلت نجورما في جسده ، ليس بنية شريرة ، ولكن لان بابنجا كان راضيا عنه . وكذلك كلتوما ، زوجة فرج وابنة عمه ، تلبسها ايضا بابنجا ونجورما وكان عمرها حوالي ٣٥ عاما وقد اصيبت بمرض خطير قبل حوالي احدى عشرة سنة ، بعد زواجها من فرج بفترة طويلة ، وذات يوم فوجئت عندما وجدت اظافرها مخضبة بالحنة ، فاستشارت كوجور (Kojur) الذي اشار عليها بضرورة اقامة زار لبابنجا ونجورما ففعلت وذبح خروف وشربت الدم ممزوجا بخمسة انواع من الروائح الشذية . اما الراقص الثالث ، واسمه ماديجو (Madigu) فقد كانت تلازمه ايضا نفس الارواح . بدأ الزار الذي اقيم من اجل كلتوما التي كانت تعاني من الم في صدرها ، الساعة ١١ صباحا وفي العراء تحت سقيفة واطئة مفتوحة اصطفت حوالى ستة نساء يغنين ويحركن خشاخش من تنك ، تسمى في ام درمان كشكش (Kashkash) بينما اخذ ثلاثة رجال يقرعون طبولا كبيرة تسمى نوجارا (Nugara) كانوا كلهم يرتدون افضل ما عندهم من ملابس

وكانت النساء يلففن رؤوسهن بمناديل ملونة واحزمة براقة حول اجسادهن • جرى الرقص في العراء امام السقيفة والى اليسار كانت توجد بجوار حائط من طين مجموعة من المواد المكدسة لارواح آزندي وعلى صارية طويلة كان يرفرف علم احمر مخاطة عليه سكينة الطعن الخاصة ببابنجا باللون الابيض وتحت العلم كانـت خمسة اوان ملأى بالفحم تحرق فيها انواع مختلفة من البخور ووعاء فيه سمسم لبابنجا وسلة مغطاة ملأى بالبطاطا الحلوة والفول السوداني والذرة كانت معدة لروسيا وتانجا ولوالديهما • وكان هناك منقل يقوم عليه وعاء كبير من المريسة[٨] لبابنجا ووعاء اخر اصغر حجما على منقل ثان للبخور اما المنقل الثالث فكان عليه صندوق يحتوي على جميع الاغراض التي تعتبر من اعز ما يملكه الجندي السوداني ومن ضمنها قفل ،قلم رصاص ، مطرقة يقطينــة صغيرة ، بصل ودهان ابيض ومـواد اخرى ويسمى الخشب المصنوع منه الصندوق يسمى مباجا (M'baga) وفيما بعد اضيف الى هذه المجموعة من المواد كبد الخروف الذي ذبح ويتدلى من المناقل آلة لضرب القرع ، سكينة يا مبيو (Yambio) وعدد من جماجم الخراف وعظامها وارجل الطيور وهي بقايا القرابين التي قدمت في زار سابق • ويقال انه متى تجمع عدد كاف منها تعلق بحزام ويرتدى اثناء الزار من قبل الشخص الذي جعلته قرينتــه مريضا ، وقد طرحت قطعة من القماش الابيض فوق المناقل وتحت هذا المكان المقدس المؤقت كان بابنجا ونجورما موجودين بين هذه المواد •

كان فرج وماديجو عاريين حتى الخصر ، يرتدي كل منهما حزاما مزخرفا بالريش الذي كان متدليا حتى ركبهما وكان ماديجو يعتمر تاجا مزدوجا من الريش مخاطا بقاعدته ودع • اما فرج فكان يعتمر خوذة قديمة واقية مـن حرارة الشمس مزخرفة بالريش • وما ان قرعت الطبول حتى اخذ فرج يرقص امام السقيفة في حين وقفت كلتوما على الحصيرة الى اليمين ، وما لبثت ان راحت ترتجف وبدنها كله يرتعش ، وهكذا اظهرت نجورما ذاتها • خرت المراة على ركبتيها وسحبت شالها الأحمر على وجهها وهزت راسها بعنف وهي ترتكز بيديها على الارض وتخفض راسها بين الفينة والاخرى وكانت احيانا تعدل قامتها لتخفض راسها من جديد وهي تهزه بعنف اشد • خر فرج ايضا على ركبتيه ولكنه سرعان ما انتصب واقفا وشرع يرقص وهو يقفز من جانب الى آخر ويدور راسه بطريقة تجعل الريش ينتشر ثم جيء بخروف وجرى غسله وتبخيره• وفي غمرة اصوات الطبول والخشاخيش وصرخات النساء الحادة وهن يهتفن لو ــ لو ــ لو (زغروته) جز عنقه بضربة واحدة من السكين بينما جثت المراة على الحصيرة وهي ترتجف وتهتز على نحو تشنجي وصب الدم ممزوجـا بستة انواع من الروائح الشذية في وعاء حملته احدى النساء وركعت به قبالة كلتوما وقـد نشرت قطعة من القماش فوق المراتين الراكعتين وفي الوقت الذي اصبحت فيه الموسيقى اكثر صخبا شربت كلتوما قليلا من الدم من الوعاء الذي كانت المراة الاخرى تدنيه من شفتيها • كان ماديجو ايضا يرقص فيما كان فرج يقفز ويدور بخطى سريعة ولكن حركات ماديجو كانت ابطأ واكثر اهتزازا ، كان يقوم بذلك وهو فاغر الفم مزموم الشفتين جاحظ العينين ويتنفس بمشقة من خياشيمه ، وكان جسمه محنيا للامام من عند الخصر وذقنه للأعلى ومرفقاه ممدودتان للامام • وقف لبضع ثوان على ساق واحدة ثم على الساق الاخرى وراح يحرك مرفقيه للخلف والامام او يشبك يديه وراء ظهره ويرقص

بسرعة اكبر · توقفت الموسيقى فجاة ، وفي الحال كف الرجلان عن الرقص وقامت كلتوما ، التي كانت لا تزال راكعة على الحصيرة ، بتعديل قامتها ، وظلت ثابتة لا تبدي حراكا · كان يتخلل الحفلة فترات استراحة يتوقف فيها دق الطبول فجاة فيتوقف معها الرقص مهما كانت الحركات عنيفة ولو ان خشاخيش النساء وصيحاتهن كانت تستمر لبضع ثوان اخرى لان الطبل ، كما قال فرج ، هو الذي كان يثير الارواح التي كانت تبرز اعراض المس في الجسم الذي حلت فيه · وعندما يقرع الطبل من جديد تاخذ كلتوما في الارتعاش فتتمايل بجسمها وتهز راسها ، ويبدا الرجال بالرقص · وما ان يسمع ماديجو الذي اتخذ نفس التعابير المتوترة كالسابق ، صوت الطبل حتى ياخذ قطعة صغيرة من الجلد ، ويبدو انه جلد ضبع ، يرسم دائرة على الارض قطرها قدمان ، ويضع قطعة الجلد بداخلها ، ثم ياتي برجل من المتفرجين ويعطيه رمحا ويطلب منه ان يطعن الجلد ، ولكن الرجل يخطىء الهدف · وبعد ان يتواثب ماديجو جيئة وذهابا يقذف بالرمح صوب قطعة الجلد الا انه يفشل ايضا في اصابته · كان الجلد يخص بابنجا ، ولا يوجد انسان يستطيع اصابته مهما حاول · واذ ازيل الجلد وقذف بالرمح رايناه يستقر في الارض وبعدها حاول ماديجو ان يمر مجتازا الرمح غير ان قوة خفية منعته وعبثا حاول التقدم للامام لان ارض الارواح التي لا يستطيع احد اجتيازها واقعة وراء الرمح · استمر الراقصون في جهودهم يهتزون ويتمايلون ويقفزون ويدورون ويتخذون وضعيات خاصة ، بينما كانت النساء يغنين ويحركن الخشاخيش ويتمايلن باجسادهن على ايقاع الموسيقى وقد وقفت امراة اخرى بعيدة عنهن تعطيهن اشارات الايقاع بيديها · ثم خرجت امراة من السقيفة وهي ترتجف وانضمت الى كلتوما على الحصيرة وبعد ان ركعت على ركبتيها راحت تتمايل بحركات تشنجية ·

تناول فرج الذي كان لا يزال يرقص بعنف سكينة صغيرة كانت متدلية من احد المناقل وجرح بها ذراعه جرحا سطحيا ، وعندها جيء له بقرعة تحتوي على ماء فغسل الدم الذي سال منه فيها وشرب المزيج لقد فعل ذلك بناء على امر صريح من بابنجا لاعطائه القوة اذ لم يطلب منه تقديم اي قربان · وقد تلقى الامر بذلك اثناء رقصه دون ان يتفوه احد بكلمة بل وصلته الرسالة وكانه في حلم ، وفيما كان يفعل ذلك ابصرت عربة ترام تمر من على بعد ٢٠ ياردة فبرز امامي بوضوح ذلك التناقض بين البربرية والعصرية في هذه البلاد اما ركاب الترام من المواطنين فلم يروا اي تناقض في هذا الرقص العنيف الذي لمحوه بين البيوت المبنية من الطين ·

ثم غادرت امراتان السقيفة وراحتا ترقصان في العراء وهما تهزان جسديهما وتحركان اكواعهما بنفس الطريقة كالرجال ، وامسك فرج بسكين يا مبيو وراح يتواثب بعنف واهتياج بينما قلب الحوض الذي غسل فيه الخروف ، وجمع السائل ، وهو ثمين بسبب الدم الذي فيه ، ولطخ به وجوه النساء الجاثيات ·

وبعد ذلك توقفت الموسيقى وراحت نجورما تتكلم عن طريق فرج · كان يتكلم بصوت واضح وعال اكثر من المعتاد وهو يذرع المكان جيئة وذهابا ، راسه للاعلى وعيناه محملقتان · تكلم الى ملازم سوداني واخبره ان زوجته نذرت بذبح خروف ولكنها لم تفعل وانه يتعين عليها ان تفي بنذرها · بدا الرقص من جديد وراح فرج يرقص وفجاة وثب للامام ووضع احدى

يديه على الطبل فساد الصمت • سألت نجورما عن سبب مجيئنا لمشاهدة هذا الرقص وعما اذا كنا قد سمعنا عنه في الحلم • ومرة اخرى قرعت الطبول فاوقفها فرج ثانية لانه لم يكن راضيا عن اللحن الا انه غنى بعض الكلمات بلحن آخر امكن استيعابه في الحال وبدات الطبول تقرع بسرعة اكبر من أي وقت مضى • وفي غمرة هذا الرقص هرع فرج الى العلم وهزه فتوقفت الموسيقى على الفور •

واذ ذاك اعينت كلتوما على النهوض وانسحبت ، وبعد انسحابها ازيلت الحصيرة • واذ راح فرج يرقص من جديد جيء بخيزرانتين ومنشة ذباب مزخرفة كما امرتهم نجورما في زار سابق ثم دنا فرج من السقيفة وقال للمراة • « اجلسي ، انا ابو الشوك (حيوان شائك من القوارض) وساقذف برمحي » وبعدها شبك يديه امامه ، وهز كتفيه ، وراح يدور باهتياج الى ان توقفت الموسيقى مرة ثانية • وعندما قرعت الطبول مرة اخرى تقدمت امراة ثالثة وخرت على ركبتيها وهي تبدي امارات المس العادية • كانت روح نانجا ، ابن نجورما ، قد تلبستها ، وكان يريد الرقص ولكنه لم يقو على ذلك لان امه كانت ترقص في شخص فرج ولذلك تقدم فرج واعان المراة على النهوض واعطى الاذن لنانجا لكي يرقص • ثم جاء احدهم بكاس مليئة بالماء وقدمها الى فرج الذي جرع منها جرعة وبصقها كتبريك لجميع الموجودين ثم جرع جرعة اخرى وبصقها هذه المرة في الكاس واعطاها الى مراة لتشربها وتلا ذلك رقص عنيف اداه فرج وماديجو وبعدها توقف قرع الطبول • وبعد بضع دقائق عاد الرجلان الى حلبة الرقص ولم يعودا من شاربي الدم المرتدين الريش والمستحوذة عليهما ارواح جدودهما بل عادا جنديين سودانيين محترفين يتميزان بالقيافة الحسنة •

وفي هذا الزار نلاحـــظ عادات آزندي في المرحلة الاولى من انتقالها من افريقيا الوسطى الى حريم مصر • كانت الظروف التي اقيم فيها ظروفا خاصة في بعض النواحي نظرا لان السرية برمتها كانت مؤلفة من جنود آزندي ولهذا كانت الحفلة انقى شكلا مما هو متوقع لو ان هؤلاء الناس ادخلوا مباشرة الى البيوت المصرية كما يمكن ان يكون الحال لو كانوا من العبيد ولكن كلمة الزار سبق ان استعملت لتعني الحفلة ، ولا شك ان تغييرات اخرى قد وقعت في الشعائر والطقوس والحقيقة ان الروائح التي استعملت كانت من صنع اوروبي اشتريت من اسواق ام درمان •

اما المعتقدات السائدة في الحبشة فمن الصعب الحصول على معرفة اكيدة عنها • فهناك ، باستثناء الواق (Wag) (الالـــه الاعلى) ، مجموعة من الالهة الاقل اهمية تنقسم الى طائفتين : الارواح الطيبـــة وتسمى ايانا (ayana) والارواح الشريرة وتسمى جيني (jinni) • تضم الايانا الهة المساكـــن (pinates) ، وأرواح الجـــدود (manes) وهناك حتى في بيت بني حديثا ايانا ترمى له فتات الخبز على الارض عندما يدخله اهلـــه لاول مرة ، كما توجد ثمة طبقة خاصة من المشعوذين عليها ان تتولى التعامل مع هذه الارواح الشريرة وهم عـــلى درجات ومـــن اختصاصات مختلفة ، بعضهم يتنبأ بالمستقبل ، والبعض الاخر يشفي الامراض بطرد الشياطين وغيرهم يعرفون فن احداث الطقس الجيـــد وانزال المطر •

يصف بوريلي (Borelli) الاعـــراض الناتجة عن تلبس روح شريرة لاحد من الناس

ينهض الشخص في الليل وهو يشعر بالم شديد ويقال على الفور ان زارا قد تلبسه ، وكعلاج له يلوح بدجاجة سوداء فوق راس المريض ويلقى بها ارضا فاذا ماتت فهـذا بشير خير ومعناه ان الروح انتقلت الى الدجاجة وقضت عليها ، اما اذا ظلت حية فهذا نذير شر ومعناه ان الروح لم تغادر المريض • وفي انكوبور (Ankoboer) يجتمع خبراء الزار ويحبسون انفسهم ثلاثة ايام حيث يعكفون خلالها على ممارسات غامضة وغريبة • والرواية التالية عن واديجني (Waddegenni) مـن من النيجر فيها شبه كبير للحفلات المصرية •

« يدخل واديجني في اجساد النساء الشابات والفتيات بطريقة مجهولة ، فيلم المرض بالمراة التي دخلها ولكن اذا لم يعرف ان المرض ناجم عن واديجني ساءت حالتها وماتت • اما اذا اكتشف اقرباء المريضة ان سبب المرض هو واديجني احضروا طبلة وراحوا يقرعونهـــا ويصفقون بايديهم • في ذلك الوقت يكـون واديجني مستحوذا على لسان المراة فيتكلـم قائلا : « في مكان كذا التقيت بها والان اجعلوني ارقص كذا اياما واعزفوا لي كذا من الالحان » فيجعلونه يرقص عدد الايام التي طلبها • وفي اليوم الاخير يسالونه عن موعد زيارته القادمة فيقول : « ساعود بعد سنتين او ثلاث » ويطلبون منه ان يحلف بالا يعود قبل ذلك الوقت قائلين : « اذا اخطات فلم تف بهـذا الشرط وجئت قبل الموعد المحدد دعونا بان لا تصل الى اهلك وان ينالك ظلم وان تمـوت بسلاحك » فيرد هو « امين » ثم يحضرون قمحا مقليا وفلفلا احمر كزاد له • وبعد ان يتناول قليلا منه يرقص فترة قصيرة ويسقط • واذ ذاك يفركون عنق المراة بظهر سلاح حديدي ويسوقونها الى بيتها ويحملونها على دخوله فتبرا من علتها على الفور ويقولون : « لقد تركها واديجني » ولكنه يعود في السنة التي اتفقوا عليها معه ويرقص مرة اخرى ويعزفون له الالحان التي يريدها • فاذا رغب في الكمان او الناي عزفوا له عليها وزينوا المراة بالحلي التي يريدها • ولكن البعض يموت عن طريقه اذا لم يجدوا احدا يحمله على الرقص مـن اجلهم • واذا ماتت المراة بعد ذلك اخـذ واديجني جسدها وجعلها تشتغل له او باعها الى الشيطان • (هذا ما يقولونه) •

ومما سبق يتضح ان هناك احتمالا بـان يكون اصل الزار مزدوجا اي من الحبشة ومن السودان الا ان الكلمة هي بلا شك كلمـة حبشية ولا بد انها كانت معروفة في مصر قبل ان يفتح محمد علي السودان وما تبع الفتح من استيراد العبيد السود • ولكن لا ندري الى اي مدى انتشر الايمان بالارواح بين الطبقـات الدنيا • ولعل دراسة دقيقة للتعاويذ يمكن ان تكون مفيدة في هذا الشان بيد انه يجب ان نضع نصب اعيننا ان الطريق التجاري على طول ساحل البحر الاحمر كانت مفتوحة على مدى ٢٠٠٠ سنة بينما الاختلاط مع اهالي النيل الاعلى كان متقطعا واقتصر على عمليات الاغارة والنهب • وفضلا عن ذلك كانت مملكة الوا Aloa المسيحية ، لغاية القرن الخامس عشر ، تقف حاجزا بين مصر المسلمة والسودان ولكن مهما كان الوقت الذي وصل فيه الزار الى مصر موغلا في القدم فليس هناك شك بان انتشاره ، في الوقت الحاضر ، بين نساء الطبقات الدنيا ، يعود الى تاثير العبيـد السود الذين دخلوا الحريم على اساس مـن المودة والثقة وهنا سرعان ما ادخلت تعديلات على عباداتهم للاموات فتحولت الى ايمان عام بالارواح مما عزز المعتقدات التي وصلت الى مصر من الحبشة •

قيمة الأطفال في الحياة الشعبية الفلسطينية

ان للاطفال[1] في المجتمع الفلسطيني منزلة لا تفوتها منزلة اذ انهم يطلقون على البيت الذي ليس فيه اولاد « بيت معتم » والبيت الذي فيه اولاد « بيت مضوي » . فالاطفال من وجهة النظر الشعبية هم الضوء الحقيقي للبيت ، فالبيت ولو كانت تملؤه القناديل المضيئة وبدون اولاد فهو بيت معتم « حتى الجنة بدون ناس ما بتنداس وبدون اطفال مش حلوة » .

ان الاطفال في الوجدان الشعبي مرغوبون ومباركون من اهلهم ومن العائلة وخاصة الاولاد منهم وقد قيل « صحة الصغار خلف الابواب » و « عفية الاولاد ورا الابواب » فهم ذخيرة المستقبل بالنسبة لاهلهم وقبيلتهم بعكس الشيوخ الذين لا يقوون على شيء فيقولون « صحة الختيار في الدهوار[2] » ، « صحة الختيار ورا الدار » بعكس الشاب الذي يملك الكثير من قواه الطبيعية ويساعد اهله في الملمات : الحرب وغيرها اذا ما تعرضت قبيلته لغزو القبائل الاخرى فكما يسند الحجر الصغير الحجر الكبير كذلك يسند الصغار الكبار « الصغير سند الكبير » « الاولاد الصغار للكبار كالحجر الصغير للعمار » وكما يقولون « صرارة بتسند حجر » .

والبدو يشبهون الرجل بالنسبة لاولاده كالخيمة الكبيرة التي تحيط بها الخيم الصغيرة الكثيرة . وفي المجتمع الابوي يعتبرون ان استمرار العائلة هو فقط من خلال بنيها من من الاولاد ، ان الاولاد والاولاد فقط هم

---

(١) الموضوع هو الجزء الأول من الفصل الرابع من كتاب « هيلما جرانكفيست » بعنوان « مشاكل الأطفال بين العرب » . وقد تصرفت بالترجمة فخذعت المادة السياسية والمقارنات الاجتماعية . واضفت من الامثال والقصص ما يعطى الموضوع الطابع الشعبي المحض .

(٢) الدهوار : التدهور .

تأليف

د . هيلماجرانكفيست

ترجمة

نمر حسن حجاب

الذين يدعمون بيت والدهم ، انهم وحدهم الحيم التي تحيط بالخيمة الكبيرة وكما يقولون « الولد وتد الخيمة » ، فكما ان الخيمة ترفع بالحبال والاوتاد والعماد التي تثبتها وترفعها عن الارض ، فاذا نزعت هذه فان الخيمة تسقط على الارض ، ويقال « مثل ما للخيمة اوتاد فان للبيت اعماد[3] » فالبيت الذي لا ينجب اطفالا او ان اطفاله يموتون فان العائلة ستنتهي والبيت سيهدم . ومن ناحية اخرى فان البيت الذي لا ينجب اولادا ذكورا فهو بيت خرب . لانهم يعتبرون ان دار البنات خراب بتعمر لواحد غريب . ويقولون عن والد البنات في امثالهم « راح خيره لغيره » . وقصصهم[4] تحكي هذا المضمون . فالبنت التي تتزوج غريبا فانها تبني في بيت غريب تشاركه عمله وتمنحه « تخلف » الاولاد .

والبنات لا يعتبرن كافراد في البيت الابوي والرجل الذي لا ينجب ولدا ذكرا ينقرض اسمه عن وجه الأرض فلذلك يقولون « من خلف ما مات » والذي لا ينجب الذكور سلالته بتضيع أو « اسمه راح للأبد » .

اما بالنسبة للبنات فان المأساة اضخم لانهن يفقدن صلتهن بوالدهم الذي لم ينجب لهن اخا يزورهن بعد زواجهن في المناسبات والاعياد يفقدن صلتهن بوالدهن الذي لم ينجب لهن فتسمى الواحدة منهن قطيعة ويقولون عنها « مسكينة مقطوعة لا الها خي ولا بي » .

ان احترام الزوجة وسعادتها ببيت زوجها يتوقفان كثيرا على مركز والدها ومركزها عند والدها واذا لم توجد هذه الدعامة فانها تطرد من بيت زوجها او تلاقي المنغصات والمتاعب في حياتها الزوجية لانها لا تجد من يحميها ويدافع عنها .

وان ماساتها لا تقل بالنسبة لها كزوجة اذا لم تلد ولدا ذكرا . فان انجابها ولدا واحدا

---

(٣) اعماد : العمدان التي ترفع بها الخيمة .

(٤) مرض احد الفلاحين الفلسطينيين تسعة اشهر ، الربيع والصيف والخريف ، ولم يرزق بولد يقوم مقامه ، وفي ايام الشتاء وبينما هو يعمل مر به احد اصدقائه الذي لم يره منذ زمن طويل فحياه وساله : ثلاثة في ثلاثة ما أغنوك عن هالثلاث (يقصد التسعة اشهر لم تغنك عن الثلاثة التي هي فصل الشتاء) .

فاجابه : ثلاثة في ثلاثة هم احوجوني الى ها الثلاثة .

فقال له : لم لم تسر بكير ؟ فاجابه : سريت وطلعت سروتي لغيري «كانت خلفته بنات»

فقال له : اوعك اتبيع ارخيص . فأجابه : لا توصي حريص

عيشة اخضر قويدر /طبريا /المترجم

يعطيها الامان والثقة لان تبقى في بيت زوجها بعد وفاته ترعى اطفالها وتمنحهم الامان والعطف والرعاية وكما ان ام الاطفال تشعر بالسعادة عندما تمنحهم الحماية والرعاية والاحترام فان الأرملة التي لها اولاد وبنات تعزي نفسها قائلة بناتي حصيرتي واولادي غطاي

واذا كان لها اكثر من ولد تقول : « ان غمضت عين بشوف بالثانية » و « ابو عين مش اعمى » ، « علي حصيرتي ومحمد غطاي » . ويقال ايضا : « مثل ما للخيمة اوتاد فان للأرملة اولاد » .

ان البنت في المجتمع الفلسطيني في اوج شبابها تجد العريس المناسب بسهولة وتصبح ربة بيت . واذا ارادت ان تعمر في بيت زوجها فانها تمده بالأولاد الذكور . ويقبل الشباب اكثر ما يقبلون على تزوج البنات اللواتي تلد امهاتهن الذكور حتى ولو كانت الواحدة منهن متوسطة الجمال ويقولون : ما لها كل سنة بتجيب ولد ويقولون : اللي امهـــا بتجيب اولاد هي الاخرى بتجيب اولاد ، « هاي معمرة مش مدمرة » .

ويتباهى الناس في المجتمع الفلسطيني بعدد الاولاد فيقولون : فلان عنده سبعة اولاد وبنت، او ثلاثة وبنتان وانه من وجهة النظر الشعبية فان الاولاد هم المعتبرون لانهم الذين سيبقون في بيت والدهم يعمرونه ويحملون اسم والدهم واسم العائلة التي ينتسبون اليها فيقولون في امثالهم الشعبية « بيت البنات خراب وبيت لولاد[٥] عمار » .

وهناك عامل آخر لاهمية الاولاد في المجتمع الفلسطيني يجب ان يؤخذ بعين الاعتبار وهو شعور الانسان بان الفتى مهمـــا اقترف من اخطاء لا اخلاقية فلايمسه العار ولا يمس عائلته وبالعكس بالنسبة للفتاة التي اذا انحرفت فان العار لا يمسها وحدها بل يتعداها الى عائلتها وافراد قبيلتها . فسرور الميلاد الذي يجب ان يكون يتحول عند مجيء البنت الى يوم اسود عندما ينتابهم هذا الشعور وهو الخوف من ان البنت يمكن ان تسود وجه كل واحد في عائلتها واذا اتهمت فتاة بشرفها من خلال صلتها برجل آخر قبل زواجها او مجرد الاشتباه (تهمتها) بذلك فان مصيرها الموت : فالقبيلة او العائلة تجمع على قتلها ويجب ان ينفذ ذلك اخوها او ابوها فبمجرد قتلها تتخلص العائلة من عارها الى الأبد (تغسل العار) وحكايا القتل بمجرد الاشتباه كثيرة .

وعندما يفكر الناس في سوء الحظ ومـــا تجره البنت عليهم من عار وما تسببه لوالدها ولأهلها من عار لا تمحوه الايام فانهم يفضلون الا يرزقهم الله بابنة فيقولون : « هم البنات للممات » . واذا ماتت احداهن يقولون .

« من ماتت وليته من حسن نيتـــه ، موت البنات سترة » ويشعر الواحد الذي تموت ابنته بالراحة وان الله رضي عليه فانقذه من المتاعب والقلق الذي سيلاحقه طيلة حياته لو عاشت ابنته . وكم هو جميل أن تموت الابنة صغيرة موتا طبيعيا خوفا من ان يجد نفســـه في المستقبل مقدما على عمل شنيع وهو قتلها . فالبنت قد تجر الفضيحة وتسبب وجع الراس والمتاعب لأهلها .

---

(٥) لولاد : الأولاد .

وتحدث (هيلما جرانكفيست) في الفصل الرابع[٦] من كتابها السابق : لقد قالت لي نسوان القرية [٧] : كانت احدى الصبايا قد ارتكبت اثم الزنا فقد عوقبت بالقتل . وقال لي احد الرجال « ابراهيم شاهين » من ارطاس وقد كان حزينا وبائسا من منظر قتل الفتاة : البنات بسودن الوش[٨] وبقصرن العمر ما عدا فلانة وفلانة المقدسات الطاهرات وحياة ربي والكعبة المحمدية .

واثناء الصلاة كتب وهو يصلي رسالة لسيدنا ابراهيم الخليل يقول فيها : « اني اسالك الا يعيش في دار شاهين ابنة » واخذ الرسالة الى قبر سيدنا ابراهيم الخليل في الحرم الابراهيمي واسقطها داخل القبر من طاقة في الجدار الابراهيمي واستجاب الله دعاءه وصلاته فصارت اذا ولدت ابنة في عائلة شاهين تموت وهي صغيرة . وبقيت عائلة شاهين في قرية «رطاس» دون بنات لفترة كما تمنى « ابراهيم شاهين »

ان هذه القصة لتبرهن على أن باب السماء كان مفتوحا وان دعاءه قد لبي واصبح بعد هذه الحادثة اذا اراد احد شباب آل شاهين التزوج من فتاة فانه يدفع ضعف مهر العروس العادية.

ان ولدين من اولاد ابراهيم شاهين قد شذا عن موقف ابيهما فجاءت لاحدهما ابنة اسماها «مشيخة» وللآخر اخرى اسمها «سارة الخليل» واشد ما كان خوفهما من أن مصيريهما كمصير كل فتاة من بنات العائلة :

لقد كتب ولدا ابراهيم شاهين في عودتهما وزيارتهما لسيدنا ابراهيم الخليل « يا حبيب الله ان عاشت هاتان البنتان فاننا لن ناخذ ربع مهريهما » وسمعت تلك الصلاة واستجاب الله دعاءهما . ان جزءا من مهر « مشيخة » وهب الى مقام سيدنا ابراهيم الخليل وجاءها اطفال عاش منهم ولدان.ولكن عائشة عندما تزوجت فان « ابراهيم عايش » قال : انني مسؤول عن ارسال ربع المهر الى مقامسيدنا ابراهيم الخليل .ولكنه لم يفعل،فسواء ارسله الى مقام سيدنا ابراهيم او اعطاه الى ابن سارة يبقى امانة يطوق عنقه وقال الناس عنه : الا يكفي سارة وزوجها ما قاسيا من الحرمان من البنات والله ان سيدنا ابراهيم سينقم فلن يعيش لهما طفل بعد الآن وسيبتليها الله بالعمى .

ان امراة شاهين التي حدثتني هذه الاشياء وضحت لي ان آخر نذر كان كالآتي : نحن بحاجة للبنات وهذا ما جعلنا ننذر ربع المهر وبعد ان نفذنا النذر صارت تعيش لعائلة شاهين بنات .

وجهة نظر اخرى :

انه لمن الواضح وفي عكس ذلك انه لمن الجميل والضروري ان ياتي للعائلة بنات لان في زواج الواحدة منهن زوجة لاخيها « بديلة » وان عيشها ذو فائدة مزدوجة فان لم تكن

---

(٦)

(٧) ارطاس التي اتخذتها الكاتبة الفنلندية جرانكفيست » مستقرا لها خلال اقامتها في الأرض المقدسة مابين ١٩٢٥ ـ ١٩٣١

(٨) الوش : الوجه

(٩) قد تاتي البنت بزوجة لوالدها الذي لم يأته اولاد أو توفيت زوجته «كبديلة» لزوجته .

للشاب اخوات فان مهر عروسه سيؤخذ من املاك العائلة واذا اراد احد أن يزوج اكثر من واحد من ابنائه فانه يضطر لبيع جزء من ارضه او بقراته ليؤمن النقود للمهر او المهور وغالبا ما يلجأ العريس الى الخدمة عند والده او والدها سبع سنين او ثماني حتى يستطيع جمع مهر عروسه « تحويشة » .

ان هذا يرينا بوضوح ان الشاب الذي له اخت لهو في حالة افضل من الشاب الذي ليس له اخت واذا كان في العائلة عدد متساو من الذكور والاناث فان الاخت التي تصبح ارملة تتزوج ثانية وبهذا يمكن الحصول على زوجتين لشقيقين لها .

واذا كان عدد البنات في العائلة اقل من عدد الأولاد فانهن يحظن بمنزلة عظيمة ويصبحن معززات اكثر من الاولاد . فاذا كان لعائلة اولاد كثيرون وجاءتهم ابنة فانها تستقبل بفرح عظيم ويطلقون عليها « ست اخوتها » او « الخرزة الزرقة » . وهذا يدل على انها تفتخر بان لها اخوة كثيرين يجعلونها معززة مكرمة مرفوعة الراس بين ذويها .

وبالرغم من نظرتهم للبنت « ما بيجي منها الا وجع الراس » الا في حالات نادرة كما اسلفنا سابقا فان خروجها من بيت والدها عندما تتزوج يعتبر مأساة ما بعدها مأساة ويشبهون خروجها بخروج الميت فيقولون : « بيت البنات خراب لأن البنت بتبني وبتعمر لواحد آخر » والى جانب ذلك فان مجموعة من الحقائق السلبية مرتبطة بها :

اهمها وفي مقدمتها الشعور بالدين الذي يساور كل واحد منهم عندما يأخذ مهر ابنته بدلا من ارجاعه لها في الحال . وفي اعمالي الأولى اعتبرت ان فكرة مهر العروسة لا يمكن اعتباره نقود بيع لأن الناس انفسهم يميزون بين نقود بيع البنت عندما كانت تباع في العصور الوسطى كالغنم والعبيد وبين نقود المهر التي ينالها والدها في حالة طبيعية عندما تقام افراح الزواج التي يعطيها المهر قيمة اخرى .

ان بعض المحققين من الباحثين يميلون غالبا لاعتبار ان مهر العروسة هو تعويض للأعمال التي ستقوم بها في البيت الذي ستزف اليه والذي سيفتقده بيت ابيها لأنها ستذهب الى بيت آخر تعمل فيه .

واذا كانت هذه النظرية صحيحة سواء في المجتمع العربي او اي مجتمع آخر يدفع فيه مهر للفتاة فان هذه الشعوب لا تملك ان تحيد عن طريقها او عن التزامها الاجتماعي نحو هذه العادة . اذ ان هؤلاء الاقوام ينظرون الى ان المراة في بيت الزوجية الى جانب كونها زوجة فانها عاملة ثمينة . انها هي الحقيقة .

ان المراة تعمل في بيت زوجها وفي بيت العائلة . وحتى اذا عمل زوجها خارج بلده فانه لا يملك ان يحدد لزوجته عملها وكيف ستعمل في غيابه وماذا تعمل ؟ ان اهله هم الذين يقررون ذلك فيدربونها على عملها في بيتها الجديد ـ بيت العائلة ـ فهم يعتبرونها ملكا لهم كفرد اضيف الى خزينة العائلة وحقيبتها الكبيرة .

وعندما يموت رب العائلة فان الأخ الأكبر يأخذ مكانه في البيت فاذا كان اخوانه الذين يصغرونه سنا يعملون في مكان ما فانه يتفق مع صاحب العمل المسؤول عنهم بأن يأخذ هو اجرهم لأنه هو الموكل عنهم وهو الذي يصرف عليهم وعلى العائلة .

ومن الثابت في هذا المجال ان المراة عندما تشتغل خارج بيت ابيها فان اجرها كنوع من المهر يعطى كمقدمة في مهرها لان الشيء الذي تشتغل فيه تشتري منه ذهبا وجهازا لها فعندما تتزوج يكون ذهبها وجهازها جاهزين فلا يتكلف والدها كثيرا في تجهيزها ولا يصرف شيئا من مهرها فكانها بهذه الطريقة تعطي سلفة لمهرها الذي يدفع لبيت والدها وينظم من قبل كبير العائلة . وتبقى الابنه عضوا في اسرة والدها حتى بعد زواجها .

وهناك اتجاه آخر في اماكن محددة اذ يعتبر المهر ملكا للمراة تتصرف فيه . ويمكن اعتباره نموذجا يحتذى . وفي اجزاء اخرى محددة فان المهر يعطى لها بكامله او جزء منه لتجهيز نفسها من ذهب واثاث وغيره ، يسجل باسمها. واحيانا يقدم مهرها كاملا لها فاذا هي رفضته - كما هو متوقع - فانها ستاخذ قسما منه تجهز به ماتحتاجه من ذهب وملابس واثاث والباقي تمنحه لامها او لاخوتها الصغار . وفي حالات استثنائية شاذة تدفع ديون ابيها من مهرها .

وبشكل عام فان مهر البنت حرام على العائلة واخذه منها اثم عظيم الا اذا سمحت بقسم منه لاخوتها ولامها وهناك مثل شعبي يقول : « الدية ومهر الولية بقطعوا الذرية » ويقولون : « فلان طلع من خطية بنته » اي جهزها بكامل مهرها لم ياخذ منه شيئا . والذي ياخذ مهر ابنته ولا يجهزها به فان النـــاس يلوكونه بالسنتهم ويجرحونه بامثالهم : «خطايا الولايا بتهد الزوايا» ، « ما اولية الا لها خطية » .

ولا يسمحون للبنت ان تتزوج من غـير عائلتها وانه لمن العار ان تتزوج احداهن بعيدة عن عائلتها وتساعد الغرباء وتبني بيتا لهـم وتمنحهم الاولاد والارزاق[10] .

ومن ناحية اخرى فانه من الصعب على امها ان ترى كل يوم اولاد كنتها ولا ترى اولاد حبيبتها لانها بعدت عنها وتزوجت رجلا غريبا فمن الصعب عليها ان تحضن اولاد كنتهـــا الغريبة او كما تسميها « العدوة » ولا تداعب اولاد حبيبتها وتحضنهم فهاهي الجدة تشكو حالها :

الحبيب ابن الحبيبة صار يضحوك علي[11]
والعدو ابن العدوة خضخض المية علي

انه لامر مهم ان ياتي للفرد بنات ولكن لا يوجد ما يحول دون محبة الأبوين لبناتهم كما يحبون اولادهم وانهم ليشعرون بالأسى لانهم مجبرون لان ينفذوا هذا الحظ القاسي على بناتهم عندما يزوجوهن ليعشن مع الغرباء انه وعد الله .

النشاطات الخيرية والتعاونية والانسانية التي تقوم بها المراة عن طريق الاتحادات الكثيرة في الأردن وفلسطين ، في عام المراة الدولي ، كلها تشهد ان موقف الناس في فلسطين وفي الأردن من المراة قد اختلف عما كان عليـــه الوضع قبل اكثر من اربعين سنة !

(هيئة التحرير)

---

(١٠) ما يمكن ان ترثه من والدها او والدتها بعد موتهما .

(١١) حاولت جدة ان تقطع نهرا وكان حفيداها - ابن ابنها وابن ابنتها - يقفان على حافة النهر ينظران اليها فاشرفت الجدة على الغرق لولا ان نزل ابن ابنها وانقذها بينما كان الآخر يضحك دون اكتراث بالأمر - فرحة موسى - اجزم/حيفا .

الحياة الشعبية
في أحياء عمان القديمة

نتحدث في هذا الفصل من ملامح الحياة الشعبية في عمان القديمة عن مرفقين في الحياة هما : المخابز والاضاءة .

أ ـ المخابز

خمس طرق استعملت للخبز منذ نشوء المدينة ، وهذه الطرق حسب أقدميتها هي :

١ ـ الصاج .
٢ ـ صينية الرمل .
٣ ـ الطابون .
٤ ـ التنور .
٥ ـ الفرن المسقوف .

١ ـ الصاج :

الصاج استعمله البدو الذين استقروا في مدينة عمان من حين لآخر[1] وهو عبارة عن قبعة حديدية رقيقة تثبت عند الحاجة على ثلاثة حجارة بحيث يمكن ايقاد النار تحت هذه القبعة حتى تسخن جيدا ، بعد ذلك تقوم الخبازة برق العجينة بحيث تصبح بحجم ظهر الصاج المحدودب وتضعها فوق الصاج الساخن لمدة لا تزيد عن دقيقة واحدة في أقل الاحيان وهي المدة الكافية لخبز العجينة بعدها تنتزع الرغيف باطراف أصابعها . ويسمى الرغيف المخبوز على الصاج الشراكة « بتسكين الشين وفتح الكاف وتسكين التاء المربوطة » كما تسمى طريقة الخبز بواسطة الصاج بـ « التشريك » .

والمرأة هي التي تقوم عادة بعملية الخبز هذه مراعاة للقيم الجارية بين البدو ، اما المواد المشتعلة في موقد الصاج فهي عبارة عن أعواد النباتات الجافة والبلان[2] ويقوم بجمع هذه الاعشاب أي فرد من العائلة نظرا لتوفرها قريبا من المنازل وبيوت الشعر .

---

(١) هؤلاء البدو هم جماعة الشيخ سطام الفايز شيخ بني صخر وقد كا يمتلك نصف المدينة وله قرب مطحنة مقرا خاصا يسكن فيه في بعض ايام الربيع والشتاء .

(٢) البلان ـ اعشاب مستديرة الشكل كانت تنبت في اكثر انحاء المدينة وبالاخص على ضفاف السيل .

٢ ـ صينية الرمل :

يروي لي الحاج بلال يوسف وهو شركسي ، انهم كانوا يخبزون على صينية مصنوعة من الرمل احضروها معهم من روسيا عند استقرارهم في مدينة عمان ، ويبلغ طول هذه الصينية حوالي ٦٠ سم بحيث تتسع لعدد من الأرغفة • اما طريقة الخبز بواسطة هذه الصينية فهي تشبه طريقة الخبز بواسطة الصاج الا ان هناك اختلافا واحدا وهو وضع طبق آخر من النار فوق الصينية بحيث يمكن خبز الرغيف من الوجهين وتحميرهما معا • « ما تزال هذه الصينية موجودة عند الرجل المذكور أعلاه » •

٣ ـ الطابون :

من المعروف ان الطابون قديم قدم الصاج في الريف الأردني والفلسطيني ، وقد استعمله الفلاحون القاطنون في المدينة كما استعمله الشركس أيضا • والطابون عبارة عن جرة ترابية يكون سمكها حوالي ٥سم مفتوحه من الجهتين اي بدون قاعدة ، وهذه الجرة مثبتة في الارض بعمق ١٠ سم تقريبا ، وبعد تثبيت الجرة يوضع الحصى في وسطها ويلاحظ ان للطابون غطاء له مقبض يسهل امساكه منه •

وطريقة الخبز بالطابون معروفة لدى الكثير • اذ تشعل الخبازة الجلة أو التبن الجاف من حول الطابون بحيث يطمر بهذه النار لمدة تزيد عن



ساعة تقريبا وهي المدة الكافية لتسخين الجرة والحصى من الداخل • بعد ذلك تقوم بالخبز بتناول قطعة من العجين الموضوع بجانبها بعد أن تجعلها رقيقة وتضعها داخل الطابون الذي يتسع لعدد من الأرغفة حسب حجمه ثم تغلق الطابون أو تغطيه لمدة عشر دقائق أو أقل ، بعد ذلك تكشف الغطاء وتتناول الأرغفة واحدا تلو الآخر وعندما تنتهي الخبازة من هذه العملية تضع الغطاء فوق الطابون وتعيد بعض النار الهامدة فوق الغطاء الذي يبرز منه مقبضه لمسكه عند الحاجة وفي اليوم التالي تبدأ نفس العملية بعد ازالة الرماد وقذفه خارج المنزل •

٤ ـ التنور :

فرن التنور يشبه الى حد بعيد جرة الطابون الا أنه اكبر حجما بالطبع بحيث يبلغ قطره من الداخل حوالي المتر تقريبا وفرن التنور لا يصنع في عمان اطلاقا انما احضره

معهم الشوام عند قدومهم الى المدينة في مطلع العشرينات • ويقول الحاج عقاب الجفير أن أول من احضر التنور الى عمان هو السيد خالد عريجي الشامي سنة ١٩٢٥[٣] ويقول الحاج الجفير أنه شاهد صناعة التنور بمدينة دمشق بواسطة مكابس خاصة وهو خليط من التراب (الطين) والشعر :

يثبت التنور في الحائط عموديا بحيث يمكن للخباز أن يقف قبالته واقفا وينحني بسهولة كبيرة عند الخبز • وعند الاستعمال توقد النار في داخله ويلاحظ ان للفرن «داخون» خاص بتمرير الدخان يبرز من اسفل التنور الى الخارج وطريقة الخبز بالتنور طريفة للغاية اذ يمسك الخباز عجينة الرغيف ويبدأ برقها على مخدة قماشية ، ربما تكون محشوة بالقطن والطريف في هذه الحركة ان الخباز يرق العجينة بتحريك كلتا يديه بشكل دائري ، ومع هذه الحركة يقوم لاشعوريا بتحريك كتفيه ورأسه بنفس السرعة التي يحرك بها يديه فيظهر بذلك وكانه راقص ماهر •

بعد رق العجينة يحملها على نفس المخدة ايضا ويرمي بها الى جدار التنور من الداخل بنفس السرعة السابقة ، وتستغرق مدة « استوى » الرغيف حوالي دقيقة واحدة بعد ذلك يتناوله الخباز باطراف اصابع يده الواحدة •

ويسمى الرغيف المخبوز في فرن التنور (بالتنوري) أي باسم الفرن نفسه كما يسميه البعض برغيف « المشروح » اي المنبسط الا انه من الملاحظ ان رغيف التنوري أكبر حجما من رغيف المشروح وأرق اذ يبدو رغيف المشروح سميكا بعض الشيء •

٥ ـ الفرن المسقوف القديم والحديث :

الفرن المسقوف عبارة عن غرفة صغيرة يكون طولها حوالي مترين او أكثر وعرضها كذلك وارتفاعها مترا او اكثر تقريبا ، ولهذا الفرن خشبات يكون طول الواحدة بحجم طول الفرن من الداخل بحيث يمكن للخباز تناول الأرغفة بواسطتها وهذه الخشبه تشبه الملعقة المبسطة تقريبا •

اما ارضية الفرن فهي مبلطة بالحجارة الرقيقة التي يبلغ طول الواحدة منها حوالي ٢٠ سم ، وتقسم الأرضية الى قسمين الاول للأرغفة والثاني للموقد الذي تحرق فيه بقايا الاخشاب الصغيرة ونخالة النجارة وفي بعض الاحيان القش ويلاحظ ان في سقف الفرن من الداخل داخونا لتصريف الدخان المسمى عند البعض « بالشحبار » •

---

(٣) يلاحظ ان التنور يستعمل بقصد انتاج الخبز وبيعه للمستهلكين ومن الصعب استعماله بشكل خاص في المنازل نظرا لاتساع حجمه ولما يتطلبه من مجهود اثناء الخبز •

تبنى غرفة الفرن بحيث تكون اعلى من مستوى نطاق الخباز وبذلك فهو يقف في وسط حفرة صغيرة ليتمكن من الخبز .

ويقول الحاج رشدي السعـودي وهو من أقدم من سكنوا مدينة عمان ان النوابلسة هم اول من نقل الفرن المسقوف الى المدينة وان المدعو الحاج ابو احمد الهندي « من نابلس » هو من أقدم اصحاب الافران المسقوفة « قبل العشرينات » وقد كان فرنه يقـع في شارع الملك طلال في طلعة خرفـان واهم هذه الافران ايضا فرن ابو قاسم العطعوط في شارع الرضا وابو احمد ابو صوفة في شارع الامير محمد ـ موقع سوق الخضار القديم ، وابو محمد المتولي ـ موقع سوق البخارية الحالي حيث هدم الفرن في مطلع الخمسينات وأقيم بدلا منه السوق المذكور .

ب ـ الاشعال والاضاءة

أ ـ وسائل الاشعال :

استعمل سكان مدينة عمـان وسيلتين لاشعال المواقد والاضـاءة

اما الوسيلة الاولى فهي الزناد واما الثانية فهي خيوط الشمع وفيما يلي لمحة عن هاتين الطريقتين :

١ ـ الزناد :

يتكون الزنـاد مـن ثلاثة أشياء وهي قطعة الفولاذ المثلثة الشكـل وحجر الصوان الصغير وعشبـة (القدحة)[٤] .

ويقول الحاج راشد الرشيد انه كان شخصيا يصنع الزناد ، ويصف طريقة استعماله بالقول : أمسـك حجر الصوان المبسط وعشبةالقدحة متلاصقين بيد وأمسك قطعة الفولاذ باليد الأخـرى ثـم أضرب الفولاذة بالحجر ضربة أو اثنتين فتشتعـل عشبة القدحة رأسا وبذلك أتمكن من اشعال السيجارة او الموقد أو الضو .

٢ ـ الشمع :

اما خيوط الشمع فتشبه اعواد الثقاب المعروفة وعند الاستعمال كان يضرب الشمع بالأرض الصلبة أو الجدار أو الصفى فتشتعل الأشياء المطلوبة .

ب ـ أشكال الاضاءة :

١ ـ فخارة الزيت ٢ ـ السراج
٣ ـ القنديل ٤ ـ الضو
٥ ـ اللوكس .

١ ـ فخارة الزيت :

وهي عبارة عن وعاء طيني صغير يشبه نصف الكوب أو الصحـن

---

(٤) عشبة القدحه تشبه الملوخية الا أنها ترتفع عن الارض بطول ٢٠ سم تقريبا كما ان ورقتها بيضاء من الاطراف وخضراء من الوسط ، وهذه العشبة تنبت في الأرض الصلبة ، وقد كان الاهالي يقطعونها ثم يقومون بتقشير اعوادها وفرك أوراقها فتستحيل الى خيوط ناعمة سهلة الاحتراق .

الصغير ويحفر في طرف الوعاء فرزة صغيرة تبرز منها الفتيلة ، وتمتد الفتيلة داخل الوعاء الممتلىء بالزيت كي تشتعل طوال امتصاصها للزيت

٢ ـ السراج :

هو عبارة عن وعاء من التنك مخروطي الشكل يشتعل بواسطة الكاز تبرز الفتيلة من رأسه وتحـرك بـواسطة عمـود أفقـي في منتصف المخروط (الجرس) وقـد بدىء باستعمال السراج في مطلـع الثلاثينات ٠

٣ ـ القنديل :

عبارة عن زجاجة رقيقة تأخذ شكل البيضة المطولـة وتحيـط بالزجاجة ثلاثة اسلاك معدنيـة لتثبيتها فوق الوعاء المعدني الممتلىء بالكاز وللقنديل نفس الجرس الذي يحرك الفتيلة في اسفل الزجاجة وقد كان الناس يحملون القنديل في أثناء توجههم للسهر عند تبادل الزيارات بين بعضهم ٠

٤ ـ الضو :

والضو يشبه القنديل مع بعض الاختلافات اذ لا توجد الاسلاك التي تحيط بالقنديل ، وبذلك يسهل رفع الزجاجة واعادتها بسرعة اكثـر ٠ وقـد اشتهر هذا الضو بالنمرة فيقال ضو نمـرة ٤ ، ونمـرة ٣ ، ونمرة ٢ تبعا لحجم الزجاجة ومن الملاحظ ان كثيرا من العائلات التي تعيش في عمان تحتفظ بهذا الضو لاستعماله عند الحاجة أو حتـى استعماله باستمرار ٠

٥ ـ اللوكس :

اللوكس هو صورة مكبـرة للقنديل مع بعض الاختلافات وهو أن الوعاء المملوء بالكاز يصنع من المعادن الثقيلة كالنحاس ، واختلاف أخر ان زجاجة اللوكس اسطوانيـة الشكل من اعلى ومن أسفل وذلك لتعكس ضوء اكبر كما ان للوكس « دفاشا » كدفاش البابور تمامـا وعمودا صغيرا كعمود البابور يفتح ويغلق لاخراج الهواء « والذي يسمى بالتنفيس » ، بالاضافة ان للوكس قطعة قماشية رقيقة تثبت في داخله وهذه القماشـة « التي تسمى بالشمبر » هي التي تضيء الزجاجة ، كمـا ان للوكس غطاء بحجم قطره الزجاجة ويسمى بالطربوش ، ولا يمكن اضاءته في الهواء الطلق دون وجود الطربوش بعكس ذلك اذا أضيء داخل الحجرة وبقي معلقا فيها ٠

وقـد عرفت عمان اللوكسات عندما قامت البلدية في مطلـع الثلاثينات بتركيبها على الاعمـدة الخشبية المثبتة في الشوارع الرئيسية وكانت البلدية توكل هذه العملية الى متعهد مختص وقـد علـق في شوارع عمان اكثر من سبعـين لوكسا كانت ترفع على الأعمـدة بواسطة بكرات خاصة دون اللجوء الى السلالم ٠

الأزياء الشعبية الرومانية

يضم العمـل الأسـاسي لالكسندرينا اناخسكو ثمانمائة لوحة توضح العناصر الأساسية للـزي الروماني . ويشمل مشاهد فذة من حياة الفلاحين في كل المناطـق الرومانية .

وقد صدر الجزء الأول من ذلك العمل في عام ١٩٣٩ وما زالت خمسة اجزاء اخرى منه تنتظر النور .

وقد كرست المؤلفة (٩٠ عاما) جهد طيلة حياتها لمتابعة رصـد الحياة الشعبية في رومانيا ، وعملت لفترة من الزمن كمدرسة للزخرفة في بخارست وكان من اهم أهـداف عملها هو الحفاظ على طبيعة الزي الشعبي في مواجهة اساءة عرضـه

زي قديم من Dobroudja



Roman زي من



Severin زي من

في أعمال حديثة في المدينة ولأغراض غير علمية وتركز اختيار المولفة على الأزياء القديمة والنقية والتي لم تمتد اليها يد التعديل والتطوير ، وحاولت أن ترصد التتابع في صناعة الأزياء الشعبية ذات المضمون الفني منذ العهد التراقي • وترصدت ذلك النوع من ألبسة سكان الجبال الذين أبدأوا في استعمال الملابس كمجرد أشياء لحمل الأسلحة وتعليقها • وقد أدت مثل هذه الدراسة الى دراسة أفكار وتاريخ الجماعات الرومانية الشعبية من خلال تتبع تطور استعمالها لأبسط قطع الأزياء الشعبية حتى وصلت الى ما وصلت اليه من استعمال الأزياء التقليدية الحالية الغنية بطابعها الفني وزخارفها المتعددة •

ان تصاميم الزخرف هي براهين على التفكير الفني لدى الناس في الوسط الشعبي ، فعندما نرى شكل طير على بعض أنواع السجاد المخصصة للتعليق على الجدران فاننا نحس بوجود وحدة زخرفية ، ذات معنى ، ورمزاً لتعبير بدائي يخفي وراءه أفكار ومعتقدات ترى في الطير كائنا ذا قيمة خاصة تتصل بتفاؤل الانسان • وكذلك فان جمال



زي من Olt

الزخارف على القمصان التي يرتديها الفلاحون هي بالاضافة لكونها ذات قيمة جمالية تحمل اهمية الحياة الشعبية وغناها عبر الزمن ، وهي أيضا وثيقة نفسية فنية وفوق ذلك فان الأزياء الشعبية الرومانية عاشت في ثنايا الشعر الشعبي ، وأبرز الشعر قيمتها الفنية ومضامينها الاجتماعية والاقتصادية والنفسية وقد ظل الزي الشعبي الروماني بعيدا عن التاثيرات الأجنبية ، وأعطى انطباعا بأن أساليب التكوين والزخارف والموتيفات الموحية بالمعتقدات الأفكار الأساسية هي من وحي بيئة محلية صرفة .

ولا بد من الاشارة الى مقدرة المؤلفة الكبيرة في الحفاظ على الألوان الأصلية والتي كانت تستعمل في التطريز وبث القطع الملونة هنا وهناك في الملابس . وبذلك حافظت المؤلفة على التناسق اللوني الذي قصدة الحرفي الشعبي وأرسى شكله النهائي عبر تجارب طويلة ومجهودات استغرقت أجيالا بكاملها وهكذا كان عمل المؤلفة بالاضافة لكونه البوما ، تطلع من خلاله على صور الأزياء الشعبية ، وثيقة فولكلورية علمية أيضا .



زي من Lunca Mures

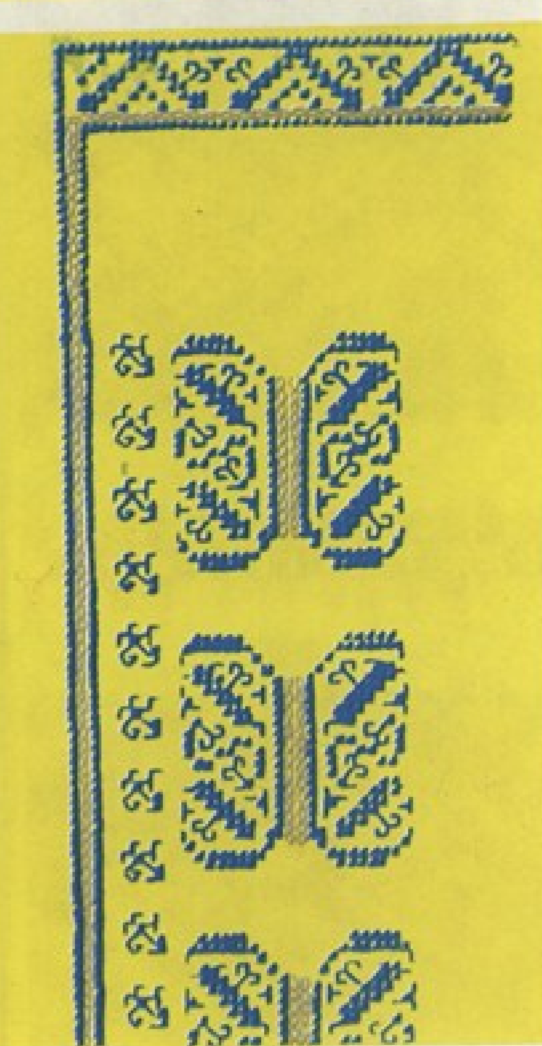


قطعة من تنورة من Bistrita Nasaud



Lunca Mures غطاء رأس من





زي من Mehedenti والى جانبه تفصيلات من الكتف

من البادية الأردنية

دبيس بن فايز [1]

روكس العزيزي

لم تكن المشاكل التي بين (بني صخر) و (بني عطية)[2] قد سويت بعد ، فجمع (دبيس) جمهورا من (بني صخر) وقرر ان يغزو (بني عطية) • فلما وصل الغزو الى ديار بني عطية ، اراد (دبيس) ان يراقب القوم عله يجد منهم غرة للاغارة عليهم فارتقى جبلا ، وسرح بصره ، فراى في السهل المجاور فتـــاة ومعها رعية[3] ، هي خليط من الضان والماعز • فخشي ان يراه احد ، فيفسد عليه الخطة ولا سيما انه كان يمتطي فرسا زرقاء تسهـــل رؤيتها ، وفيما هو منحدر من الجبل سمع الفتاة تناديه « يا خيال الزرقا ، افلح ، دونـــك اللبن ! » فرد عليها : عسى ها لوجه يفلح ، الفلاح ما ينلطم[4] » قصدها ، فلما اقترب منها سحره جمالها • لكنه راى ملابسها رثة ، ارتدت فوقها بقايا عباءة مهلهلة فقامت في قلبه معركة ، الجمال الآسر • الثياب الرثة ، رعاية الماعز • الخصومة بينه وبين اهلها ، فلم يدر ، كيف يخرج من هذه المآزق الحرجة •

ملات زكرة حليبا[5] وقدمتها له ، « اشرب حياك الله • يا ضيف الرحمن ، حضرت وما حضر واجبك ! » اجاب : « عيني خير يابنت ، هذا فضل من الله ، من يد نشمية •»

لم يصرف بصره عنها ، وكاد ينسى انه جاء غازيا ، وانه عقيد غزو ، وان القوم ينتظرون اخباره ، فهو طليعة ، وقد تطوع لهذه المهمة تطوعا ، مع انها ليست من مهام العقيد • فقال في نفسه : « اقسم بالله العلي العظيم لو ان هذه الفتاة لبست ملابس لائقة لكانت اروع واجمل من شاهدت في حياتي من الفتيات • ولما رات الفتاة ان نظرات (دبيس) تكاد تعريها خفضت بصرها حياء ، واستجمعت شجاعتها وقالت : « يا ضيف الرحمن ، احس والله انك تاكلني بعيونك ، وحنا خلاوية بالخلا ، عساها ما طريت على بالك القايلة ؟ •

اجاب : « اللي خير يا بنت ، انا مالحت ، وما انا من اللي يخونون الملحة • من اي عرب ؟ »

قالت : « عطوية ! •• » •

(دبيس) في حياته ـ قبل ذلك الموقف ـ لم ينظم شعرا ، فما احس الا والشعر يتدفق على لسانه ، فقال :

« على مـــا قال (دبيس[6] بـــن فايز)
مـــن فـــوق زرقـــا كالحليـــب الصافي
لقيت لي غفرة[7] على جال[8] روضة وحاجز[9] ،
ترعى غنم سمر[10] ، وضانا ارهافي[11] ،

احلبت لي قديحا عل الدر(١٢) مايز(١٣) ،
يا لونها الوضاح(١٤) بالثلـج خافي (١٥)
يـا بنت يـا اللي تسرحين المواعز(١٦) ،
من سرحك ، عسى دمومـه(١٧) هـوافي .
يبـلاه بشلفـا تطعنـه بالحوايـز(١٩)
والا بحيـة سمهـا(٢٠) لفـافي
مـن علمك لبس العباة الجرامز(٢١)
يصلح لـك الثوب الحريـر الضافي(٢٢)
يـا بنت ازين هودجك بالجزايـز(٢٣)
واركبـك ع الضمـر(٢٤) العيـافي
يصلح لك يا بنت عبدا محارز(٢٥) ،
وجمـل ظهيرا(٢٦) ، تتليـه اسلافي(٢٧)
يصلح لك يـا بنت شيخ الفايـز ،
وانـت حليلـه لادبيس الصـافي !..

فردت عليه شعرا :

آهيـه ياالشيـخ الفطـين العـارف ،
يامعدل (٢٨)الحجة بزين (٢٩) القـاف
اي الرفيق اللي مشى لك محتـذي ؟
واي الرفيق اللي مشى لك حافي (٣٠)

انا ما بشفي(٣١) ملولح آردونه(٣٢) ،
ولا هفوتي عنـد الوليـد الهـافي
انا ما بشفي مكحـل (٣٥)العيونـة ،
ولا رقعا(٣٦) وسط العرب ، غير يافي(٣٧)
الغي(٣٨) عندي ، مـن يحفـل سابقه
ويروي (٣٩) الغلب ، ويثقل الخفاف (٤٠)
يلحق براعي (٤١) عودة تجفي بـه ،
مـن شر راعي(٤٢) مهر مزهـاف
انا بشفـي من يسلـت عقلهـن
بليلة ظلما ، يكثر بهـا الولاف(٤٣)
الغي عندي(٤٤) مـن يحشم ضيفـه ،
بليل كانون الطويـل ، الجافي(٤٥)
انا عرفـك يا (دبيس الفايز) ،
لفيت(٤٦) حبي ، يـا فتى خطـاف(٤٧) !
خوفي عليك يا راعي الجواد ان تنذبح ،
لن جاك راعي الهرشة(٤٨) الجرداف (٤٩)
يـوم ان سليمان الخميس(٥٠) يحول ،
يـدعي(٥١) شراشب سابقك(٥٢) وقـاف ،
حنـا البلاوي ، لابتلينـا بالبـلا ،
لن درهم (٥٣)الصابور بام شنـاف !

● ستشرح القصيدة شرحا كاملا بيتا بيتا في آخر المقال .

شرح مجمل لقصيدة (دبيس) :

● على ما ذكر (دبيس بن فايز) ، وهو راكب فرسا زرقاء كانها الحليب الصافي .

● وجدت فتاة كالغزال الصغير بالقرب من روضة ، بجانب واد .

● جلبت لي في قدح ، حليبا يمتاز على كل انواع الحليب ، ولون هذه الفتاة ، لا يمكن التفريق بينه وبين الثلج .

● ايتها الفتاة التي ترعى الماعز ، من الذي جعلك راعية ، اسال الله ان يجعل دمـه مهدورا .

● وليقدر له الله رمحا يمزق قلبه ، او يرسل له بحية لا نجاة من سمها .

● من الذي علمك لبس العباءة البالية ، في حين انه يصلح لك ان تلبسي ثوب الحرير الواسع ، الطويل ، الذي تلبسه نساء الزعماء .

● ايتها الفتاة انا اجمل هودجك باجود انواع الحرير ، وأجعل أجود الابل النحيفة مركبا لك ، وهو في قوله هذا يعرض عليها الزواج .

- فانت يجب ان تعاملي معاملة الاميرات ، فيخصص لخدمتك عبد ، ويخصص لك جمل قوي ، تسير خلفه عربان كثيرة ٠
- والذي يصلح زوجا لك هو شيخ عشيرة الفايز ، وتكونين حليلة لـ (دبيس) الصافي النسب ٠

شرح مجمل لقصيدة (مقبولة) :

- اناديك ايها الشيخ الذكي المدرك لبواطن الامور ، الذي خلقه الله قاضيا ، يقوم حجج المتخافين بالكلام المركز ٠
- ايما افضل المتكبر ، ام المتواضع ٠
- انا لا ارغب في الزواج من الذي لا عمل له سوى الزينة ولا لي رغبة في الشاب التافه ٠
- وليس لي رغبة في الذي يسابق النساء على الكحل ، ولا في قليل الحياء ، الذي لا قيمة له ٠
- لان شرف الرجل وجماله وكبرياءه في رأيي في اعداد فرسه للمعارك ، والذي يروي رمحه من دماء اعدائه ، وقد كنت عن الرمح بالغلب ، وهو ريش نعام يعقده الفرسان المشهورون على اسنة رماحهم ، لكي يظهروا في المعركة وكانهم ينادون خصومهم للمبارزة ٠
- الذي يدافع عن صاحب الفرس المسنة ، ويحميه من الشباب الأهوج ، صاحب المهرة المروضة حديثا ، المتسرع ٠
- انا اتمنى شابا يفك عقل الابل في الليالي المظلمة ، التي يكثر فيها المطر ٠
- واعتقد ان كرامة الرجل وكبرياءه في اكرام ضيفه في ليالي كانون الطويلة القليل خيرها ٠
- انا اعرفك يا (دبيس الفايز) ، فقد جئت الى حينا ايها الفتى لتنهبنا وتخطفني ٠
- انا اخاف عليك ياصاحب الفرس ان تقتل اذا جاء والدي صاحب الفرس المسماة الهرشة ، الذي تعود ان يلقي الرجال عن خيولهم ٠
- فاذا جاء والدي سليمان الخميس وترجل عن فرسه فانه يجعل فرسك تعدم صاحبها ويخلو سرجها منك ٠
- نحن بلاء للناس اذا أرادوا لنا الاذى خصوصا اذا سار المشرفون على المعركة بسرعة وقد سبوا اجمل النساء !

بعد ان اتمت قصيدتها ، ظهر على البعد فارسان ، رآهما (دبيس) وشاهد رمحيهما يلمعان ، وقد تقلد كل منهما سيفه ، فاشارت اليه الفتاة قائلة : « لا اريد ان اراك مذبوحا ولا ذابحا ، فهذا اخي وذاك ابن عمي لقد اصبحت ضيفي ، وانا انصحك ان تنحدر مع هذا الوادي ٠ وعندما تصل مفترق الطرق اتجه الى الشرق فهو اسلم لك ٠

فكر (دبيس) قليلا وتردد ، لانه لم يرد ان تشعر الفتاة التي احبها انه جبن من مواجهة فارسين ، لكنه لما رأى اصرارها

قال : « ويش اسمك » ؟ قالت : « اسمي مقبولة ، الله يسهل عليك ٠ » وابوك ؟ : « سليمان الخميس » ٠

اخرج من جيبه قارورة طيب كان قد احضرها من دمشق ، في موسم الحج ، وقال « هذي تطيبين بها » ٠

اخذ يحدث نفسه ، « هب اني ذبحت الرجلين ، وخطفت (مقبولة) ، وعدت انا والغزو بفتاة ـ خطيفة ايليق بي ان اتزوج التي احببتها على هذا الوجه ، بعد ان اكون قتلت اخاها ، وابن عمها ، وتظل تشعر كلما اويت الى فراشها اني غاصب لهـا قاتل لاهلها ،وتحس كل ليلة ان من واجبها ان تثار مني لاخيها ولابن عمها ، ولنفترض ان الامر كان نقيض ذلك ، وقتلني الرجلان فاية فائدة جنيت ، يوم افضح سر الغزو الذي جئت طليعة له ؟

ان الحكمة تقضي بان اتبع نصيحتها ! ٠٠

فعلا انحدر مع الوادي ، قبل ان يصل الفارسان فاحست بان قلبها انتزع من بين ضلوعها ، ففتحت قارورة الطيب فاستروحت منها رائحة ، لاعهد لها بها ، انها شـيء يختلف عن رائحة الشيح والقيصوم والعبوتران والخضيرا ٠ فمدت يدها التي لامست القارورة الى شعرها ، واخذت تتابع ابن فايز بنظراتها ٠

فلما وصل الفارسان ، سالها ابن عمها ـ الذي هو خطيبها من ثلاث سنين ـ من كان هذا الفارس الذي كت الشعيب ؟ ٠

اجابت : « الحق اني لم اعرفه ، لكني ادركت من لهجته انه ليس من ديرتنا ! قال ابن عمها ، : « ما دام الرجل ليس من ديرتنا ، فلا بد من اللحاق به واخـذ فرسه ، وسلاحه وملابسه ، واذا كان من الاعداء ، نذبحه ٠

قال اخوها : « ان كان من بني صخر خص نص ، والله ، كود يموت ! »

اجابت مقبولة : « هذا ضيفي ، حلبت له لبن وشرب ومالح ، ومن راس راعـي الهرشة ، ما فيكم اللي يصله ، هذا ضيف كيف نبوق الضيف ؟ » ٠

اصر ابن عمها على اللحاق به ، لكن اخاها قال : « الرجل ضيفنا ، والله لو انه ذابح اقرب الناس لنا ، ما نغدره ، ما يجوز ان نصير فضيحة بين العربان ، ماذا يقول الناس ؟ سيقولون انا ذبحنا ضيفنا بعد ما مالحنا طمعنا في الفرس والسلاح ، والرجل سلم ، والله لا يحسد السالم سلامته وانا سمعت والدي يقول : « الشارد ، لا تلحقة » انا ما اقول هذا خائفا من الموت ، لكن حقوق الضيافة وبوادي العرب مـا تسمح بالبوق ٠ الشارد لا تلحقه ، تفطن على باله المراجل ٠

التفت ابن عم (مقبولة) اليها ، قال : «اشم عليك ريحة طيب ، من اين لك هذا وانت مع الغنم ؟ اقسم بالله ، ان بينك وبين الرجل لعبة الرفيق ودفاعك عنه ، يدل على ان بينكما امورا لا تشرفك ، ولا تشرفنا ، الله يخونك ! ٠٠

انفردت (مقبولة) باخيها ، وقالـت : دعنا من حماقة ابن عمنا ، اخبرك ان ـ ضيفنا هذا هو (دبيس الفايز) زعيم بني صخر ، وهو عقيد غزو ، له اول وما له آخر ، والعرب

عندنا خلوف ، واقسم لو انه اغار علينا واراد ان يذبح كل من في الحي لكان قادرا ، وهو بعد ان شرب اللبن اعتبر نفسه ضيفا لنا ، وسيتوجه مع الغزاة كلهم الى جهة اخرى ، واعتقد ان هذه الضيافة التي رتبها الله ، ستكون فاتحة صلح بيننا وبين بني صخر .

اجاب اخوها : « بارك الله فيك يا وجه الخير ! » .

انفعل ابن عمها ، وقال : « انا اعلم انك صرت عشيقة له ! عقب لحرابة ، تصير حريمنا عشيقات لابن فايز ؟ ! انت خائنة ! ..

قالت (مقبولة) : « الخاين شاربك ، هذا ضيف ، لا هو عشيق لي ولا هو عشير ، والضيف ضيف الله ، وصى به النبي ! »

قال ابن عمها : « اقول خائنة وذبحك حلال ! » .

قالت مقبولة : « احسن وجه ، انا ما عاشرت واحدا من الانذال ضافني زعيم بني صخر ، وكرمته ، قمت بواجب الضيافة ، والله ساقه ضيفا ، وحمى العرب من غارته ، وهذا (دبيس الفايز) ضيفته شرف ! . غضب ابن عم (مقبولة) وانتهرها وشتمها ، وكاد يتبارز هو وشقيق مقبولة ، لولا ان شقيق مقبولة استعمل الحكمة ! .

فانبرت مقبولة لابن عمها مرتجلة بيتا من الشعر :

هذا ذعار الخيل (دبيس ابن فايز)

البيض يمــه شيعن بالطمـــاح[٥٥]

اجاب ابن عمها : « والله لولا خوفي من الفضيحة لاجعل سيفي يشرب من دمك ! انا ادري ان الانثى ان حبت تفقد عقلها ، والله لولا خاطر عمي ، ما اقفى من عندك ، وانت حية ! ..

اجابت مقبولة : « ترى نقل السيف ، عوار على الفتى ، » .

الا ان يكون امضى من السيف راعية !

سيفك لا تسحبه على (مقبولة) وراك ! .

قال لها اخوها : « عودي بالغنم ! » .

عادت بالغنم الى المضارب ، وفي الصباح كان ابوها قد علم بالقصة مفصلة ، فامرها ان تبقى في البيت ، وطلب من اختها (مفاضي) ان تذهب لترعى الغنم ففعلت .

شهر مضى ، ومقبولة تشعر بان جسمها يضمحل قليلا قليلا ، شعرت وان نفسها عازفة عن الطعام ، شعر ابوها انه في موقف حرج . لا يدري اي طريق يسلك . غاب والدها واخوها عن الحي ، فنادت قصيرا لهم من الشرارات ، ووعدته اذا نجحت وساطته ، وتزوجت (دبيس الفايز) . ان تهب لــه ثلاث نياق . واوصت الشراري بما يلي قل له (تسلم عليك) (مقبولة) وتقول لك : « تراها خطا من خطوط عباتك ، وان جنبت عنها ، تجنب عن نطيحك[٥٦] كاد الرجل يطير فرحا ، سالته هل تعرف منازل عربهم ؟ اجاب : « اعرف ، هم اما على (الثمد) [٥٧] اما في (ام العمد) .

في النهار التالي ، توجه الشراري الى عربان (بني صخر) . فلما وصل الى شــق (دبيس) اندس بين الضيوف ، وبعد العشاء اخذ يتحين فرصة ليخلو بـ (دبيس) ، فلما انفض المجلس ، دنا الشراري من (دبيس)

وقال له : « انا ارسلتني (مقبولة) تقول لك انها خط من خطوط عباتك ، وان جنبت عنها تجنب عن نطيحك . »

قال (دبيس للشراري) تمهل عندنا ثلاث ليال ، وبعدها تاخذ ناقة وتسير معنا فقد نحتاج اليك في مهمتنا ، اختار دبيس ثلاثة من اشد رجاله وسار معهم ، والشراري يدلهم على الاماكن الخالية الى ان وصلوا الى مكان اسمه (خربة ارخنة العشا) ، فقال لهم الشراري : .

« ليكمن (دبيس) في الخربة ، اما الباقون فليتفرقوا على الطرق المؤدية الىالحي واتركوا تدبير الامر لي .

كمن (دبيس) في الخربة ، وتفرق رفاقه على الطرق المطلة على الحي الذي تقيم فيه (مقبولة) ، وعند عودة الرعاة مساء ، اندس الشراري بين الرعاة فلما قرب من الحي اخذ يشايع [58] كرعاة الابل ، والرعاة يهزاون به ويقولون : » شرارينا انجن » ثم اخذ يقول : » ابشرك يا هنه ! ارع شوقك بارخنه ! » ردد ذلك مرارا ، الى ان راى مقبولة تخرج من الخيمة وتطل عليه ، فادرك انها فهمت ما اللغز به اما اهل الحي ، فازداد ضحكهم على الشراري وقالوا : فلاح الشراري ، شره عليه انجن . بعضهم قال : « لا تلوموه ، تذكر ابله التي نهبها الغزاة من نحو سنة ، وها هو ذا يشايع لها ، كان الله في عونه !

عندما نوم الناس ، انسلت (مقبولة) من فراشها وقصدت الي (دبيس) فاردفها خلفه وسار هو ورفاقه الثلاثة .

ولما وصل الى منازل الفايز ، وضع مقبولة في بيت احد الوجهاء ، وارسل الى الرجل جاهة [59] بحسب العادات المتبعة في هذه الاحوال . ففرض النائب عن والد (مقبولة) لها مهرا ، كاغلى مهور بنات الزعماء ، وارسل الى والدها يخبره ان بنته قد تزوجت على سنة الله وسنة رسوله ، بشهادة وجهاء العشيرة ، وان مهرها موجود عنده امانة ، ما يضره غير ماه ومرعاه ! .

وصل الخبر الى (سليمان بن خميس) ، فقال : « ابن فايز ، ما نلوم الحريم يوم يطمحن له . الله يبارك له . »

اما ابن عم (مقبولة) فثارت ثائرته وعد ذلك مؤامرة على شرفه ، ورجولته ، فطلب من عمه الحق فعين لهم يوم لجلسة الحق . وجاء كل منهم يورد حجته ، فكانت حجة ابن عم مقبولة على هذا الوجه .

قال ابن عم مقبولة (زويد)[60] .

جيتك هدي قدي ، حقلي وحقك بدخلن على اربعة واربعين نبي ، من الميمسية ومن ميلة الحق الردي ، وانا حاطها بعيونك السود وبربيعك القصود ، وبحلابات الحليب ونسافات العسيب ، واعرة وما تجيب ، من شيء ظاهر لك وغبي علي ويش لك يا قاضي العرب بعمي هذا ، اللي قضب راسي عن كل بنات عمي ثلث سنين وبنته (مقبولة) على كيسي وعقبه برضاه تصل لابن فايز ، وياخذ فيدها وهيعلى الحساب حرمتي . ان شاء الله اني يوم لزمت مقعدك ، الحقه با عزام ، واجرام ، ثلث اسنين اللي عطلني بهن عن الجيزة . والا يدبر لي عروس مطبها . وتالي حجة الا يلم عندك .

وتلاه والد (مقبولة) فقال .

ويش [61]لك يا قاضي العرب ، يا فكاك النشب ، بولد اخوي اللي يطالبني بحق ،

عمره ما انسمع بالدنيا ، وبنت وحبت لهـا رجل وخذته ، لا شاورتني ، ولا قالوتني • وان شاء الله اني يوم لزمت مقعدك ، ان ابن اخوي هذا ماله عندي لا طلب ، ولا حـق عرب ! •

وبعد ان عدل حججهما سال كل واحد منهما : « هذي حجتك » ؟ فاجاب كل منهما زودت ما نقصت • عرض عليهما الصلـح فرفض كل منهما ان يقبل المصالحة ، فطلب من كل منهما ان يعين كفيله ففعلا ، فقال :

« من عندي ومن عند اجاويد الله قبلي :

ان ابو مقبولة يحلف بقوله : « حـق هالعود ، والرب المعبود ، والكاذب ماله مالود اني ما عندي خبر عن مقبولة ، غير عقب ما صارت عند ابن فايز • » لا حق الله ان ما حلف ، يلزمه ان يطلب لـ (زويد) انثى ، وهو يدفع سياقها • اما ان حلف فمن عندي انه يدفع لـ (زويد) عن كل سنة سرحتها (مقبولة) ثمن فطمان(٦٢) نصهن ذكور ونصهن اناثي هتف (زويد) الله يسند حظك يا قاضينا !

اما ابو مقبولة فقد طلب مـن القاضي (سوم الحق)(٦٣) لكن القاضي ، رفض ، فاضطر لان يدفع ما حكم به القاضي بعد ان اقسم اليمين الذي فرض القاضي صفته وطلب القاضي من (زويد) ان يحلف يمينا بانه في خلال هذه السنين الثلاث كان يراجع عمه طالبا منه ان يسمح له بالزواج ، فحلف انه كان كل سنة يطلب من عمه ذلك ، وعمه كان يماطل الى ان حصل ما حصل •

وقد عاش (دبيس الفايز) هو ومقبولة حياة هنئة ، وولدت له اولادا اشتهروا في البادية شهرة مستفيضة •

شرح :

(١) دبيس بن فايز ـ زعيم الطوقة ، والطوقة اسم يشمل قبيلة بني صخر بكل فروعها غالبا • وينقسم بنو صخر الى فخدين كبيرين هما :
أ ـ الطوقة ويتالفون من ـ ١ ـ الغبين ، ـ ٢ ـ الفغل ، ـ ٣ ـ وخضير •
ب ـ والكعابنة ، ويتالفون من ـ ١ ـ الخرشان ، ـ ٢ ـ والجبور •
وبنو صخر او الصخور من العرب القحطانية ، وهم من قبائل الاردن القوية•

(٢) بنو عطية من قبائل الكرك ، وهم اصلا من الحجاز ، ومن العرب العدنانية • يقولون ان جدهم اسمه (معاذ) ويعرفون احيانا بعرب المعاذي • ويقولون ان معاذا هذا خلف ثلاثة ابناء ، هم ١ ـ عطية ، ٢ ـ عقيلان ٣ ـ وخميس •

(٣) من عادة بني عطية قديما ان رعاية الماشية خاصة بالاناث لان الانثى تجد عارا ان يرعى رجلها الغنم ، فالرجل للغزو او لغيره من الاعمال •

(٤) لا يرفض ولا يرد •

(٥) وعاء صغير من جلد يحمله الرعاة للحليب •

(٦) معنى دبيس ، الذي يجيء بالدواهي ، ويقهر الرجال •

(٧) جفرة الظباء ، استعارها للفتاة •

(٨) جال ـ جانب ، بقرب •

(٩) حاجز ـ واد .

(١٠) غنم سمرا ـ ماعز .

(١١) وضانا ارهافي أي مع الماعز عدد قليل من الضان .

(١٢) الدر ـ الحليب .

(١٣) مايز ، يمتاز .

(١٤) الوضاح ، المشرق .

(١٥) خافي لا يمكن تفريقه .

(١٦)المواعز جمع ماعز .

(١٧) دمومه جمع دم دماؤه .

(١٨) هوافي ، مهدورة لا يؤخذ له بثار ، ويضطر اهله الى التنازل عن المطالبة بدمائــه لعجزهم عن الاخذ بثأره .

(١٩)الحوايز ، مفردها حايز المقتل والمقاتل التي لا شفاء لها .

(٢٠) السم اللفاف ، الذي لا ينفع فيه علاج .

(٢١) الجرامز ـ البالية .

(٢٢) الفافي الواسع الطويل الذي تلبسه نساء الزعماء .

(٢٣) اجود انواع الحرير .

(٢٤) الضمر العيافي ـ اجود انواع الابل الضامرة التي لم تذلل بالحمل .

(٢٥) محارز ـ مخصص بالخدمة .

(٢٦) جمل ظهير قوي .

(٢٧) تتبعه عربان كثيرة .

(٢٨) معدل الحجة ، مقوم دعوى المتخاصمين ، بعد ان يدلي كل منهما بحجته ، يعيد القاضي صياغة دعوى كل من الخصمين ، وتسمى هذه الصياغة تعديل الحجة ويسال كلا من الخصمين هذي حجتك ، فيرد الخصم ـ الله يعدل بختك زودت ما نقصت .

(٢٩) زين القاف ـ جيد الشعر ، ويعني هنا الكلام المركز

(٣٠) ايما افضل الذي جاءك متكبرا ام الذي جاءك متواضعا ، وهي كناية لطيفة .

(٣١) شفي ـ رغبتي .

(٣٢) كناية عن الذي لا عمل له سوى التزين .

(٣٣) هفوتي ، قصدي .

(٣٤) الهافي ، التافه .

(٢٥) مكحل عيونه المتجمل كالنساء .

(٣٧) حقير لا قيمة له في الحي .

(٣٨) جمال الرجل عندي ، هو أن تكون فرسه متهيئة للطراد .

(٣٩) يروي الغلب ، يروي رمحه من دماء اعدائه ، وكنت عن الرمح بالغلب ، وهو ريش نعام يربط على سنان الرمح ليشتهر صاحبه بانه محارب لا يهرب .

(٤٠) يثقل الخفاف يكسب الخائفين شجاعة ويجعلهم يثبتون في المعركة ·

(٤١) ـ يحمي صاحب الفرس المسنة تراجع من ساحة القتال ·

(٤٢) ويقيه من شر شاب متسرع بمتطي مهرة روضت حديثا ، وقد صغرها لهذا الغرض فقال (مهيرة) ·

(٤٣) انا مشتاقة للذي يفك عقل الابل وينهيها في ليلة مظلمة كثيرة مطرها ·

(٤٤) الفخر عندي لمن يكرم ضيفه ·

(٤٥) الجافي القليل خيره ·

(٤٦) لفي ـ جاء ·

(٤٧) خطاف ، نهاب وهي هنا بمعنى غاز ·

(٤٨) اسم فرس والدها ·

(٤٩) الجداف ، الذي تعود ان يلقي الرجال عن خيلهم ·

(٥٠) زعيم عشيرة الخميس من بني عطية ·

(٥١) يدعي · يجعل ·

(٥٢) فرسك

(٥٣) درهم مشى بسرعة ·

(٥٤) المراة الجميلة ·

(٥٥) معنى البيت هذا هو الرجل الذي يرعب الفرسان (دبيس بن فايز) جميلات النساء اعلن ، انهن هاجرات ازواجهن ، واتجهن نحوه طمعا في ان يصبحن حليلات له ·

(٥٦) اذا قالت البدوية لرجل هذا الكلام لزمه ان يتزوجها ، والا عد ساقطا من معاني الرجال

(٥٧)موضع في اراضي بني صخر ، شرقي مادبا ·

(٥٨) المشايع والمشايعة ، نداء راعي الابل لابله لكي تتبعه · كقوله : « وهوي وهوي ، باعلى صوته ·

(٥٩) بنو صخر ، لا يقرون الخطف ، فاذا اتفق شيء ، من هذا القبيل اقاموا وجيها مقام والد الفتاة ، لكي لا تظل النساء يعيرنها ، بانها خطفت ·

(٦٠) كانوا قد جعلوا الرزقة باطولية · أي ان خاسر القضية هو الذي يدفع رزقة القاضي والرزقة بمنزلة الرسوم في الدعاوي الرسمية · فتبادلوا الرزق ، واقاموا كفلاء

(٦١) نلاحظ هنا ان والد الفتاة ، لم يعرض حجته على الطريقة المألوفة ، التقليدية ، بل جدد فيها ، وهو حق من حقوقه ·

(٦٢) فطمان جمع فطيم ، وتطلق على صغار الماعز ذكورا واناثا ·

(٦٣) سوم الحق اصطلاح في البادية يشبه الاستئناف في المحاكم النظامية · وهو يكون ، بعرض الحكم على قاض عشائري مشهور ، ليبدي رأيه فيه فينقضه ، او يقره · لكن القاضي حر ، في ان يسمح بسوم حقه او لا · فان لم يسمح ثبت الحكم الذي اقره ·

مدخل لدراسة

الأكل الشعبي

البحث عن الأكل هو شغل الانسان البدائي الشاغل . والانسان في الوسط الشعبي يعتبر البحث عن الأكل لعائلته ولنفسه محور اهتمامه وشغله الشاغل وقت العمل ووقت الراحة . وهو مسؤوليته الأولى والأخيرة ، فلقمة العيش هي مبتغاه وهو يقول .

« الواحد بركظ (يعمل) مشان لقمة اولاده » .

وعند الحديث عن « الاكل الشعبي » نجد هناك الاكل اليومي المعتاد وهو اكل بسيط يتالف عادة من الحبوب والألبان والخضر والنباتات البرية التي ظل الانسان الفلسطيني يعتمد كثيرا على نتاجها وخاصة في الأجزاء الشمالية الغربية من فلسطين حيث تسمح الأمطار بوجود غطاء نباتي وجد الناس فيه مصدرا خصبا لقوتهم . كما ان هذا الغطاء النباتي ساعد أيضا على وجود طيور وحيوانات برية كانت مصدرا آخر لغذاء الانسان . يضاف لذلك الساحل الفلسطيني الغني بالسمك وغيره من صنوف الصيد البحري . وهكذا كان « الأكل الشعبي » يتخذ مادته من خيرات بلد يعتمد على الزراعة والرعي ونبات البر وحيواناته وصيد البحر . ويتباين الأكل الشعبي بتباين البيئة ، ففي شمال فلسطين وساحلها حيث تتنوع المنتجات الزراعية والحيوانية نجد هناك تنوعا في قائمة الأكلات الشعبية وظهور اكلات يتضح فيها طابع الرفاه ، بينما تتميز أكلات السكان في اقصى جنوب فلسطين وجنوبها الشرقي بانها تعتمد على المصدر شبه الوحيد للحياة وهو الألبان ولحوم الماشية والحبوب . (وانظر حرف ن نبت ـ نبات ، حرف ع ـ عمل ـ صيد البر وصيد البحر ، حرف ح ، حيوان) .

وهناك « أكلات المناسبات » والتي تتسم بانها اكلات احتفالية وغنية بموادها مثل اكلات ، الظيافة ، والولادة ، والزواج ، والوفاة ، والطهور ... الخ .

ويتضمن الأكل الشعبي أكلات ذات صبغة علاجية (انظر طب شعبي) واخرى سحرية ذات قدرة على تحقيق معجزات ما (انظر سحر) وفي حديثنا عن الأكل الشعبي فاننا نتوخى هنا ان نبرز الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي أثرت على وسائل ومصادر قوت شعبنا . وبعد ذلك نتحدث باسلوب تسجيلي عن قائمة الشراب والطعام التي عرفها الفلسطينيون واساليبهم الخاصة في

اعداد وتناول هذا الطعام . واخيرا نتناول بالدراسة ادوات الطعام الفلسطينية التي ابتكرها الصانع الشعبي متناولين كل ذلك بما يبرز شخصية شعبنا الوطنية ومحاولين ان نربط بين هذه التقاليد وبين منشاها الجغرافي في الأرض والقرية والمدينة الفلسطينية مع ذكر الراوية واسم القرية كلما كانت هناك وثائق مدونة تتناول ذلك .

ومع بداية الربيع تكتسي ارض القرية الفلسطينية بالأعشاب ونباتات البر وتعتبر القروية ان جزأ من واجبها هو جني هذه النباتات البرية لصنع طعام منها . وهي تقوم بذلك كجزء من واجبها في جمع الوقود من الحطب و « روث الحيوانات » وملء الجرار بالماء الى غير ذلك من الأعمال التي تعتبر من اعمال المرأة في الوسط الشعبي . وهناك نباتات برية كثيرة استغلتها الفلاحة الفلسطينية لصنع الطعام لأسرتها مثل اللوف والعلك والحميظ والمرار والزعمطوط ... الخ مما سنتناوله عند دراستنا لقائمة الأكلات الشعبية .

وفي الصيف تتكيف اكلات الناس مع ثمار الفصل مثل البندورة والخضرة والعنب والتين والبطيخ . وهناك قول ماثور يؤيد ما ذهبنا اليه .

– في التين فش عجين وفي البطيخ فش طبيخ .

ذلك لأن التين يملأ البطن ويشبعه فيغني عن الخبز ، كما أن البطيخ يؤكل مع الخبز فيغني عن الادام ، و « الطعام المطبوخ » .

اما في الشتاء فتقتصر الفلاحة في اعداد الأكلات الشعبية على ما اختزنته من حبوب ولبن مجفف وغير ذلك مما تدخره لليالي الشتاء العاصفة الباردة والتي تتميز بنضوب الثمار ونبات البر . وقد تعرضنا لموضوع خزن المؤونة في فقرة قادمة من موضوع الأكلات الشعبية .

ويجدر بنا ان نميز بين طعام المدن والقرى فهناك هوة كبيرة بين الأكلات الشائعة في المحيطين ، محيط المدينة ومحيط القرية . ومرد ذلك عائد الى ان المدينة الفلسطينية شانها شان المدينة في كل مكان من الأرض العربية كانت مقاما للمجموعات العسكرية التركية من دالاتية ، أكراد ، أرناؤوط ، مغاربة ... الخ .

وكانت هذه المجموعات فضلا عن انها ذات مستوى معيشي مرتفع بالنسبة للسكان المحليين الفقراء فانها ايضا نقلت معها اكلات اجنبية تركية وسواها . وتتسم هذه الأكلات بطابعها البرجوازي اذا ما قورنت باكلات الفلاحين الذين اعتمدوا على بقول البر وحبوب الفلاحة وثمار التين والعنب والبطيخ والبان المواشي وطبخها بطريقة بسيطة توفر المرق للخبز الجاف في احسن الأحوال .

يعتقد الفلاح العربي الفلسطيني ان الاكل قسمة ونصيب ، وان الانسان لا يمكن ان



ياكل شيئا الا ما قسم الله له به . ويقول الناس عندما يوجهون الدعوة لكثيرين لحضور مادبة اجتماعية : « اعزم والزم والأكل نصيب » ، فمن المحتمل ان تدعو شخصا لتناول الطعام فيؤخره سبب او آخر عن الحضور بينما يتناول الطعام شخص لم يحسب حسابه اصلا . ولذلك يقال : « مش لمن سميت بل لمن قسمت » اي الطعام قد لا يكون لمن صنع من اجله بل لمن قسم الله له به .

قالت لي أم محمود (عرب العوجا ـ يافا) مرة ذبح الشيخ عدة خراف ليطعم « زباط البوليس » وعند الظهر لم يات احد منهم للمادبة فقد انشغلوا في يافا عن المجيء . وهكذا تجمع العربان « لياكلوا الطعام » . وقد سمعت الشيخ يقول مخاطبا «مصلح» وهو رجل « عن جنبه » .

ـ كل يا مصلح .. الله بكسر جمل ع عشوة واوي .. يلله ما حدش بوكل نصيب حدا .

وذكرت لي الحاجة آمنة « دير الغصون ـ طولكرم) ان عبد الجبار عاد عصر ذات يوم الى منزله ، وقال لامراته انه جائع وانه يريد منها ان تسرع لاعداد طعام له . وقالت له امراته انها ستفرغ من طبخ « الكرشات » بعد اقل من نصف ساعة .

ولكن الرجل لم ينتظر بل اخذ بنفسه يقلي بيضة واحدة بزيت الزيتون . وبعد ان انتهى من القلي انزل المقلاة عن النار وبدأ ياكل ... وعندما تناول اللقمة الثانية سمعت رجلا يناديه . وخرج عبد الجبار ليرد على من يناديه . وما هي الا لحظات حتى سمعت صوت رصاص ينطلق . وصرخ عبد الجبار . وخرجت امراته لتجده قد مات .. واضافت الراوية .

ـ اكل نصيبه ... هاللقمتين اللي الله قسم له فيهن نصيب . بده يوكلهن غصبن عني وعنك .

وعندما ياكل شخص ما من طعام ، ثم يعلن اكتفاءه قد يلح احدهم عليه لتناول المزيد من الطعام . ويجيب ذلك الشخص :

ـ اكلت اللي الله قسم لي فيه نصيب . ولا يموت الانسان الا اذا « انقطعت لقمته » كما لا يسافر الى بلد ما الا اذا كانت « اله لقمة » في ذلك البلد .

قال لي ابو الفهد (دير نظام ـ رام الله) :

« يا ابن العم ... مش رايحين نطلع من شغلنا الا تاتنقطع هاللقمة » .

واذا دخل شخص على جماعة من الناس وهم ياكلون فانهم يدعونه للطعام فيقول :

ـ سياسة والا احواسة ؟ .

اي هل ساقني اليكم نصيبي في هذا الطعام ام كان ذلك نتيجة لطوافي الدائم بالناس . يجاملونه قائلين :

ـ انطح فالك .. نصيبك جابك ... وقد يمازحه احدهم قائلا :

ـ اي اقعد كل ... ما انت مثل الجاج رزقك بين رجليك ؟ .

اي لولا انه يسير على رجليه لما وصل الى الطعام ، ومثله مثل الدجاج الذي يجد رزقه في حركة رجليه وحفره للتراب .

وقد تصل الممازحة لدرجة ان يقول احدهم :

ـ قال اللي قبلنا ... كلب داير ولا سبع نايم ؟ .

وهناك اعتقاد بان الاكل نعمة من الله ، وان هذه النعمة من الممكن ان تزول اذا لم يصنها الانسان بالشكر والعناية بها وعدم تركها تداس بالاقدام ، فعندما يجد الانسان في الوسط الشعبي قطعة خبز ملقاة على الارض ، فانه يتناولها ويمسح الغبار عنها ويقبلها ويضعها على جبينه تقديرا وتقديسا ، ثم يلقيها لقط او كلب لياكلها او يضعها جانبا في جحر ليستفيد منها فار او نملة .

ويروى ان رجلا غنيا احس بان امواله ومواشيه تتزايد بكثرة واكثر مما يبتغي ، فجاء هذا الرجل الى النبي[1] وعبر له عما يحس ، وفهم النبي مقصده ونصحه بان ياكل وهو ماشي . وصار هذا الرجل ياكل اثناء المشي وقد علق في رقبته كيسا ليمنع تساقط فتات الاكل على الارض خشية من الله وبعد مدة لاحظ هذا الغني ان امواله ومواشيه تتضاعف ، فذهب الى النبي وشكا له فقال له النبي : « اللي[2] بصون[3] النعمة الله بزيد له اياها » ويمكن ان يفسر هذا الاعتقاد بخشية الانسان وخوفه المستمر من زوال النعمة والمجاعة وهي مسالة رافقت وجدان شعبنا طوال عصور الاحتلال التركي – الانكليزي الاسرائيلي .

الطعام الاكثر والافضل في الوسط الشعبي – – خاصة الاوساط المتخلفة – هو من حق الرجال والكبار اولا ثم ياتي دور النساء والاطفال . وفي حالة وجود الضيوف الجندرما التركي ، البوليس او اي مندوب للسلطة حتى ولو كان «مباشر المحكمة» او «مندوب الصحية» فان الطعام الاكثر والافضل هو من حق هؤلاء . اما الابناء والنساء فدورهم ياتي بعد ذلك وهم ياكلون ما يتبقى و « بقرقطوا » العظام ، فالناس في الوسط الشعبي – وبتاثير عهود طويلة من الحكم الاجنبي واذلال الفاتحين – يتملقون ممثلي السلطة مهما كانت ويفضلونهم في الطعام على ابنائهم ونسائهم ، اما الرجال فهم بطبيعة الحال يتناولون الطعام مع هؤلاء الضيوف ، سواء من كان منهم ضيفا بترحيب صاحب البيت او بدون ذلك . وبالطبع لم يعدم الناس في الوسط الشعبي رجالا رفضوا هذا التقليد الشعبي ، وتقول حكاية متوارثة ان «جندرما تركي» برتبة ضابط اعتاد ان «يتغدى» كل يوم عند شخص من سكان قرية فلسطينية وبعد ان ينتهي الغداء كان هذا الجندرما يجلد صاحب البيت ! ! هكذا تجبرا واقتدارا . وذات يوم جاء الدور لاحد رجال القرية من ذوي الانفة والكبرياء . وعند الظهر وصل الجندرما مع رجاله ليتناولوا الطعام ، ولكن صاحب الدار ابلغهم انه لم يحضر لهم الطعام . وعندما سالوه . عن السبب قال :

– ماهي معروفة ... هالقتلة هي قتلة ، يلله اقتلوني ؟؟

وحول الطعام الافضل والاكثر من حق الرجال وجدت في ارشيف الاكلات هذه الملاحظات التي دونتها :

– في عام ١٩٦٦ قال لي شاب من قرية متحولة من البداوة الى الاستقرار (السواحرة – القدس) ان الرجال ياكلون اولا ثم ما يتبقى من الطعام تاكله النساء والاطفال .

– في عام ١٩٦٨ سمعت رجلا مسنا في الثامنة والسبعين من عمره يقول لابنه ذي الثمانية اطفال : « اكلت معهم ؟؟ واشو بده يطلع لك بينهم ؟ » .

– في عام ١٩٥٢ كنت اعيش بجوار اسرة يعيش فيها اخوان ولهما ثلاثة وعشرون

طفلا . وكان اكبر الابناء الذكور طالبا في المدرسة الثانوية ومن المحتمل ان يصبح الرجل المنتج الأول في الأسرة كانت امه تخصه بطعام ذي قيمة « لانه شو بده يطلع له من بين القرمط ؟؟ » .

- ذكرت لي « ام عبد الرحيم - مخيم البيرة انها اعتادت أن تخصص الرغيف المتنشف لزوجها . وتخصه باكل قناصة الدجاجة وتقلي له اللحم المفروم الذي تقتطعه من حصة الأسرة لأنه « بتعب مشان الجميع » .

- عندما كنت في الثامنة من عمري (علم ١٩٤٥) حضرت عرس جارنا ابو دراب (السنديانة - حيفا) . وفي المساء ذهب الرجال لصدر البيت لتناول الطعام . ووقفت مع الصغار . وعندما انتهى الرجال من الطعام حملت « الجاطات » الى الساحة السماوية للدار لياكل الأولاد وهم يجلسون القرفصاء ما تبقى من طعام .. لم تكن الجاطات تحمل قطعا من اللحم ؟؟ .

- في عام ١٩٥٤ سمعت الأخت الكبرى في اسرة تناقش امها بحدة وتعترض على تمييزها للابن الوحيد في الاسرة وتستنكر موقف الأم في انها تخص الولد بالطعام الأفضل والاكثر . وقالت تلك البنت : « ليش ؟؟ هو من قدام واحنا من ورا » .

تبلغ انانية الرجال في الاستحواذ على « الطعام الافضل والاكثر » حدا لدرجة انهم لا يسلمون امور طبخ الأكلات الاحتفالية للنساء على الرغم أن مهمة طبخ الطعام هي مهمة نسوية بحته ، ففي مناسبات الطبخ في الأعراس والمآتم يتولى الطبخ المباشر او الاشراف عليه - على الأقل - رجلان او اكثر . ويعتقد الرجال ان النساء « بوكلن اللحم وبسودن الوجه » .

ويدعي الرجال « انهن بدسدسن لاولادهن واولاد بناتهن » .

واذا كانت النساء تتصرف بهذا الأسلوب فان مرد ذلك يعود الى وضع نفسي بحت ، فالمراة تعرف انه يجب وضع جميع قطع اللحم على « الجاطات » أو « المناسف » دون ادنى حساب للنساء والأطفال . وكذلك فمن المحتمل ان تعود المناسف خالية من اللحم وبذلك تحرم النساء والأطفال . هذا من جهة ومن جهة اخرى فان تناول اللحم في الوسط الشعبي مقصور على أيام ذبح الذبائح في مناسبات معينة (انظر ضمن قائمة الاكلات فيما بعد) (لحم) . وفي معظم الحالات يتصدر الرجال والضيوف والمدعوون من الذكور الجلوس على المآدب ويأخذون الأولوية على النساء والأطفال .

وهكذا تعتقد النساء في مثل هذه المناسبات ان « اللحمة مغاورة » فهي من حق المراة التي تغير أولا والا ما ترك الرجال شيئا . وازاء ذلك انبثق من مجتمع الرجال قول شعبي مؤداه « النسوان بتوكلنش باشي »[٤] .

روت لي السيدة (ح - السنديانة - حيفا) . في اربعين المرحوم اخي وكلت امراة في الخمسين من عمرها بتنقية الجوز واللوز من الشوائب تمهيدا لاضافته الى المنسف . وشاهدتها اكثر من مرة وهي « ترمع » الحبات . وبعد فترة وأثناء تقديم الطعام الى المدعوين لاحظت ابنة عمي أن حبات الجوز تنزل من تحت حزام تلك المراة وتسقط الى الأرض فقالت :

- ياعمتي الجوز واللوز بنزل من تحت زنارك .

وتظاهرت المراة بالضحك وهي ترد :

– يقطع شرك ، هذول حبتين خبيتهم لاولاد ابني ؟؟؟

وروت هذه السيدة عن مناسبة اخـرى فقالت : « ذهبت الى الطيبة في عرس العبد » مع عدد من النساء المسنات في « العيلة » . وعندما وصلنا الى بيت العروس انهمكت انا مع الصبايا في تمشيط العروس و «تلبيسها» بينما انهمكت النساء في الطبخ . وبعد ساعات مررت بالبيت الذي يطبخ فيه الطعام فوجدت واحدة من النساء المسنات تنهش قطعة لحـم كبيرة . وعندما راتني ضحكت وغرفت قطعة اخرى غير ناضجة – من اللبن – وناولتني اياها « ع نص رغيف » وعندما تمنعت قالت :

– ولك خذي – ... لحمة العرس مغاورة .

الحاجة عايشة – السنديانة – حيفا :

« يـوم عرس اخوي[٥] حسن . شفت[٦] ليقة بتطول[٧] اللحم وتمرطه[٨] قلت لابوك . صار هو وابو سكينة يحرسوا الأكل . بدنا نبيظ وجهنا مع العزايم[٩] .

وروت عليا للدكتورة جرانكفيست ان نساء ذهبن الى قرية المتعزية . وقد خبات واحدة منهن قطع اللحم في صدرها . وفي صباح اليوم التالي وعندما كن على وشك العودة الى قريتهن كان لا بد لهن من اداء «رقصة الردح » الأخيرة وحتى لا يكشف امر المراة التي خبات اللحم في صدرها فانها طلبت من النســـاء ان يتمايلن بلطف[١٠] .

وهناك ايضا قول ماثور يوضح خـوف المراة وتحسبها من محاسبة الرجل لها عـلى الطعام : « لا توري جوزك العدس بنسافته ولا الفول الخظر بنقابته ولا لحم البقر وهو ني . والمعروف ان كلا من هذه المواد ، العـدس المجروش قبل ازالة الأجزاء المطحونة منه ، الفول الأخضر قبل تنظيفه من القشر ولحـم البقر قبل الطبخ يقل حجمها بعد (التنسيف) التنظيف من القشر والطبخ ، وتخشى المراة ان تتهم بانها اكلت من الطعام قبل مجـيء زوجها .

ام سالم – اكزازة :

« بقى ابو سالم الله يرحمه «بطوني»[١١] ... نجيب[١٢] اوقية اللحمة . اقلي له اياها يظل يوكل تايشبع[١٣] ان ظل اشي اكلت انا ولاولاد . ما ظلش[١٤] ما فش[١٥] .

وتقول حكاية متوارثة ان « جندرمة » نزل ضيفا عند فلاح فلسطيني . وقد ذبـح له الفلاح بالطبع دجاجة – وكان الفلاح مضطرا لذبح دجاجته التي تضع البيض لطعـــام اطفاله في مثل حالات وصول ضيف اجباري كالجندرمة – وعندما وضعت الدجاجة امام الجندرمة فاضت عبقريته عن هذين البيتين من الشعر الشعبي والذي يؤكد مضمونهما ما ذهبنا اليه من ان الطعام الأفضل والأكثر هـــو للضيوف والرجال . قال الجندرمة :

اوركني واصـدر نفسـك
واعط الأولاد الأجناحـا
واظربهـا بالسلكفـه
يفتح عليك الفتـاحـا

وتصور الحكايات رجـال الجندرمـا يسخرون من طعام مضيفهم اذا لم يكن مؤلفا من لحم الطيور ، تقول احدى هذه الحكايات ان جندرما نزل عند مضيفه وطلب منه ان يعد له طعاما خفيفا ، واعد المضيف طعامـا من القرع والعدس ...

– وعندما وضع الطعام تساءل الجندرما :
– اهذا طعام خفيف ؟
– نعم ... قال المضيف .

- ورد الجندرما ساخرا :

- اما اللي بطير من حيط لحيط مش خفيف .

الجوع في الوجدان الشعبي :

لم يمارس شعب فلسطين حكما ذاتيا ، بل ظل يعيش في ظل الاحتلال الأجنبي وقد قهر في آمور رزقه واصبح محل استغلال الفاتحين الذين سرقوا اقوات الشعب واتباعهم واستغلوا الاقطاعيين والمشايخ للتسلط على الفلاحين وابتزازهم واستغلالهم استغلالا بشعا وجعلهم في مرتبة الاقنان والعبيد . وبالطبع فنحن لا نتحدث فقط عن مئات السنين التي خلت ابان الحكم المملوكي او العثماني بل ايضا ما زلنا نذكر الاقطاعيين واشباه الاقطاعيين مثل آل سرسق الذين باعوا مرج ابن عامر وقبضوا ثمنه من الصهاينة وتركوا الفلاحين الفقراء لتطردهم شرطة الاحتلال بالقوة .

هذا فضلا عن ان الخمسين سنة الأخيرة من عمر البلاد شهدت صراعا دمويا شبه مستديم خاضه الشعب في سبيل الاستقلال ومن جهة اخرى فقد عانى الشعب من نزيف دموي هائل تمثل في آلاف الشهداء الذين قدمهم الشعب على مذبح آمال التحرر الوطني والاستقلال واذا ما اضفنا ذلك الى زحفة الجراد فيمطلع هذا القرن والابتزاز الضريبي البشع الذي مارسه الحكم العثماني بالاضافة لاقتياد الناس الى ميادين المعارك التي لا ناقة لهم ولا جمل فيها ، في اليمن والبلقان والترعة ... الخ واذا ما جمعنا كل ذلك لاحظنا آثار ذلك على افقار الجماهير وتجويعها وفقدانها للأيدي المنتجة ثم جاءت الحرب الفلسطينية الاسرائيلية قبيل الانسحاب الانجليزي من فلسطين في ١٥ آيار ١٩٤٨ ونتيجة لتعلق الشعب بوهم تحرير الدول العربية لبلاده فقد غادر الناس اراضيهم وقراهم امام حرب الابادة الاسرائيلية ولجأوا الى الأراضي العربية المجاورة ليتحولوا الى لاجئين بلا ارض او مساكن او اي مصدر من مصادر الرزق ووجد الفلسطينيون انفسهم يبحثون عن لقمة العيش بالاصطفاف في صف التموين امام خيام وكالة الغوث .

كل هذه الأمور مجتمعة جعلت الناس في الوسط الشعبي - وهم محط الاستغلال من جهة ومن بينهم انطلق المقاومون والرافضون لواقع الاستغلال ومن بين هؤلاء سقط الشهداء - يعانون من المجاعة او شبه المجاعة ، ونحن نحس بهذا الجوع يتردد صداه في الوجدان الشعبي بصور متباينة .

كانت والدتي تقول لنا عندما نرفض تناول بعض الاطعمة التي نعتقد انها غير لذيذة : « ما لحقتوش كمون بايام عزها » . وعندما كنا نسالها عن معنى ذلك ، كانت تقول انها شهدت في (النبي صالح/رام الله) و « مسكة - طولكرم والسنديانة - حيفا » اياما كان الناس فيها يشتهون اكل الكراديش واقراص الترمس . ولم يكونوا ليروا اللحم الا في الأعياد . وان الكثيرين كانوا يقضون اياما دون طعام او بوجبة واحدة تتالف من خبز الشعير او الذرة مع البصل او بعض النباتات البرية .

وكان الناس في زمن المجاعات يكتفون بوجبة واحدة في اليوم ، اما البدو فقد اعتادوا ان يخبزوا « الشراك » على « الصاج » عند كل وجبة والتي تكون مرة او مرتين في اليوم .

واذكر ان الناس اعتادوا ان ياكلوا التمر بدل الخبز في السنة التي تلت نكبة عام ١٩٤٨ . هذا وقد سمعت روايات عن اناس اعتادوا ان يبحثوا عن الحبوب في بقايا روث

الحيوانات فيجمعونها ويصنعون منها الخبز وذلك في فترة السفر برلك ٠

وقد روى لي احمد عن والده حسن ابو عرقوب من الفالوجة انه امضى ليلة عند بعض البدو في منطقة بئر السبع ٠ وفي الصباح التالي لم يقدم له سوى القهوة ٠ وقبيل الظهر سمع الرجال يتحدثون عمن يقدم « تلبيب الظيوف » ٠ ورست المهمة على احدهم الذي ذهب ثم عاد وهو يحمل القليل من الطحين في طرف حطته ٠ ووضع الرجل الطحين في « المحماسة » واضاف اليه الماء ثم صار يحركه بيد المحماسة حتى تكونت قطع من العجين المشوي ثم اخذ المضيف يناول الضيوف بعض هذه القطع قائلا :

ـ هاك ، تلبب يا ظيف ٠

ويفهم من الرواية ان التلبيب هو « كسر الصفرا » او « التروبقة » ويعني هذان التعبيران الفطور الخفيف ٠

ونلمس حقيقة المجاعة ووطأتها على الناس ونحن نقرا ما كتبه كنغليك عن رحلته الى بلاد الشام ومروره بفلسطين عام ١٨٣٤ ـ ١٨٣٥ ٠ ويقول كنغليك : « تبين لي مقدار الفقر والبؤس الذي يحيط بهؤلاء القوم بحيث لا يستطيع الواحد منهم الحصول على تعبئة غليون من التبغ ٠ ومع ذلك لم استطع معرفة سبب عدم تقديمهم العيش والملح الذي هو ضمان السلام والاطمئنان لي بينهم حتى آمن من النهب والسلب ٠ ولكن ظهر لي انهم لا يملكون العيش ليقدموه لي وانهم يقتاتون بالاعشاب مع شيء من حليب المعزى ـ تلك الأعشاب الحلوة التي تشتهي الشفاه العطشى مصها » ٠ (١٦)

ويحدثنا ايضا كنغليك(١٧) عن المجاعة المريعة التي كان يعيش فيها عربان الصحراء جنوب غزة فيقول : « ومررنا بخيام عشيرة في تلك الأراضي واقترب منا شيخها ، وقد عجز عن اكرامنا كعادة العرب ، وادركنا منه انه يضرب في هذه البرية تسعة اشهر في السنة لا يذوق ـ هو وعربانه ـ خلالها الخبز ولا الماء ، فناولته قطعة خبز وجرعة ماء ، وعلمت ان اعتمادهم على ما تجود به نياقهم من الحليب » ٠

وكما سيرى القارىء من قائمة الاكلات الشعبية ان هذه القائمة تتضمن اكلات في غاية البساطة والسذاجة ، وكثير منها كان يعتمد على الحبوب والألبان والنباتات البرية ٠ وهذه الأكلات كانت خشنة المظهر والطعم ٠

وقد قالت لي الحاجة ذيبة من بير اماعين « يا بني بقينا نشوف كل شي زاكي ٠٠٠ من الجوع » واضافت « كانت عمتي عندها عيلة كبيرة ٠٠٠ شو ما اجا ع بالها تسوي ٠ تخلط اللبن بالبصل بالمرار وتفت هالمرقة للاولاد وتطعمهم ٠ شو بدها تسوي ٠ عندها عيلة حطما بتوكل القرد ٠ »

ويذكر ان طعام الناس ، في عهد المجاعات وفي الأماكن الشحيحة الموارد في جنوب وجنوب شرق فلسطين وفي القرى الفقيرة في القرن الماضي واوائل هذا القرن في طول البلاد وعرضها ، كان مجرد الخبز مع البصل او الملح او بعض النبات البري الجيد المذاق مثل الزعتر ٠ اما اكلات اللحم والمناسف واليخاني الدسمة فهي اكلات للضيوف وفي مناسبات الأعياد والمواسم ٠ ويشهد بذلك استنطاق العديد من الرواة ٠

« الحاجة ع ٠ السنديانة ـ حيفا : » كنت احمل حملا ثقيلا من الفجل من ام الدفوف الغ الى البلد ٠ لم اكن قد افطرت ولا تعشيت ليلة امس ٠ اخذت اسحق «راس فجل» بين اسناني

وانا اتمنى لو كانت بيدي فتة كردوش[١٨] اطفيء بها « حرقة الفجل » .

عطية ابو سرحان ـ بئر السبع : « طبعا ... الأكل اليومي للناس الفقراء خبز .. مجرد خبز ... بعملوا قرص ع الناس وبوكلوا[١٩] » .

ام توفيق ـ الجاروشية ـ طولكرم : « بقت الواحدة تمسك الخبزة وتوكلها مع ورقة بصل في الحاكورة . او تقعد ع المصطبة تحط ع لباسها ملحة .. تغمس وتوكل .

ابو محمد ـ الطيبة ـ طولكرم : كنت ابنا مدللا ... الولد الوحيد في الأسرة . واذكر ان وجبة الغداء لكل يوم كانت تتالف من الخبز الجاف مع البصل اليابس ، اما انا فكنت احصل على بضع قطرات من زيت الزيتون لطعامي .

وكان لا بد لمثل تلك المجاعة ان تترك صداها في اقوال الناس واشعارهم الشعبية التشوق للطعام والتغزل بمحاسنه وتشهيه والمبالغة في ذكر كميات الطعام التي يود الشاعر ان يتناولها . وهذه قصيدة شعبية رواها لي « محمود زقوت ـ المجدل ـ غزة » يتصور فيها الشاعر الشعبي معركة بينه وبين « فسيخة » يحاربها بدبوس من فجل وسيف من بصل وباكبر الرغفان بكلمات توضح احلام الجياع :

يا ما اسعدك عبد تسقي في اللبن
وتسخنه يـــا عبـــد ع النيران
شوية فسيخة جاتني حافية ع القدم
طلبت لحربي في حومة الميدان
سحبت سيف من فجل ودبوس من بصل
نزلت احاربهـــا بالرغفـــان
هجمت على الطابون طارت غطاتـــه
فزع عــــلي باكبر الرغفـــان

ثمانين رغيف اللي انا اكلتهـــم
غير الملخبط واللي طايلة عفـــان

ونحس بذلك التعبير الداخلي عن الجوع في هذه القصيدة التي يتغزل فيها الشاعـر الشعبي بالطبيخ ويقسم بالرز وينادي عـلى الملفوف من اعماقه . وهو في وحدته السرمدية بعيدا عن الأطعمة . القصيدة رواها « مصطفى بشير ـ قوله ـ اللد » .

احن الى الطعـــام جميعـــه
الا النواشـــف لا توافق معدتـــي
لو مت جوعا لم اذق العـــدس
حتى ولو حكمت بشنقي امتـــي
بحـــق الـــرز احلـــف انني
اهوى المحاشي مع قشور الليـــة
ناديت من لهفي وحيـــدا في الدجى
يا ايها الملفوف انس وحدتـــي
كساك الله من حلـــل الرضـــا
يا مشبعا بطني بافخر اكلـــة
جزاك الله خيرا يا طبيخ الشيشبرك
يا مؤنسي بالجوع انت غايتـــي
تعيش اليخاني في الوجـــود جميعهـــا
الا التي تطبـــخ بغـــير اللحمـــة
طوبى لمن يقـــذف الي دجاجـــة
محشيـــة مقليـــة بالسمنـــة
ســؤال ســـامعي بـــربكـــم
هل اوجـــد الرحمـــن مثـــل الكرشة
يا صاح اني في الطبائخ موالـــع
ان كنت تبغ المدح فاعزم حضرتـــي

ونحس بصدى ذلك الجوع المترسب في الوجدان الشعبي عبر اقوال مأثورة مثـل : « زاد النين كفى ثلاثة كفى اربعة والكـل شبعان » و « اقل الزاد موصل البلاد » و

« القنع غني » . وفي مثل هذه الأقوال فان الانسان الشعبي يواسي نفسه ويعوض عن جوعه بترداد المثل والقيم . وهناك الاقوال التي تعكس الفاقة والحاجة وعجز الانسان ازاء قصر ذات اليد مثل : « يللي عادمين الزيت سووا زلابية ، يللي عادمين الطحين سووا الحطير . ان التهكم هنا يعكس السخرية المريرة من الواقع المؤلم ، فالزلابية تحتاج للكثير من زيت الزيتون والفطير يحتاج للكثير من الطحين . ومن اين يحصل الفقراء على مثل هذا او ذاك ومن هذا النوع من التهكم ما تعكسه هذه الاغنية ايضا :

وحياتكم يا جماعة ما شهدنا زور

متن ليلة طبخنا فخذة العصفور

عزمنا الوزر والنور والشام واستانبور (٢٠)

وظل الشحم واللحم ع حيطانا منشور

(سمعت بيت المهاهاة هذا يوم « املاك » في دير الغصون بطولكرم عام ١٩٥١) . وازاء احساس الانسان بقصر ذات اليد وسوء الحال لا يجد الا ان يجتر آلامه واحزانه ويقارن سوء وضعه ببحبوحة الآخرين نادبا حظه و « ميلة بخته » :

في الناس من ياكل عسل وزبدة

وفي الناس من يلقى العدس مفتوت

في الناس من ياكل جميع الفواكه

في الناس من يلقى الصبر والتوت

في الناس من يعطيه مليحة مزخرفة

شفايفها تضوى كما الياقوت

ينده على الشربات تجي له معطرة

روايحها من المسك المبثوت

وفي الناس من يعطيه بلوة مصبرة

تحدق رجليها كما النبوت

ينده على الشربات جحره بعينها

كما ضبع رابي في خلا وجلمود

والشوق الى الطعام الطيب ـ يتسرب حتى الى اغاني الدراويش واهل الله الذين يتطارحون الأشعار بالذات الالهية . ولا شك ان مطارحات تحمل احلام الجائعين كانت تطفو في ليالي السغب بين اولئك الزهاد مثل قول احدهم :

يا ليلة المفتول واليخاني

عند دار عمي عبد ابو الجعدان

ويبدو ان ذلك الاحساس بالجوع والشوق « للصيصان المحمرة » جعل المغني الشعبي يخرج عن كلمات موشح « يا شادي الألحان » ليقول :

وعلى وادي الباذان آه واعزمنا

وعلى حفلة صيصان ... يا لالالي .

وهناك ممارسات الحياة اليومية التي تشهد بوجود المجاعة في الوسط الشعبي ، المراة التي تخبز « عجنتها » في الطابون تحملها الى البيت وهي ملفوفة تماما بقطعة القماش ، ومرد ذلك عائد الى ان هذه المراة تخشى من ان ينظر جائع للخبز وبالتالي « ينفسه » اي يسبب الغصة في نفوس اكليه فيما بعد . ومثل هذا الاعتقاد يدفع الجارات الى ان يتبادلن صحون الطعام ، فعندما تطبخ الواحدة منهن «طبخة» جيدة ترسل ما يملأصحنا منها الى جارتها . ومثل ذلك تفعل الجارة في مناسبة مشابهة .

واذا راجعنا تقاليد مهنة الطب الشعبي نجد ان العسل والسمن والصنوبر تستعمل كادوية اكثر من استعمالها كاطعمة يومية . اما كبد الحيوان والذي هو عبارة عن غذاء خفيف ولذيذ في وسط برجوازي فنحن نسمع عنه بانه دواء للمريض في الوسط الشعبي .

ويصف لنا احسان النمر (٢١) ظروف المجاعة التي مرت في البلاد في عام ١٢٠٢

للهجرة ، فيقول : « حصلت مجاعة باع الناس فيها اثاث بيوتهم واملاكهم ، وقد فقدت الغلال والماعز والضان فاكلوا البقول والخضار ، ثم اكلوا لحوم البهائم وطحنوا العظام ٠ وسادت الفوضى وانقطعت الاسباب ، ودخـل فصل الشتاء بلا مطر ٠ وجفت بعض الينابيع وغاصت مياه الآبار ، وبلغت قلة المياه «مصرية ونصف» - بارة ونصف - وارتفعت الأسعار ارتفاعا فاحشا ، فبلغت جرة الزيت عشرين زلطـة وازدادت أسعار سائر الحاجيات الى عشرين مثلا وبلغ رطل القمح زلطة ٠ واشتد الضيق وتعطلت الاعمال وكثر النهب والسلب ومات الناس - في الشوارع ، وما زالت الحال تشتد الى ان وصلت الغلال التي استوردها التجار مـن جزيـرة مالطة ، ولولا وصولها لهلك الناس ٠ وبعد المجاعة تفشى وباء جارف اهلك الناس بالألوف فمات فيه من اهالي مدينة نابلس وحدها اربعة آلاف فضعفت البلاد واضمحلت احـوال العباد وتناقصت الايـدي العاملة ، فتعطلت المصانع وتخربت الاراضي ، فكان ذلك اول شرور القرن الثالث عشر التي توالت حتى نهايته » ٠ ٠

ويحدثنا القس اسعد منصور [٢٢] عن تلك الأيام السوداء التي مرت بفلسطين اثناء السفر برلك [٢٣]فيقول ان المصادرة وابتزاز البضائع والأموال بحجة دعم المجهود الحربي كانت اول مظاهر تجويع الناس ، ويقول مؤلف تاريخ الناصرة انه لم يسلم شيء في سوق المدينة وفي البيوت من المصادرة و « حتى العطـورات والمناشف والكلسات الحريرية والكراسـي والسجاد وغير ذلك من الكماليات التي ليست مما يلزم للجند [٢٤] ويصف القس اسعـد منصور أعمال الابتزاز فيقول : « كنت ترى الجند منتشرا في السوق وعلى ابواب الدكاكين شاكي السلاح يمنعون اخراج شيء منها ، ثم ينزل رئيس البلدية ومعه الجند ويشرعون في اخراج ما كانوا قد قرروا مصادرته واذا لزمهم شيء من بيت احد ليس عليهم الا ان يطلبوه ويأله اذا امتنع أو عارض ومن أنواع المصادرات صرف البنك نوط التركي بنفس قيمته الوهمية التي هبطت الى أقل من خمسها بما يعادلها من الذهب والفضة ٠ ومن طرق المصادرات او الرشوة احتلال البيوت فاذا لزم للعسكريـة عشرة بيوت توضع قائمة بمئة بيت فتؤخذ العشرة وتؤخذ رشوة من أصحاب التسعين ٠ ان طرق المصادرة والرشوة وانواع المصادرات تكاد لا تقع تحت حصر فكان القلوب خلت من كل عاطفة سوى النهم المادي [٢٥] ثم تلت ذلك زحفة الجراد الطيار التي خسفـت الشمس والتهمت كل ما هو اخضر من نبات وشجر ، وكست السطوح والحيطان والاشجار والطرق لدرجة ان الاقدام » كانت تغور فيه الى ما فوق الكاحل ، ودخل البيوت والمخازن والدكاكين من الابواب والثقوب واتلف كثيرا مما فيها ، واقفلت بعض الكنائس احدين متتالين في ٣٠ ايار و ٦ حزيران من عام ١٩١٥ ، والكنائس التي جرت فيها العبادة وضعت شباكا معدنية على شبابيكها ووضع الفعلة على ابوابها لمنع دخوله ٠ واشتد الحر في اوائل حزيران فضاق الأمر بالناس فلا هم قادرون ان يفتحوا منافذ البيوت ولا هم قادرون ان يقفلوها ، واضف الى ذلك نتن الجراد الحي والميت[٢٦] « ومما زاد الطين بلة وجعل المجاعة تكشر عن انيابها هو ان المواشي التي » رعت على اثر المجاعة مات معظمها ، وصار مح بيض الدجاج الذي أكل الجراد احمر كالدم[٢٧] ٠

ولم يفلت السكان التعساء من قبضـة القـدر اذ هاجمتهم الكوليرا بعـد التجنيد والمصادرة والجـراد واخـذ الناس يموتون بأعداد كبيرة ٠٠٠ ومع نهاية سنوات السفـر برلك كان الجوع ، المرض ، الجراد والموت قد فتك بالسكان متعاونا مع رجال التجنيد الذين اخلوا القرى من الرجال القادرين على حمل

السلاح - والعمل في الارض[٢٨] وقالت لي راوية عن ايام الكوليرا : (عرب ابو كشك) « بقيت[٢٩] انا واختي فاطمة متجوزات[٣٠] في عرب ابو كشك[٣١] . بقت[٣٢] الدنيا مجاعة ما فش[٣٣] اشي . اذا الزلام راحوا وسرقوا لهم عنزة ... والا لاقوا الطحانة[٣٤] فشطوهم[٣٥] طحنة اكلنا . ما فش . ما فش[٣٦] عاد[٣٧] اجت[٣٨] الكوريرا[٣٩] . جوزي[٤٠] مات . ووقعت[٤١] انا ... ووقعت فاطمة . عاد انا .. بقيت والله في هالخص[٤٢] .. خص اخرة[٤٣] ... الدنيا[٤٤] صيف ... قعدت[٤٥] جمعة زمان وانا سابطة .. يمكن[٤٦] ثالث يوم ... رابع يوم[٤٧] جابت[٤٨] لي اختي فاطمة كردوش[٤٩] ترمس ... شفته[٥٠] مثل الشهد . وقرطته[٥١] .

اما الالفاظ والمصطلحات التي تعني الرغبة الشديدة في الطعام والمبالغة في تناول الطعام فمنها . وهر : اي ياكل بشراهة ، والمصدر منها وهارة ، وذف : شهواني للطعام وفي المثل الشعبي : القلة بتعليم الوذافة ، اي ان قلة الطعام والمجاعة تجعل الانسان متهالكا على الطعام ، وتتضمن كلمة وذف معنى ان الشخص قد يهين نفسه للحصول على الطعام ، بطوني : يحب الاكل وملء بطنه بالطعام ، مشهور : شهواني للطعام .

وهناك اعتقاد شعبي مؤداه انه اذا اشتهى الانسان طعاما ولم يستطع الحصول عليه فان ذلك يعود عليه بمضار جسدية . ويقولون عن مثل هذا الانسان انه : عشم اي امل في الحصول على طعام . ومن المحتمل ان يصاب بالمرض نتيجة لذلك .

اما المراة التي تشتهي طعاما وهي حامل ولا تستطيع « انها تقظي شهوتها » فان آثارا حمراء او سوداء تظهر في جسد المولود عند ولادته تحمل شكل المادة التي كانت الأم قد اشتهتها .

ويحكى ان امراة اشتهت ثلاث امنيات وهي اطراف تحتحت ، شربة تبقبق ، وباب يزعزق . وذات يوم عادت الى البيت فوجدت ان الباب يصدر صريرا خاصا عند فتحه . وسرت بذلك وقالت :

- يقظي شهوته ابن عمي اللي قظى شهوتي . ونظرت فوجدت « شربة مزينة » فشربت منها بسعادة وهي تسمع صوت الهواء يدخل اليها « بتبقبق » وقالت :

- يقظي شهوته ابن عمي اللي قظى شهوتي . ثم نظرت فوجدت اطراف « واخذت تنظفه وتعده للطبخ وهي تقول :

- قومي واتخففي يا ذنبة المغرفة ، ما نلت الثلاث شهوات الا تابعت الملحفة .[٥٢]

وتوضح لنا « خرافية » الباطية كيف يعرض الوجدان الشعبي عن الجوع عن طريق احلام اليقظة بتصوره وجود ادوات سحرية مثل الباطية ، التي تمتلىء « بالرز واللحم » بمجرد الطلب اليها ، والديك الذي اذا ضربته ضربة خفيفة على راسه تساقط منه الذهب . ولكن هذه الحكاية تحتوي على جزئيتين الأولى تتضمن وجود عصا سحرية يستطيع صاحبها ان يوجهها بمجرد القول لتضرب المختار المتنفذ الذي يستغل بساطة البطل فيستبدل الأداة السحرية باداة عادية . ويمكن ان نستشف هنا فرضية انسانية مؤداها ان الانسان لا يستطيع ان يستفيد من مصدر ثروته الا اذا كانت لديه قدرة على حمايتها بالقوة . وان الحق لا يظل لصاحبه الا اذا كان هذا قويا . اما المختار في الحكاية فهو - في رايي - رمز

للاقطاعيين والمشايخ والسلطة الأجنبية التي ظلت زمنا طويلا « تقعد على صدورنا » .

والجزئية الثانية هي استبدال « البنت » بالباطية . ونحن اذا اردنا تفسير ذلك لا نجد امامنا الا احتمالين احدهما ان الفقراء يزوجون بناتهم ويستفيدون من مهورهن في الحصول على لقمة العيش والثاني ان المجاعة قد تؤدي بالناس ان يبيعوا بناتهم في سبيل الحصول على معاشهم . ولكنني لا أميل كثيرا الى الاحتمال الثاني لأن هناك في الوجدان الشعبي اقوالا تركز على التمسك بالكرامة حتى في اسوا حالات المجاعة مثل هذا القول الذي يتخذ طابع الاستفهام الاستنكاري « ولو ؟ ان غليت الحبة رخصت اللحى » ، بمعنى ذلك أن الناس لا يتخلون عن كرامتهم . وهناك ايضا قول ماثور على لسان المراة : « بوكل خبيزة وبستر غربتي ولا بوكل لحم الغصيب واعيب » وهنا تؤكد المراة على انها تكتفي بطعام من نبات بري هو الخبيزة مع الاحتفاظ بشرفها وتفضل ذلك على « لحم الغصيب » ، أي لحم الحيوان الصحيح الجسم الذي يذبح غصبا ، مع التضحية بالشرف وهكذا فالخط العام للوجدان الشعبي هو التمسك بالشرف ولو ادى ذلك للجوع .

وللقارىء نص خرافية « الباطية » . وقد بدات اسمع هذه الحكاية اعتبارا من اواخر الاربعينيات من هذا القرن من اكثر من راوية . والمكان (السنديانة بقضاء حيفا) .

كان ياما كان يا مستمعين الكلام . حتى توحدوا الله .

لا اله الا الله .

في هون هون هالحطاب . فقير . فقير جدا . كل يوم بحمل هالشرخ(٥٣) وبروح الوعر . بقطع له حطبات . وبحملهن على ظهره وبروح يبيعهن . بشتري في حقهن لاولاده خبزات وفجلات . نتفة(٥٤) زيت . حاجة . باجة . مشان يوكلوا . يوم والله هو قاعد بطق في هالشجرة والا طلع له من قلبها هالعبد . قاله وبعدين معك . كل يوم . طق . طق . جننتنا حطيت الصراع في راسنا . قاله : انا زلة فقير على باب الله . الواحد بشتغل ع شان يطعم اعياله . فقاله العبد : ما عندكش(٥٥) بنت . قال عندي . قاله جيبها وانا بغنيك . ثاني يوم جابها .

اخذها العبد من ايدها وفات بقلب هالشجرة . والله ما اقرب من فرج الله والا هو راجع وبيده هالباطية . قاله خذ . قاله شو بدي بيها . لا عندي اكلا ولا غيره . وشو بدي احط بيها . قاله اسمع تقول لك : بتمسكها بيديك الثنتين(٥٦) وبتقولها :

- يا باطية امنا وابونا انتلينا (٥٧) لحم ورز ، بتنتلي . أي اشي بدك بتنتلي .

قاله طيب . كثر الله خيرك . اخذ الباطية ومشي . في الطريق قال تاشوف(٥٨) اجربها . وقف بعرق هالشجرة وقالها : « يا باطية امنا وابونا انتلينا لحم ورز .

انتلت . قعد يوكل زي الفجعان(٥٩) . ومن العجلة اكل وكبكب (٦٠) وروح يعرم(٦١) .

لاقته المرة باب الدار وقالت له : يجيك ويهل عليك(٦٢) وين رحت بالبنت ؟ ضيعت البنت وجبت بدالها باطية ؟ قالها :

« انخمي يا لعينة الوالدين . وين راحوا الولاد ؟ اجو يتراكظو . قالهم غسلوا مشان توكلوا . صاروا الولاد يطلعوا حواليهم فش اشي . قالهم غسلوا واقعدوا . غسلوا الاولاد وقعدوا حط قدامهم هالباطية الفاضية

مرته واقفه هناك مش راظية تقرب • تطلع عليهم • مسك ابوهم الباطية بيديه الثنتين وقالها :

– يا باطية امنا وابونا انتلينا لحم ورز :

انتلت •

فهجموا الولاد عليها واخذوا يوكلوا وهم طايرين من الفرح • اشي سمعوا فيه عمرهم ماشافوه • قربت المرة وهي تقول : «عزى[٦٣] عليك ... شو هاظ » • « بدي اوكل لي لقمة ... يي والله انه زاكي » •

اشو تبربحت[٦٤] هالعيلة • ايش مـا بدهم يوكلوا يطلبوا •• لحم ورز وحلو •• وكل شي• • هالولاد عدلوا[٦٥] •

مين سمع بالباطية ؟ المختار جارهـم • قال نادوا لنا هالحطاب لنشوف شو هالباطية نادوا الحطاب • اجا وجاب هالباطية • فات عل هالديوان الزلام قاعدين • قاله المختار شو هالباطية بتاعتك[٦٦] هات ورينا وخلينا نطعم الزلام • قالها : يا باطية امنا وابونا انتلينا «زردة وبلاو»[٦٧] انلت • تبهللو[٦٨] هالزلام واكلوا وانبسطوا • قال المختار خذوا هالباطية ع الدار خليهم يغسلوها • راحوا اخذوها وغسلوها وبدلوها • رجعوا للحطاب باطية غيرها بس مثلها • اخذ الحطاب باطيته وروح • قالت له المرة وين بقيت تغر[٦٩] • الولاد جاعوا • قالها اسمعنا هاي انا جيت يلله غسلوا يا اولاد • غسلوا وقعدوا • قالها يا باطية امنا وابونا انتلينا تقـول ملفوف ... ما فش ملفوف •

انتلينا لحم ورز • ما فش لحم ورز • قاموا يا كبهم يا تعسهم • ثاني يوم حمل هالشرخ وراح ع الشجرة يطق • من اول طقة طلع له العبد • قاله : مالك جيت • اعطيتك اشي بغنيك • قاله راحت الباطية • قاله : وين راحت ياخريب الكوشة[٧٠] ؟ قاله : اخذها المختار • اعجبته وبدلها •وما استجريتش اوجع له • قاله طيب عندك اخرى بنت • قاله : عندي • قاله : روح جيبهـا ركظ عل الدار جابها • مثل ما عمل باختها اخذها من ايدها وفات في هالشجرة تنفة[٧١] والا هو راجع وبيده هالديك • قاله خذ • شو بدي بيه ؟ شو بدي اطعميه ؟ انا مش لاقي اوكل انا واولادي قاله : اسمع تاقول لك • بتطق الديك عل عرفه بنزل لك ذهب قاله : طيب • قاله بس دير بالك عليه • راح في الطريق طق عل عرف الديك • هـر هالذهب • حطهن باجيابه ووينك يا هالسوق اشترى كل ماتطلب الشفة واللسـان • واشترى لها لولاد اواعي ومشـايات[٧٢] حيشا[٧٣] من السامعين وروح باول الشباب رجعت هالعيلة تبربحت • مثل العادة وزيادة سمع المختار بالديك • قال نادوا لنا الحطاب تنشوف شو هالديك هذا اللي بتحكي الناس عنه • نادوه • شو هالديك ابيظ ابيظ مثل الثلج ، وعرفه احمر احمر مثل الدم • ريشه نافش وحالته حالة • والله قالوا له ورينا كيف بنزل الذهب • نقفه عل عرفه هرصاع ذهب • تهجمت هالزلام عل الذهب اللي صح له واحدة اللي صح له اكثر الله اعلم بيهم •

قال المختار : ماشاء الله • ما شاء الله •• هذا غناة[٧٤] خلوا اعلفوه ع الاقلة[٧٥] •

اخذوه علفوه • وطمع الدنيا قتال راحوا بدلوه • اش لك[٧٦] بطول السيرة رجع الحطاب ع الحصيرة[٧٧] •

عاود ع الشجرة • راح يحطب • قاله العبد قليعت الديك لخرى[٧٨] قاله : هذا اللـي

صار ٠ قاله : نصيبك ٠ في عندك بنت ؟ قاله عندي قاله : جيبها ٠

راح جابها اخذها العبد من ايدها وغاص في الشجرة ٠ نتفة والا هو راجع ومعاه عصاة قاله هذه العصا بتقول لها :

– ياعصاتي هوري هوري[٧٩] ع اللي اخذ ديكي وباطيتي دوري ٠ بتظلها تقتـــل فيهـــم تا تلين[٨٠] ظلاعهم ويرجعوا الباطية والديك ٠

قاله الحطاب :

– دلك الله ع الخير

قاله :

– اياتها[٨١] واحد بقف بوجهك دير العصا عليه : اخذ هالعصا وروح ٠ لاقته مرته بالباب ٠ « بجيك ويهل عليك ٠٠ وين رحت بالبنت ٠٠ ظيعت لي البنات ٠ ربيتهن من مقلة العين فرن من ديتي فرة الطير » ٠

قالها : انخمي ٠٠٠ يـــا عصاتي هوري هوري ع مرتي دوري ٠

العصا لينت اظلاعها ٠ اشوية ٠ صارت مرته تدعي وتشحي[٨٢] نادي العصا ٠ قالت لـــه روح للي[٨٣] اخذوا ديكك وباطيتك قالها : يم[٨٤] ٠٠٠ عند قولك ٠

راح لديوان المختار ٠٠٠ قالها « يـــا عصاتي هوري هوري ع اللي اخذوا ديكي وباطيتي دوري » ٠ ونزلت فيهم ٠ اظرب من هون ٠ رد من هون ٠ وين مـــا بتيجي تيجي[٨٥] ٠ طلع صراخهم ٠ ياناس مشان الله ٠ دخيل الله ٠٠٠ قالها تعالي يا مبروكة ٠ اجت العصا وقفت بجنبه ٠ قالهم هاتوا الديك والباطية الاصليات بتعرفوا اشو بصير لكم ٠

قالوا : أمرك ٠٠ جيبوا له اغراظـــه ٠ الله اغنانا عنهن ٠ جابوا اله الديك والباطية حطهن تحت اباطه وروح ٠

وطار الطير الله يمسي الحاظرين بالخير ٠

ونحس بصدى الجوع في الوجدان الشعبي بحكاية البنات الثلاث اللواتي كـــن يغزلن ذات ليلة في بيتهن واخذن يمارسن احـــلام اليقظة بالتمني ، فتمنت الأولى ان تتزوج خباز الملك لتحصل على الخبز « المقمر »[٨٦] الشهي ٠ وتمنت الثانية ان تتزوج طباخ الملك لتستمتع باطايب المأكولات ٠ اما الثالثـــة فتمنت أن تتزوج الملك نفسه[٨٧] ٠

يتناول الناس في العادةثلاث وجبات من الطعام في اليوم : الفطور ، الغداء والعشاء ٠ وهم يسمون الوجبة « طقة » ٠ ولما كـــان الناس مشغولين طوال النهار في العمل الزراعي ونحوه فانهم لم يكونوا يطبخون الطعام الا في المساء وعندما يكون جميع افراد الأسرة قـــد اجتمعوا في البيت ، اما وجبتا الفطور والغداء فتكونان غالبا من « النواشف – اي المواد غير المطبوخة » ٠ ولا يمنع ذلك من ان يطبـــخ الناس في الوسط الشعبي الطعام ويرسلونه الى الفعلة الذين يعملون في الحقول ٠ وياكـــل اولئك الفعلة في الحقول اربع وجبات : الفطور ويتناولونه في المنزل ، الصبوح ويتناولونه في الحقل ووقته قبيل الظهر ، الغداء ويتناولونه ايضا في الحقل وقته عند العصر والعشـــاء ويتناولونه في البيت ٠

ويكتفي الفقراء والعرب[٨٨] بوجبتيـــن في اليوم : الأولى عند الضحى والثانية قبيـــل المساء ٠ واما الصغار في القرى فلا « يعرفون الشبع » و « يظلوا يشلتو الخبز » – اي يستمرون في مضغ الخبز – طول اليوم ٠

وربما اكل بعض الميسورين من اهل القرى وجبة رابعة عند العصر تسمى عصرونه ٠

الشرح :

(١) النبي موسى · رواها الحاج عبد القادر ، السنديانة · حيفا (٤٥ عاما) ·

(٢) الذي ·
(٣) يصون

(٤) لا يوكل للنساء أمر مهم ·
(٥) أخي ·

(٧) تستخرج ·
(٦) رأيت ·

(٨) تزدرده بعد مضغه مضغا طفيفا ·

(٩) المدعوون ·
(١١) يحب الأكل ·

(١٢) تحضر ·
(١٣) حتى يشبع ·

(١٤) لم يبق ·
(١٥) لا يوجد ·

(١٦) رحلة كنغليك الى المشرق ، ترجمة محمود العابدي ص ٧٤ ·

(١٧) رحلة كنغليك الى المشرق ، ترجمة محمود العابدي ، ص ٩٨ ·

(١٨) قطعة من كردوش وهو قرص من خبز الذرة ·

(١٩) ياكلون ·
(٢٠) استانبول ·

(٢١) تاريخ جبل نابلس والبلقاء ، ج ١ ، ص ١٥٦ ·

(٢٢) تاريخ الناصرة ، ١٩٢٤ ص ١٠٦ ·

(٢٣) السفر البري وتطلق الكلمة على سنوات الحرب العالمية الأولى عندما اقتيد الرجال لميادين القتال في الجبهات العثمانية مسافرين برا ·

(٢٤) تاريخ الناصرة ، ص ١٠٦ ·

(٢٥) تاريخ الناصرة ، القس اسعد منصور ، ١٩٢٤ ، ص ١٠٦ ·

(٢٦) المرجع السابق ص ١١٣ و ص ١١٤ ·

(٢٧) المرجع السابق ص ١١٤ ·

(٢٨) قالت والدتي ، لم تكن لتجد شخصا في البلد يقرأ الرسالة واذا مات شخص قامت النساء بدفنه لندرة الرجال ·

(٢٩) كنت ·
(٣٠) متزوجات ·

(٣١) بدو أبو كشك بالقرب من يافا ·
(٣٢) كانت ·

(٣٣) لا يوجد ·

(٣٤) الذين يذهبون ويعودون من المطحنة ·

(٣٥) سلبوهم ·
(٣٦) لا يوجد ·

(٣٧) وهكذا
(٣٨) جاءت ·

(٣٩) الكوليرا .

(٤٠) زوجي .

(٤١) مرضت .

(٤٢) كوخ من قصب الذرة .

(٤٣) ذرة .

(٤٤) الوقت

(٤٥) مكثت .

(٤٦) أظن .

(٤٧) بعد المرض .

(٤٨) احضرت .

(٤٩) قرص من الخبز من عجين الترمس .

(٥٠) رأيته ، وجدته .

(٥١) أكلته .

(٥٢) ايتها النحيلة .

(٥٣) أداة لقطع الخشب .

(٥٤) قليل .

(٥٥)أليس لديك .

(٥٦) الاثنتين .

(٥٧) أمتلاي .

(٥٨) حتى آرى .

(٥٩) مثل الشخص الذي فجع بندرة الطعام الجيد زمنا طويلا .

(٦٠) أسقط على الأرض .

(٦١) يتمختر .

(٦٢) كناية عن الاستمرار في الشتم .

(٦٣) ليتك تموت ونقيم لك بيت عزاء .

(٦٤) اصبحت في بحبوحة .

(٦٥) اصبحوا سمينين .

(٦٦)الخاصة بك .

(٦٧) اسم ماكولات حلوة تركية .

(٦٨) ذهلوا ودهشوا .

(٦٩) تطوف بالبيوت .

(٧٠) خرب لله بيتك الصغير (المبني من الخشب والطين والحجر) .

(٧١) قليلا .

(٧٢) أحذية .

(٧٣) حاشا .

(٧٤) غنى ، مصدر ثروة .

(٧٥) أقل ما يمكن .

(٧٦) ماذا تريد بـ .

(٧٧) فقيرا جدا .

(٧٨) الآخر .

(٧٩) تهوري . انزلي .

(٨٠) حتى تلين .

(٨١) أي .

(٨٢) تكثر من دعوة الله للانتقام من شخص .

(٨٣) للذين .

(٨٤) في الواقع .

(٨٥) حيثما تصيب فلتصب .

(٨٦) المسخن ثانية على نار هادئة حتى يحمر .

(٨٧) نورد نص الحكاية في ج .

(٨٨) البدو .


عالم
الفنون
الشعبية

اللباس التقليدي في الناصرة العربية

كان اللباس الرسمي للمـراة في الناصرة خلال القرن الماضي واوائل القرن العشريـن عبارة عن ثوب يسمى (جلاية) وربما كـان هذا الاسم ماخوذا من كلمة (جلوة) اي جلوة العروس . يوم العرس .

اقمشة الجلاية هذه كانت من الحريـر الاصلي الذي كان ينسج على الانوال اليدوية في مدن حلب وحمص وصفد برسومات والوان مختلفة .

كانت الجلاية مفتوحة من الامام مع فتحة على كل جانب تنتهي عند الخصر ـ وتنتهي فتحة الامام والجوانب والاكمام بتطريز من القيطان الاسود وبزخرفات عربية . يلبس تحت الجلاية قميص من المنسوجات القطنية ينتهي عند الركبة ويلبس ايضا السروال او الشنتيان من اللون الابيض او النيلي وهذا مطرز بخيطان الحرير والقصب على الرجلين وينتهي التطريز عند الركبة . الزنار كان من الاقمشة الحريرية المقصبة بخيطان مسحوبة من الفضة والذهب .

لم تغط المراة في الناصرة وجهها ابدا ولكنها كانت تغطي راسها بالزربند وهي قطعة حرير مخطط بالوان مختلفة تطويه المراة وتضعه على راسها وتسدل الباقي على ظهرها حيث يمسك تحت الزنار . وتتعصب فوق الزربند بالمنديل وتعقده من الخلف . كل منديل كان قطعة فنية لجمال اشغال (الاويا) على اطرافه . فكانت العروس تتباهى بالمناديل التي تحضرها للجهاز ونوعية القطب التي تشتغلها بالمكوك او الابرة منها ورق الدالية وقطوف العنب وبزر البطيخ وزهرة الفل وزهر الليمون وغيرها . وقد انقرض شغل المكوك في هذا العصر .

اما في فصل الشتاء فكانت المراة في هذه المنطقة تلبس الجوخة المطرزة وهي عبارة عن جاكيت تنتهي عند الخصر وباكمام طويلة ومطرزة بقيطان من الحرير على طرف الاكمام والصدر واسفل الظهر .

كانت تشد خصرها بعصبة من الحرير المقصب وتعقده باسلوب خاص على جنبها الايسر .

وكما يختلف الزي بين كل منطقة واخرى كذلك تختلف الحلي لمنطقة الناصرة وشمالي



فلسطين شهرة بالحلي الفضية وما اتى بعدها من حلي ذهبية . ومن اجمل هذه الحلي ما يسمى بالكراميل وهي كرة صغيرة مع انبوبة يشد عدد منها الى آخر ضفائر الشعر وتتدلى منها سلاسل مع عملة فضية تتحرك عند المشي وتحدث ايقاعا موسيقيا خاصا .

كانت المصاغ الفضية تحتوي على عدد من الاساور الرفيعة والعريضة منها الدمالج ومنها الاساور الزجاجية وتسمى غويشات . ثم الخلاخيل وهي اساور الرجلين وكان لها خشخشة خاصة عند المشي . ثم القلائد على اختلافها كالكروان والبغمة والشعيرة وقلادة براغيت الست وقلائد المرجان والكارب وغيرها والقبية وهذه قلادة من الذهب حيث انه بعد الحرب العظمى الاولى اصبحت اكثر المصاغ في هذه المناطق ذهبية وصارت (الموضة) من المصاغ تتغير بسرعة وتغير موديل القطع التقليدية القديمة مع الوقت فمثلا كل الاساور الغيت واستبدلت بما يسمى (مباريم ذهب) وهذه كانت على انواعها ايضا . وزي المراة في الناصرة اخذ يتغير ويتبع زي المدينة وبقي الزي التقليدي في القرى المجاورة للناصرة الى آخر الحرب العالمية الثانية حيث اخذ يتلاشى ايضا .

من تقاليد الزواج

في قرى شمال الأردن

محمد يوسف طاهات

ان تتبع تقاليد الافراح الشعبية في قرى الاردن والعادات المتبعة يلقيان ضوءا ساطعا على القيم والمثل التي سادت فيما مضى ويكشفان لنا تجارب حياة اناس كانت لهم مواقفهم في الحياة ويشيران الى تكوينهم الفكري والعاطفي . وتبين لنا هذه الدراسة ان تقاليدنا تنبع من ظروف المجتمع لسكان قرى الأردن . واغلب هذه العادات تعتمد على الأسرة . وكل عائلة تعتز بامجادها ونجد ان هناك عصبيات مختلفة عصبية الاقارب وتفضيل حق ابن العم على الجميع وكذلك عصبية الجاه والمركز .

عوامل اختيار الزوجة :

في حالة بلوغ احد الأبناء سن الرشد تبدا عائلته في استعراض بنات اقرباء العريس اولا ثم بنات العائلات القريبة والبعيدة لاختيار واحدة منهن ومما هو جدير بالذكر انهم لا يهتمون بذكر محاسن العروس بل كل تفكيرهم يرتكز على اهمية اهلها من حيث المركز الاجتماعي والمالي وكذلك باخلاق امها وكيفية معاملتها لزوجها حسب المثل « طب الجرة ع ثمها بتطلع البنت لامها » ومن هم اخوالها وحسبهم ونسبهم « الولد بيجي لخاله » وكل هذا يجري دون علم من العريس الا في حالات قليلة جدا . وهناك كثير من العوامل التي تؤثر في اختيار الزوجة :

١ – تفضيل القرابة على غيرها حتى تبقى العائلة مترابطة ومحافظة على وحدتها واصالتها ويتضح لنا ذلك من هذه الامثال المتداولة .

عليك بالطريق لو دارت
وبنت العم لو بارت

وكذلك

لا يا ابن العم لا توخذ غريبة
ردايدنا ولا قمح الصليبة
بنات العم خير من الغرايب
قراقير اهلنا ولا اكباش الغرايب

وكذلك يقولون :

« بنت العم تصبر على الجفا »

وابن العم هو المفضل بالدرجة الاولى فيثار عند طلب الاخرين لابنة عمه

« ابن العم يطيح عن الفرس »

٢ – الجمال ، والجمال على اهميته يجيء عندهم في المنزلة الثانية ، واما الاصل والفصل فلهما الاولوية ويشترطون ان يكون اهل العروس من اهل الحسب والنسب الجيد ،

والمركز الاجتماعي المرموق بين اهل القرية ، وهم بذلك يقولون ان الاصل شرف الاب والفصل شرف الام » ويقولون ايضا « بنت الردي لا توخذها » و « ثلثين الولد لخاله » وكذلك قولهم بنت الردي لو زهت بالعين ما يرفع الراس مطراها وكذلك ٠

بنت مين يـا عرب
بنت عـزام العـرب

بنت صبـاب القهوة
من الشـام لحلب

٣ ـ الغنى : ويفضل الأهل تزويـج ابنتهم لشاب من اسرة غنية بحيث يضمنون مستقبلها وراحتها ، وبذلك يقولون :

« بنت الغني غنيـة
وبنـت الفقير فقيرة

وكذلك ٠

لف بنتك بالعباءة
وارميها بدار الغناة

٤ ـ مقدرتها على القيام بالاعمال الزراعية والمنزلية ، كيف لا والنشاط الزراعي السائد في الريف يتطلب من الفتاة القيام بالاعمـال الزراعية الشاقة ، وتعتبر المراة عامـلا اقتصاديا هاما ٠ وحيث ان المجتمع زراعـي بالدرجة الاولى فهو بحاجة الى الايدي العاملة الكثيرة للعمل بالزراعة وتربية الماشيـة ٠ وتعتبر المراة ساعد الرجل الايمن تشاركه في جميع اعماله الزراعية وهم بذلك يقولون لا يعجبك زينها وبياض خدها ٠ بكرة بتيجي الحصيدة وبتشوف فعلها اما في الوقت الحاضر فتبدل الحال واصبح للابن حق الاختيار لشريكة حياته واصبح للتعليم والوظيفـة دور في اختيار الزوجة حتى يكون لها دور في مساعدة زوجها على مر الحياة وحلوها ٠ ومن الامثال الدارجة « جيزة نصرانية » اي زوجة واحـدة فقط بعكس من كانوا يجمعون اربع نساء في بيت واحد ٠ وهذا له تاثير في اختيار الابن لشريكة حياته ٠

الناقدة أو الخاطبة :

غالبا ما تكون الناقدة من قريبات العريس المقربات وترسل من قبل اهـل العريس لتراقب نظافة بيتها ٠ وتجلس العروس عادة امام الناقدة وتلاحظ جمال فمها وسيقانها ويعتبر الساق معيار الجمال فيقال سيقانها مدملجة اي سمينة ومتناسقة ٠ وتعود الناقدة الى بيت العريس لتعطي العريس اوصاف عروسه فيلاقيها قائلا « قمحة او شعيرة » فاذا كان الجواب قمحة استبشر خيرا اي ان فتاته جميلة وجيدة ، لهذا نجد ان للناقدة دورا كبيرا في عملية الاختيار ويتوقف عليها الرفض او القبول ٠ وفي حالة الموافقة يقوم والـد العريس بارسال احدى المقربات بطريقـة سرية الى اهلهـا « لجس النبض » هـل يميلون لاعطائها لفلان ام لا ؟ واذا كان الرد بالايجاب تبدا المرحلـة الثانية وهي سريـة ايضا فيذهب والـد العريس وشخص من اقاربه ليلا الى بيت اهل العروس وخـلال الجلسة يتم الطلب بان يقول والد العريس ابني فلان يرغب في الزواج من فلانة بنتكم ٠

وفي اغلب الحالات لا يعطي والد العروس رايه النهائي بل يقول « احنا ما بنتكبر عليكم ويحصل لنا الشرف بقربكم لنا » وبعـد اسبوع انشاء الله بصير خير والجواب منـا مش منكم ٠

ومن العادة ان يستشير والد الفتاة اقاربه وخاصة ابناء عم العروس واذا لم يجـد معارضة يرد الخبر بالايجاب والعكس صحيح٠

وتبدا المرحلة الثالثة وتكون علنية يحدد والد العريس يوما للذهابواقاربه الى والد العروس لوضع اللمسات الأخيرة وتسمى « الجاهة » .

وتقدم لهم القهوة وتمتنع الجاهة عن شربها حتى يتكلم الوجيه فيهم . وعادة يكون اكبرهم سنا وقدرا . ويقول « احنا جينا بدنا قربكم ونسبكم وبدنا بنتكم فلانة الى ابنا فلان » فيجيب والد العروس « اشربوا قهوتكم تراها اجتكم ولو انها لحم ما اشبعتكم ، وتشرب الجاهة القهوة وتقرا الفاتحة ويتم الاتفاق ويتبعها العريس بان ياتي بالتلبيسة وكسوة العروس .

المهر :

يتبع المهر الظروف والحالة المعيشية من ناحية غنى او فقر العريس . حدثني الشيخ عبد الله المصطفى الطاهات . فقال كان المهر عشرين كيسا من الريالات وكل كيس فيه عشرون ريالا وكان هذا في عهد الدولة العثمانية .

وبعدها اي في الثلاثينات اصبح المهر من الذهب فكان العريس يدفع سبعين ليرة ذهبا . وكانت تدفع هذه القيمة مثالثة ثلث ليرات وثلث حلال والثلث الاخير حبوب . وقال الشيخ انني عندما تزوجت زوجتي الاخيرة دفعت الى ابيها نصف قيراط « القيراط ٢٥ دونما » ودفعت كذلك « ١٠٠ مد قمح و ١٠٠ مد شعير » (المد ٨ ارطال) وتطورت الحال واصبح المهر ما يعادل ٣٠٠ دينار .

مراسيم يوم الخطبة :

يقوم والد العريس بابلاغ اقاربه بنبا خطبة ولده فلان ويقوم العريس او اخوته بالطواف على اقاربه . وعلى دواوين العشائر من أهل البلدة موجها الدعوة لحضور فرحهم وحسب الموعد المقرر يتوجهون الى بيت والد العروس تتبعهم النساء بالغناء والزغاريد مصطحبين معهم الذبيحة وكل ما يلزم لاعداد طعام الغداء من ارز وسمن وجميد وغيرها . وعند وصولهم الى بيت العروس يلاقيهم اقاربها بالترحيب ويبقون الى الغداء .

نماذج من أغاني الخطبة :

تكون اغاني الخطبة منوعة ومناسبة لكل من المراحل . وتقف النساء استعدادا للسير وتقول احدى قريبات العريس بصوت عال :

الحمد لله فرح قلبي وما قصر
وانحل حبل الجفا بعد ما تحسر
وحياة من خلى نجوم الليل تتفسر
والي زمان ع هذا اليوم بتحسر

هذا وتسير النساء وكل اربع نساء يلبسن عباءة وعند الاقتراب من بيت والد العروس يرددن .

مشرفة ومطلة
ما بتشوف القلة
لاتكن طماع
والنسب نفاع
دار ابو فلان
وبقدرة الله
يا بيتي فلان
وكمال يغنى
مشرفة ومطلة
ما بتشوف القلة
لا تكن طماع
والنسب نفاع

اما الشباب :

يـــا[1] ونتي ونيتهـــا
بين القويرة والعقـــب
هـــويتي خليتهـــا
وطمعت انا بكثير الذهـــب
يا بنت يا اللي بالمضيـــف
وتفرجـــي ع اخيـولنـــا
وانتن غواكـــن شعركـــن
نحن غـوانـا خيولنـــا
دارن دعنـــا للفـــرح
واجب علينا نزورهـــا
يا معزب فـــرش منزلـك
والدار اجوها ضيـوفهـا

وهناك لحن آخر يغنيه الشباب بحماس مع السحجة .

ميل ميـل علينا يـا بو قميص
عند اهالينا تعليلة ودبكة عريس
ميل ميل علينـا يا بو نهود
عند اهلنا تعليلة ودبكة جنود
سير علينا النشمي بيده غربال
ياخده مشعل يا ضيء بيد الدلال
سير علينا النشمي بيده الكربال
من يمك مني راضي الحبة بارِيال

وبعد تناول الغداء تجري عملية كتـب الكتاب (العقد) ويتم بالايجاب والقبـول . فيقول الشيخ للعريس « هل قبلت فلانة زوجة لك على سنة الله ورسوله » فيرد العريس قائلا « قبلتها على سنة الله ورسوله » وترد عليـه العروس كذلك بالقبول وتقرأ الفاتحة ويتـم بحضور شاهدين . ومن المعتقدات السائدة في الوسط الشعبي انه في حالة قراءة العقد يمنع التدخين وشبك الأيدي او ربط خيط بشكل عقد . وهذا باعتقادهم يؤثر في رجولة العريس (يمنعه عن مباشرة فتح عروسه) . وبعـد الانتهاء من مراسيم الخطبة تستمر السهـرة ويدور الحديث حول الزواج وترتيباته ويوجه والد العريس الدعوة للعروس واهلها لتناول العشاء في اليوم الثاني .

العلاقة بين الخطيبين :

لا تقوم اية علاقة اطلاقا بين الخطيبين ، حتى في حالات زيارة العريس لخطيبته حاملا لها الهدايا . فيقدم الهدايا لأمها . أما اذا جلست فتجلس خلف امها . ولا يستطيع ان ينظر اليها حيث أن الاعين تراقبه باهتمام . ويحدث ان لا يشاهدها الا ليلة الزفاف . ولا يفوتني أن اذكر ان الفتاة لم تكن لها حرية الاختيار بل كان يفرض عليها فرضا سـواء قبلت أم ابت . اما مدة الخطبة فطويلة جدا وذلك اما لصغر سن العريس او لسوء حالتـه المادية حيث يحتاج الى مبالغ كثيرة لسد النفقات المترتبة على مراسم الزواج .

الزفاف :

١ ـ الجهاز ـ الكسوة ما يشترى للعروس من ملابس وتشترى قبل الزفاف بعشرة ايام ليكون هناك وقت كاف لخياطة الملابس . ويقوم العريس يوم شراء الكسوة بدعوة أقاربه من رجال ونساء للذهاب الى المدينة ويتجمعون في بيت العريس . وكانت وسيلة النقل هي الخيل ثم تطورت واصبحت سيارة . اما الملابس التي تشترى للعروس فهي الثياب والملابس الداخلية وغيرها مما تحتاج اليه العروس ، ولا يفوتني ان اذكر أن والد العريس يشتري كثيرا من قطع القماش ويقدمها كهدايا الى اخواته واقاربه اما أم العروس فكان لها ناقة وهذه بـدل تربيتها ويقال لها عند العرب كواعة .

---

(١) استعمال الهيجني في الاعراس يكاد يكون خاصا بشمالي الاردن (العزي) .

الاحتفال بيوم الكسوة :

عند وصول الكسوة الى بيت العريس تحملها النساء فوق رؤوسهن في مكاني من القش (جونة) ويذهبن بهـــا الى بيت العروس وهنـــاك ينشرنها على حبل طويل مع قيامهن بالغناء والزغاريد وتوزع الحلوى على النساء والاطفال • وعند تجهيزه تاخذه العروس الى بيت عريسها وتعلقه ع حبال باطراف البيت •

٢ ـ التعاليل (التعليلة) :

كان من المعتاد ان تقام السهرات في الاعراس لمدة طويلة تتراوح بين ٧ ـ ١٠ أيام وتنتهي السهرات قبل الزفاف بيوم واحد • اما اليوم فلا تزيد على يوم أو يومين • ويقوم اهـــل العريس بدعوة الاقارب ووجوه العشائر لحضور سهراتهم وافراحهم • وكانت التعاليل تقام في ساحة الدار بالقرب من بيت العريس اوفي اي مكان متسع • وتقوم النساء بجمع الحطـــب والجلة (روث الحمير والبقر) والقش اليابس وكل هذا يجمع على شكل كومة كبيرة في وسط الساحة • وتبقى النار مشتعلة طوال الليل لعدم توافر المصابيح ، وينطلق صوت البارود وتاخذ النساء يزغردن ويغنين وهذا بمثابة نداء للمدعوين • وكلما حضرت مجموعة اخذت النساء يغنين ويزغردن • مثلا •

يمسيك بالخير ياللي جيتنا الساعة
واسمك فلان وبيدك خاتم الطاعـــــة
وحياة من خلى نجوم الليـــل لماعـــة
ما اصبر على فراقك لا يوم ولا ساعـة

وهناك نوع من المجاملات تشجع الشباب على الغناء •

حوطتكم باللهكلكم شباب مـــلاح
ما تلعبـــوا لا يغـــز الرمـــاح
شو تطلبوا بعد العشاء يا عيوني
صيصان محمرة بـــزيت الطفـــاح

وتبدا السهرة وغالبا ما تكون السحجة او السامر • ويصطف الشباب بشكل مجموعات منفصلة يرد بعضها على بعض • ويكون القاصود أو البداع يغني والآخرون يرددون اقواله في حين تكون الحاشي « الفتاة الراقصة » قـــد احتلت مكانها وسط المجموعة • وترتـــدي الحاشي العباءة وتحمل بيدها السيف وتكون رقصتها على انغام السحجة ، وتبقى فترة طويلة في حالة تحد للرجال حتى ينزل رجل ليراقصها والويل له أن هي خطفت عقاله خلال الرقص •

نماذج من أغاني السامر :

يـــا اللي عقلت حويشنا
ياخي وشلك علينـــــــا
كانك الحـــق تماشينا
نحن ويـــاك وخلق الله
هـلا هـلا بك يـــا هـلا
لا يا ضيفي يـــا ولـــد
« يرددها بعد كل مقطع »
والحاشي ما عرف الحاشي
وبقي سميها ياابنيـــــة
دخيـــــل عيالك جيد الله
دخيل عيالك والغلـــــة
والظالم ما يخاف من الله
والحـــق يبين ميزانـــه
هاتون الحاشي هاتونـــه
هاتونه يا اللي تعرفونـه
وان كان عويلها ببكـــي
هاتون السكر وسقونـــه
قومي ارقصي لي يانـــورة
يا خـــدك ضوء البنورة

٣ ـ الدبكة :

تحتاج الى حركات سريعة متناسقة وتكون على انغام الشبابة ويتقدم الشباب لـــواح

وينطلقون بحركاتهم بعد كل اغنية او تكـون معظم اغانيهم عاطفية يصفون بها الحبيـب وصفاته الجمالية كقولهم ·

طلت الحلوة من الشبـابيـك
الحنى بيدها مشبك تشبيـك
ومن اين ادور ومن اين اجيك
الحارة مليانة شباب دلعونـا
مرت ما مرت مرت مـا مرت
مرود الكحـل بالعين جرت
وطت ع العشب اليابس واخضرت
مطرح قدمها نبت ليمونـا
مرت ما مرت ما عننت بيـه
ضرب الشباري اهـون عليه

٤ ـ الجوقية :

وهذه نوع اخر من الغناء ولا تحتاج الى شبابة بل هي عبارة عن صفين متقابلين من الرجال يمشون ببطء وبحركات خفيفة من ارجلهم · وهذه اساسية وكثير من الحفلات تقتصر على هذا النوع من الغناء ·

نموذج من الجوقية :

يا بو رشيدة قلبنا اليوم مجروح
جرح عميق وبلحشا مستظلـة
جابو الخطيب ومددوني ع اللوح
قلت برضا لمـا عشيري يصلني
يانجم يا اللي بالسماء واسمك سهيل
بالله نجاك الولف دلـه عليه
وعيونها ياخوي وتقول فنجـان
فنجان الصيني يدرج ع الصنية
ونهودها ياخوي وتقول تفـاح
تفاحـة ع امها مستويـة
يا شعرها يا خوي وتقول حنشان
حنشان بارض الخلا هاش عليه

٥ ـ ليلة الحناء :

يتم حنا العريس في الليلة السابقة للزفاف وهي آخر ليالي التعاليل وفي المساء تقوم احدى قريبات العريس بجبل الحنا وتخميره · وقبل غروب الشمس ترسل قسما منه الى العروس · وخلال وضع الحنا بيد العريس يردد الشباب بعض الاغاني ·

سبل العيـون ومـد ايده يحنونه
وش هالغزال اللي راحـو يصيدونه
رحت احوش القطن صادفنـي غزال
يا غـزال البـر احـلى غـزال
قلت يا فـلان مـن اين لك هالغزال
قـال صدته البارحـة وقت المنام

٦ ـ طعام لقرى :

في صباح اليوم التالي يقوم اهل العريس بذبح الذبائح وتحضير الطعام · ويبدأ تقديم الطعام من الصباح الباكر ويستمر الى ما بعد الظهر ومن العادة أن تحمل كل عائلة مدعوة معها اما ذبيحة او كمية من القمح وتقدم كمساعدة للعريس · ويرافق تقديم الطعام بعض الاغاني الخاصة مثال ذلك :

اللي فرح لينـا
يجي عن الخوخـا
تسلم يا بوفـلان
يا مزرر الجوخـا
اللي فـرح لينـا
يجي يهنينـا
الكـرم عادتنـا
صنعـت اهالينـا

٧ ـ حمام العريس :

بعد الانتهاء من تقديم الطعام يستعـد الشباب لتجهيز العريس ويدخل العريس مع

بعض الشباب لأخذ الحمام · بينما تكون النساء يغنين في غرفة مجاورة · وفي حالات كثيرة يقوم احد اصدقاء العريس بدعوته للحمـــام في بيته ·

نموذج من اغاني حمام العريس :

ع لمدال يا قلب   وسخن وجيـــب
اخطيت العزبــان   برقبــة الخطيـب
ع لمدال ياقلــب   وسخــن وهـــات
اخطيت العزبــان   ع عنده بنـــــات

وكذلك :

يا ام الدامر الجوخ يا فلانـــة
يا ام الدامر الجوخ ياهيـــــه
تصلح مرت شيوخ يافلانـــــة
تصلح مرت شيـوخ يا هيـــــة

٨ ـ طلعـــــة العروس « جلـــب العروس » :

يذهب مجموعة من الشباب لجلب العروس الى بيت عريسها وتتبعهم النساء بينما يبقى العريس برفقة صديق له بانتظار عروسة · ولا يفوتني ان اذكر ان العروس كانت تاتي راكبة على ظهر الفرس · بينما العريس يقف على ظهر حائط حاملا معه سبع حصيات لضرب عروسه بها · وهذه تدل على هدوء أعصابه[١] ·

نموذج من الاغاني المرافقة لطلعة العروس :

من الصبح للعصر
حنا مشينا
من الصبح للعصر
طيبات الأصل
وحنا خذينا
طيبات الأصل
من الصبح للضاحي
حنا مشينا
من الصبح للضاحي
والبيض الملاح
وحنا خذينا
والبيض الملاح

وقولهم كذلك :

لا تكن طماع يابي فلان
لاتكن طماع
والنسب نفاع والمال يفنى
والنسب نفاع
ع الدرب مديتك ياحبل اللولو
ع الدرب مديتك
الله يعمر بيته فلان وحيد
الله يعمر بيته
مهاهاة عند خروج العروس
قومي اطلعي ياقمر
والغايبين من اهلك حضر
والحاضرين ملوك
والغايبين وزر

وهناك عادة في الوسط الشعبي هي انه عند وصول العروس تاتي حماتها بقطعة من الخميرة (العجينه) واوراق شجرة خضراء تلصقها على مدخل الباب وهذا باعتقادهم أن تبقى العروس كالخميرة في العجين ويكون قدومها خيرا وبركة ·

---

(١) هذه الحصيات يرميها العريس لثلاثة اغراض :
أ ـ ليدل على هدوء اعصابه ·
ب ـ يطرد كل نحس يعترض سبيل حياتهم الزوجية ·
ج ـ أنه يريد أن يجعل ليالي حشمتها سبعا تكريما لها ـ هذا في الشمال ·
(العزيزي)

نموذج آخر من اغاني حمام العريس :

طلع الزين من الحمام

يـــا سلام يـــا سلام

عريسنا ما ابدعـــه

شبه القمر في مطلعـــه

عريسنا ريتك تـــدوم

شبه القمر بين النجـوم

يامعـــزب فرش منزلك

والدار اجوها ضيوفها

دار دعتنــــا للفرح

لازم علينـا نزورهــــا

وبعد الانتهاء من الحمام يذهب به الشباب للزفة ويركب الشباب خيولهم في السباق امام العريس • والعريس يرجح من الفائز بالسباق

٩ ـ حمام العروس وزينتها :

تقوم قريبات العروس بتجميلها وتزيينها بالزي السائد من ملابس وقلائد من الذهب والريالات وتدخل العروس برفقة قريباتهـــا للحمام وحسب الاعتقاد الشعبي ان تدخـل العروس معها شبة ، قرطة ، سكرة فضية ، جوزة الطيب • وتضعها تحتها خلال الحمام • وهذه كلها لأجل ان تبقى كالشبة في وجــــه عريسها •

نماذج من الاغاني خلال حمام العروس :

لا تطلعي ع الجبل

يـــا علبة المشمش

لا تامنـــي العزب

ترى العـزب يكمش

لا تطلعي ع الجبل

يا علبـــة القهوه

لا تامنـــي العزب

ترى العزب يهـوى

وهناك التجلاية وهذه بعد دخولها البيت• حيث تقف واضعة يديها على راسها • وتغني واحدة من النساء والاخريات يرددن الاغنيـــة نفسها •

اول ما نبدى نصلـــي ع النبـي

فطومة الزهراء جلوهـــا ع علـــي

يوم جلوها ع الشريف ابن هاشـــم

قال الشريف ردوا عليها اللثايـــم

يابنت موج البحر يا اخـــت فارس

يا بنت من بزين بصدر المجالـــس

عماتها مـــا انقـال عنهن ولاجـرى

خواتها مثــل اللبروق اللـــوامع

يـــا خوالها الفرسان وعمامها القنـا

عمـــاتها ما نقال عنهن ولا جـــرى

وكانت تسود عادة ضرب العريس عنـد دخوله • وهذه باعتقادهم لطرد الخوف وتضرب ام العروس رؤوسهم بعضها ببعض وتغني •

الحمد لله عمرت دور اهالينا

وتمايل الفرح فيها كيف ما مال

يابو عباتين لا تفرح بخيذتنا

ورجالنا سالمة والدهر ميـال

وحتى يتاكد اهل العروس من طهارة ابنتهم يطلبون منه ان يفض بكارتها على قطعة قماش بيضاء حتى تشاهدها ام العروس وقريباتها •

النقوط :

وفي اليوم الثاني يبدا اقارب العريس واصدقاؤه بالحضور ليباركوا لـــه بالعروس وتقدم له الهدايا اما نقدا او عروضا مختلفة • وتستمر العملية اسبوعا كاملا وخلال هــذا الاسبوع يدعوه اصدقاؤه لتناول الطعـــام • وبسبب ضيق الحال وسوء الحالة المادية كان العريس يضطر للسكن مع اهله في بيت واحد الا اذا كان هناك اكثر من بيت • وبعـــد مضي شهر تقوم العروس بزيارة اهلها لمدة تتراوح بين سبعة ايام الى عشرة •

صناعة الفخار في قرى رام الله

قد يتبادر الى الذهن ونحن نقول صناعة أن هناك صناعات تجارية يعيش من ورائها مجموعة من العمال وان هناك عمليات تسويق وانتاج مستمر . ولكن الحقيقة اكثر بساطة واضيق مجالا ، فهي صناعة تقوم بها النساء في اوقات معينة فقط يصنعن ما يلزم بيوتهن من أثاث واوان وادوات .

تبدأ صناعة الفخار والقش في شهر آب وشهر ايلول . وتقل صناعتها في الاشهر الأخرى وذلك للأسباب التالية :

١ – انتهاء الموسم الزراعي ففي هذا الوقت تكون الدورة الزراعية قد انتهت ولم يبق سوى جني الثمار والمحصولات . وهذه عملية ممتعة للفلاحين ، تعطيهم راحة نفسية تولد عندهم طاقة اخرى . ويكون لديهم وقت كبير من الفراغ وخصوصا عند النساء اللاتي يقمن بهذا العمل .

٢ – درجة الحرارة المرتفعة في هذه الاشهر اذ تصل الى اقصاها ويكون الهواء جافا مما يساعد على تجفيف الاواني الفخارية . ويندر سقوط الأمطار التي تتلف الفخاريات .

اسباب نمو هذه الصناعة :

هذه الصناعة ليست مقصورة على قرية سنجل بالذات . ففي كل القرى توجد هذه الصناعة ولكن هناك اسبابا جعلت هذه الصناعة تنتعش وتزدهر واهمها :

١ – وجود المادة الخام وهي التربة الصلصالية فهناك مناطق كثيرة تحوي هذه الأتربة وهي تربة تميل الى الصفرة والاخضرار . توجد احيانا تحت طبقات التربة واحيانا ظاهرة واضحة . وهذا يساعد على نمو هذه الصناعة اذ لا يكلف استخراجها جهدا ولا مشقة . وهذه التربة تسمى (هش) ومكان استخراج التراب تسمى (متربة) .

٢ – وجود الفراغ الكبير عند نساء القرية اذ لا يقمن بأعمال الفلاحة كما يقوم بها الرجل بل يقمن بعمليات المساعدة فقط مثل ارسال




الطابون
طوس
القعبوره
جرة زيت
الزراوية
زير الطفاح
الغطا
كوب
وظاية
سفل
الغطوسه
القوار

الطعام (الزوادة) الى مواقع العمل وانتزاع الاعشاب الضارة والعنايـــة بكروم العنب وتصنيع التين والعنب وجني الثمار . وبذلك يبقى عندهن وقت طويل مـــن الفراغ يملأنه بصناعة القش والفخار وتطريز الملبوســـات والتانق في تفصيلها .

٣ - محصول الزيت الوفير الذي يجنيه الاهالي وهذا قديم قدم القرية . اذ لم تكن مخازن يخزن فيها الزيت وذلك لان الزيت لم يكن يصدر بل يعاد خزنه سنة بعد اخرى مما دفع احد الاهالي الى ان يستعمل الزيت بدل الماء في عقد بيته .

٤ - الظروف الاقتصادية وضرورات المعيشة وهذا لم يكن مقصورا على سنجل فمستوى الدخل المتدني دفع بهم الى صنع ادواتهـــم المنزلية من المواد الخام المتواجدة عندهم - وان كان هناك من الأثرياء يستطيعون شراء القاشاني والزجاج - كما أن هناك بعض الضرورات الملحة التي تستدعي صنع وتصميم بعض القطع . وهذا يظهر عند الكلام عن القطع .

لا نريد أن نسهب في هذا البحث ونتقصى الف باء الصناعة . فلذلك بحث منفصل . وكل همنا ان نعدد القطع ونسجلها قبـــل اندثارها تماما وعسى ان نكون موفقين في هذا المجال .

١ - الزير :

وهو معروف مالوف لم يتوار من حياتنا بعد له قاعدة صغيرة قطرها من ٢٠ - ٢٥ سم وقطره في الوسط من ٦٠ - ٩٠ سم وارتفاعه من ٩٠ - ١١٠ سم . وقطر فوهته ٣٠ - ٣٥ ســـم ويستعمل لوضع الماء وتبريده اذ يتسع مـــن ٤ - ٥ تنكات وحينما تنسد مسامات الرشـــح بعد طول استعمال يستعمل لخزن الزيت .

٢ - زير الطفاح :

وهو نفس زير الماء الا انه بلا رقبة بـــل له باب متسع قطره ٤٠ - ٥٠ سم يستعمل لاستخلاص الزيت مـــن الزيتون اذ يدرس الزيتون ويوضع بهذا الزير مع الماء الساخن ثم يعرك الزيتون حتى يطفو الزيت على سطح الماء . ثم يقطف هذا الزيت الذي طفا وهذا الزيت له نكهة ليست بزيت المعصرة ياكله الناس ويشربونه كشيء مستحب ويقولون (عشنا وذقنا خير السنة) ويستعمل هذا الزيت ايضا لصنع المسخن .

٣ - الجرة :

وهي اصغر من الزير الا أن رقبتها اطول قليلا . تستعمل لخزن الماء كالزير والزيت في حالة قدمها . كما تستعمل لجلب الماء من العين . ارتفاعها متر وقطرها الأقصى ٦٠ سم والاصغر ٣٠ .

٤ - العسلية :

وهي اصغر من الجرة وعلى هياتها قطرها الأعلى ٣٠ سم تستعمل لجلب الماء وتبريده وخزن الزيت ايضا . وربما اشتق اسمها من العسل الذي كان يوضع بها .

٥ - الزراوية :

لها شكل يختلف عن الجرة والعسلية . ولها نفس الاستعمال ارتفاعها ٦٠ - ٨٠ وقطرها ٤٠ سم . وقد يكون اسمها تصغيرا لكلمـــة زير .

٦ - جرة الزيت :

وتصنع خصيصا لوضع الزيت ويراعـى في صنعها الباب الضيق لاقفاله بالطين عنـــد الخزن . وتعتبر وحدة قياس اذ يقال فلان عنده ٥٠ جرة زيت او مائة جرة وهكذا .

٧ ـ الشربة :

وتميز برقبتها الطويلة المتناسقة اذ تبلغ ٣٠ سم وقطر الرقبة ١٠ ـ ١٥ سم اما قطرها من الاسفل ٥٠ سم وارتفاع الشربة ٥٠ سم وتستعمل لتبريد الماء وشربه فقط وتشبه رقاب الفتيات الحسان برقبة الشربة ٠

٨ ـ الكوب :

ويوضع هذا على باب الشربة كغطاء ويستعمل لسكب الماء فيه في حالة عدم المقدرة على الشرب من الباب ٠

٩ ـ المغطاس :

ويستعمل للشرب فيغرف الماء به من الزير او الجرة وله اذن للامساك ارتفاعه ١٥ سم والقطر من ٦ ـ ١٠ سم ٠

١٠ـ القعبورة :

وهو اناء صغير له اذن واحيانا لا يكون ، يستعمل لشرب الشاي او اللبن وغالبا ما يستعمل لاسقاء الاطفال الحليب واللبن ٠

١١ ـ الزبدية :

وهي اناء قطرها من الأعلى ٣٠ ـ ٤٠ سم ومن الاسفل ٢٠ سم وارتفاعها ٢٥ سم تستعمل للاكل فقط ٠ وهناك اخرى اكبر حجما تستعمل لسن الجميد (الكشك) ٠

١٢ ـ القدحية :

وهو تصغير للقدح الذي يعنون به الاناء الكبير ٠ وهي صغيرة تستعمل استعمال الصحن ٠

١٣ ـ القور :

او قور المفتول وهو يشبه الزبدية ٠ اسفله يدخل باحكام في فوهة القدرة ٠ وهو مثقوب القاع ليصعد منه البخار الى المفتول ٠ وتوضع عجينة عند التقاء القور بفوهة القدر لمنع تسرب البخار وتسمى عصابة ٠

١٤ ـ القدرة :

القدرة او (القدر) ويستعمل للطبخ لها شكل مفلطح معروف كاللفت ٠ تصنع من الحجر الملحي ٠ توضع على موقد يكون من ثلاث مرتكزات يوقد فيه الحطب قطرها بين ٣٠ ـ ٤٥ سم والقدرة الصغيرة تسمى (قبعة) تستعمل لدى العائلات الصغيرة ٠

١٥ـ القلاية :

وهي مبسطة تستعمل للقلي وبعضها صغير يستعمل لقلي البيض حيث يحتفظ بالحرارة لمدة اطول ٠

١٦ ـ المعلاط

وهو قلاية لها مقبض ٠ تستعمل لوضع المشويات السائلة والصلبة في الطابون ويكون له اشكال واحجام حسب الاستعمال ٠

١٧ ـ الطابون :

وهو معروف يستعمل للخبز قطره من ١٢٠ ـ ١٨٠ سم وارتفاعه ٤٠ سم وقطر فوهته ٥٠ ـ ٦٠ سم تغطيها غطاء لها مقبض قائم تسمى (قنزعة) سمك جدار الطابون من ٢ ـ ٣ سم توجد بقاعدته حصى تسمى الرضف يوضع فوقه العجين ٠ ويوقد حوله القصول والبعر والجلة ٠

١٨ـ الجرن :

ويشبه الصندوق او البرميل وله مقاسات مختلفة حسب الاستعمال وهو لايشوى في المشواة ٠ ويخزن به القطين والطحين والحبوب والجرون الكبيرة الذي يبلغ ارتفاعها اكثر من ١٥٠ سم تسمى خابية ٠

١٩ ـ الطوس :

وهو اناء مدور لم يزل معروفا قطره ٣٠ سم وارتفاعه كذلك يستعمل لوضع الحليب واللبن الرائب ٠



القعاده
القوار
الجره
المغطاس
الجره
الكدره
معلاط
الموكره
الزبدية
القلاية
السراج
الزيي
شربه
القدحية
العسلية

٢٠ ـ الغطوسة :

وتسمى ايضا اللغدة وهي اناء مخروطي صغير طوله ٣٠ سم وقطره من الاعلى ١٠ ـ ١٥ سم لها فوهة ضيقة ٣ ـ ٥ سم تستعمل لوضع السمن والزبد.

٢١ ـ السفل :

وهو اناء اكبر من الزبدية اذ يبلغ قطره الاعلى ٦٠ ـ ٨٠ سم • يستعمل لغسل الثياب • وتحميم الأطفال ووضع الماء الساخن عند الاستحمام •

٢٢ ـ الوظاية :

وهي اناء تشبه الزبدية حجما وشكلا اخذت اسمها من الوضوء في وسطها عامود مقعر في اعلاه ليرتكز الكعب عليه ويدعم هذا العمود مرفق يتصل بالجدار يستعمل كمقبض كما ان القدم ترتكز عليه كما هو الحال عند ماسحي الاحذية • وهي تستعمل مغسلة متنقلة •

٢٣ ـ القعادة :

وهي اناء تشبه الطوس حجما وشكلا تستعمل للتبول وقضاء الحاجة في البيوت التي لا تحتوي مرحاضا • كما انها تستعمل للأطفال كما تستعمل (النونية) البلاستيكية في هذه الايام •

٢٤ ـ القوار :

ولم يزل معروفا ومستعملا اذ تزرع فيه النباتات والزهور •

٢٥ ـ السراج :

وهو اناء صغير يشبه مصباح علاء الدين • كان يستعمل للاضاءة قبل اكتشاف البترول طوله ١٠ ـ ١٥ سم • يتسع لأقل من ربع لتر زيت • له ثقب لصب الزيت وآخر لادخال الفتيل ويستعمل في هذه الايام لاضاءة المقامات والأضرحة وغالبا ما يكون هذا نذرا على امراة او رجل كان يضيء الشيخ عمرو او صالح او ابو العوف اذا شفي من مرض او نجا من مصيبة •

٢٦ ـ الغطاء :

وتشبه قبعة البحارة • ويستعمل لكل الأواني التي تقفل وتفتح بشكل دائم مثل الزير والجرة والقدرة • ولها ممسك لرفعها ووضعها •

وهذه الاواني والادوات ـ كما نراها ـ تغطي كافة الحاجات اليومية في البيت الريفي حيث الاستعمالات بسيطة بساطة الحياة ذاتها • وهي تصنع باليد باستعمال الأصابع وراحة الكف • وفي بعض الاحيان خشبة صغيرة ولا يستعمل الدولاب كما هو معروف في اماكن الصناعة التجارية • واشهر من كانت تبدع في صنع هذه الأواني هي السيدة سارة المسعود اذ تجاوزت التسعين في هذه الأيام • ولم تزل على قيد الحياة •

وبعد ان تجف هذه الأواني وتصبح صلبة تزين هذه الأواني بزخارف من المربعات والمثلثات واشكال المعين وعروق الشجر بواسطة فرشاة تصنع من شعر اذناب الحمير والجمال ويستعمل لذلك حجر يذاب بالماء يسمى (مغرة) لونه احمر يميل الى البني واشهر من كانت تزين الجرار وتتفنن في الزخرفة هي فطوم العراق •

وحينما تتم الزخرفة والتزيين تكوم في كومة وتحاط بالجلة وهي اقراص من روث البقر واشياء اخرى تحتاج الى زمن طويل حتى تحترق • وهذه العملية تسمى (الشوي) والمكان مشواة * •

★ الرسوم بريشة الكاتب ابو اعراق •

من قلم روكس بن زائد العزيزي

الاستسقاء في الديار الاردنية !

الاستغـــاثة ... الاستمطـــار .. !

« وجعلنا من المـــاء كل شيء حي » ـ القرآن الكريم

« سورة الانبياء ـ الآية الـ ٣٠ »

ثلاثة اسماء لمسمى واحد ، وافضلهـــا عندي الاستسقاء : ..

لان الاستسقاء عند الفقهاء ، هو طلـــب انزال المطر من الله تعالى ، على وجه مخصوص عند شدة الحاجة اليه : .

وبحثنا عن الاستسقاء في الاردن ، يضطرنا الى التعرض لاهمية الماء في حياة الانسان ، اينما وجد وكيفما عاش . حتى عند اولئـــك الـــذين لا يستعملون الماء على موائدهم .

اهمية الماء عند العربي :

للماء عند العربي اهمية خاصة ولا سيما ساكن البادية ، وابناء الصحراء : لذلك كثر في ادعية العرب وهم في المع ادوار مجدهـــم ، طلب السقيا لمن يحبون ، ولما يحبون . ولغوف البدوي من الظمأ حفر الآبار ، واهتم بها : كما اهتم بها البشر كافة من اقدم العصور ، خوفا من العطش ، ومن شح الماء .

الحضارة لم تقلل من أهمية الماء :

ولم تستطع الحضارة ، على كل ما تقدمت علومها أن تقلل من اهمية الماء في الحياة ، ولا ان تزيل قيمة الآبار ، فحفر المتحضرون الآبار وبنوها ، لان الآبار من مصادر الماء الذي يمثل ٦٥٪ من جسم الانسان و٦٠ الى ٧٠٪ من جسم الحيوان ، و٩٥٪ من النبات . ولا يمكن لاي مخلوق ان يعيش بلا ماء .

اهمية الماء في الصناعة :

والماء لا يمكن الاستغناء عنه في الصناعات وانتاج الطاقة . فلكي نعطي مثالا بسيطـــا ، نقول انه من اجل انتاج لتر من الحليب لا بد لنا مـــن استعمال خمسة لترات مـــن الماء . ولانتاج هكتولتر من (الجعة) البيرة نحتاج الى

سبعمئة لتر من الماء ومن اجل انتاج الفي غرام من الخيوط الاصطناعية نحتاج الى مائة لتر من الماء اما الانسان ، فانه في حاجة الى اربعة لترات من الماء يوميا :

من اجل هذا حفر الانسان الآبار الارتوازية والآبار العادية للحصول على الماء العذب مما في جوف الارض •

احتيال الانسان للحصول على الماء :

وقد احتال الانسان حيلا شتي للحصول على الماء ، فذوب الجليد وفتت الصخور بحثا عن الماء قديما ، اما في العصر الحديث ، فالعمليات مستمرة لازالة ملوحة مياه البحـــار ، حتى في بلادنا الشرقية كالكويت ، وامارات الخليج ، التي كانت تنقل اليها مياه الشرب بوسائـــل النقل الحديثة •

الحصول على الماء اصبح مشكلة عالمية دولية :

وقد اصبح الحصول على المـــاء للشرب ، ولارواء الحيوانات والنباتات مشكلة دوليـــة عالمية ، فقرر مؤتمر اليونسكو العام الذي عقد في باريس بتشرين الاول سنة ١٩٦٤ ان يبدا ببرنامج السنوات العشر العالمية للهيدرولوجية من اول سنة ١٩٦٥ ، تتحد فيه جهود العلماء من ستين دولة لحل مشكلة من اشد مشاكل العالم تعقيدا ، وهي مشكلة الماء • ينقسم البرنامج الى قسمين :

القسم الاول ـ الحصول على معلومات عن كمية الامطار والثلوج ، وكمية الماء في الانهار والمياه الجوفية ، وعـــن تركيبها ، في البلدان النامية خاصة •

ب ـ والقسم الثاني يتناول موازين المياه في الكرة الارضية :

نظر الانسان الى الماء من أقدم العصور

قبل الاديان الكتابية اخترع الانسان الهة للبحار وللانهار وللامطار كان يكرمها بضحايا حيوانية وبشرية ، كما كان يصنع المصريون مع النيل ، ولما جاءت الاديان الكتابية الغت تلك العبادات الوهمية والضحايا الغريبة ولم يشذ العرب في الجاهلية ، عما كان يمارسه غيرهم من الشعوب • فقد كان الجاهليون اذا احتجب الغيث ، وشحت السماء بمائها عمدوا الى شجر (العشر) وربطوه باذناب البقر ، واشعلوا فيه نارا ، لكي تركض البقر استجلابا للغيث • ولعل هذا اثر من آثار عبادة البقرة في الهند تسرب في الجاهليين من مخالطتهم للامم التي نقلوا عنها اصنامها واساليب عبادتها !

تحول الانسان بعد الاديان الكتابية :

اما بعد ان دان الناس بالاديان الكتابية فانهم اخذوا يلجأون الى المعابد اذا احتبس الغيث ويتوجهون الى الله استدرارا للغيث •

جذور من العادات القديمة بين العامة :

مع هذا فقد بقي في الديار الاردنية بعض الاوابد الخاصة بالاستسقاء وهي الآبدة المعروفة بـ (ام الغيث) •

آبدة أم الغيث وكيف تتم ، وماذا يغنى بها :

عند احتجاب الغيث في الاردن ، كانت تجتمع جماعة من الاناث في كل حي ويضعن ملابس امراة على عصى ويطفن بها في الحي ، مبتدئات من الشرق الى الغرب ، ولما يصلن الى منتصف الطريق يتجهن شمالا ، ثم يعدن الى النقطة التي

انطلقن منها الى الشمال ويسرن الى الغرب ، ثم يعدن الى الجنوب وهن يرددن :

يا ام الغيـث ، يا دايـم
بل ازريعنـا النايـم ،
بلـي زرع ابـو فـلان
هاللـي ع الكرم دايـم
يا ام الغيـث يا ربـي
بلـي ازريعنا الغربـي
بلـي زرع ابـو فـلان
هاللـي ع الكـرم مربـي
راحت ام الغيث تجيب الزلازل
ماجت غير الزرع طول السناسل
راحت ام الغيث تجيب الرياح
مـا جت غير المزرع طـول الرماح
راحت ام الغيث تجيب الرعود
ماجت غير الزرع طول العقود
يام الغيـث يا منجد ،
بلـي جـورة المقعـد
وخلي سيلها يدعج

وفي بعض القرى ، تاخذ اللواتي يمثلن آبدة ام الغيث اباريق مملوءة مـاء يدفقنها عنـد البيوت التي يمررن بها ، تفاؤلا بان الغيث آت لاريب فيه .

ولا بد لنا من ان نذكر ، ان الوجيه الذي تنوه ممثلات أم الغيث به يدعوهن الى عشاء ، وقد يكون ذبيحة .

وقد كان الناس يستسقون بالاطفال يرفعونهم الى السماء قائلين : « بحق هالطفل اللي مافتح فمه غير امه وبحق كل خرسا طرسا - اي دابة لا تتكلم - تشفق يارب على عبادك ، ترسل غيثك اللي يصلح ، وما يفسد وقد اشـار الاخطل الى الاستسقاء بكرام الناس الـذين يعتقد الناس ان لهم عند الله كرامة يوم قال في علوائه المشهورة التي مدح بها .

خف القطين فراحوا منك او بكروا
وازعجتهم نـوى في صرفهـا غير

اذ قال :

الخائض الغمـر والميمون طالعه
خليفة الله يستسقى بـه المطر

وفي عمان كان يصلي الناس عند رأس العين للاستسقاء ، وبعد الصلاة يتحولون الى التنزه !

ركائز البحث :

١ - اديان العرب القدماء - للجارم
٢ - الاصنام - تحقيق احمد زكي باشا
٣ - لسان العرب - لابن منظور
٤ - صوت الفرات - عبد القادر عياش
٦ - مادبا وضواحيها - للعزيزي والاب جورج سابا
٧ - تقرير مؤتمر اليونسكو المنعقد في باريس سنة ١٩٦٤
٨ - فوائد مسجلة - مخطوط - تاليف روكس العزيزي
٩ - قاموس العادات واللهجات والاوابد الاردنية للعزيزي
١٠- خمسة اعوام في شرقي الاردن للارشمندريت بولس سلمان

الغزل والنسيج في فلسطين

تأليف : شيلا ويّر
ترجمة وعرض : فاروق جرار

بين ايدينا كتيب طريف غني في محتواه نشره امناء المتحف البريطاني في لندن عام ١٩٧٠ وهو يقع في اثنتين واربعين صفحة من القطع المتوسط العريض ويضم بين جنباته خمسا وعشرين لوحة وخريطة لفلسطين .

وتقول مؤلفته ان الحرف الموصوفة في هذا الكتيب تعود لاهل قرى فلسطين ومدنها في الفترة الممتدة من منتصف القرن التاسع عشر حتى نهاية الانتداب البريطاني على فلسطين عام ١٩٤٨ .

وقد استعانت المؤلفة في كتابتها بمؤلفات جريس كروفوت وجوستاف دالمان ، وهي المؤلفات الوحيدة التي تعرضت لموضوع النسيج في فلسطين بشكل مفصل . كما قامت بابحاث ميدانية في الضفة الغربية ومناطق فلسطين المحتلة ما بين عامي ١٩٦٧ و ١٩٧٠ بتكليف من امناء المتحف البريطاني .

تعيد الكاتبة اصل المنسوجات الدقيقة المستعملة في فلسطين خلال الفترة التي غطاها الكتاب الى الصناع السوريين المهرة في حلب وحمص وحماه ودمشق الذين كانوا يغطون قسما من حاجة السوق الاستهلاكية في فلسطين بينما يغطي الصناع المحليون باقي حاجات السوق . واشهر مراكز الغزل والنسيج في فلسطين كانت صفد والناصرة في منطقة الجليل ونابلس في جبال السامرة وبيت جالا والخليل في منطقة القدس وغزة والمجدل في جنوب غربي فلسطين وقد راى بيركهارت الذي زار البلاد في القرن التاسع عشر ان صنعة اهل صفد الرئيسية كان صبغ القطن وتصنيعه ، وفي كتاب (تاريخ الناصرة) المطبوع عام ١٩٠٨ باللغة العربية يقول المؤلف ان الناصرة كانت تضم في نهاية القرن الماضي ثلاثمائة مغزل وفي الثلاثينات من هذا القرن كتب دالمان ان المجدل كان فيها

خمسمائة مغزل بقي منها في الثلاثينات مائتان ، وثلاثمائة في بيت جالا وخمسون في غزة .

ولا زال المغـــزل اليـدوي مستعملا حتى اليوم في غزة والخليل وبيت لحم ، وان كان قد بدأ يخلي مكانه في اماكن كثيرة للمغزل الآلي .

ثم تبدأ الكاتبة في استعراض موضوعات محددة بتركيز ورشاقة ، ففي مجال الخيوط المستعملة تعلمنا ان من اهم مصادر الخيوط الصوف وشعر الماعز وشعر الجمل وجميعهـا كانت تصنع محليا ، والقطن كان يستورد من مصر غالبا لغزله ونسجه اما الحرير فيستورد من سوريا على شكل خيوط مغزولة ومصبوغة تستعمل على الأغلب في التطريز .

وتنتقل المؤلفة الى موضوع الغزل الـذي كانت تقوم به في معظم الأحيان النساء ، اذ يقمن بغسل الصوف وطرقه بالعصى الخشبية وفركه بالايدي ... ومن ثم غزله .

ويرينا الكتاب ثلاثة انواع من المغـــازل اثنان منها من قرية السموع في قضاء الخليل وواحد من غزة .

وتمر المؤلفة مرورا سريعا بموضوع الصبغ وتشير الى ان دالمان عالج هذا الموضـــوع بتفصيل اكثر في كتابه الذي اشرنا اليه من قبل .

وفي حديث الكتاب عن مغزل الحصير نرى ان اكثر من استعمله هم العرب المقيمون على شاطىء بحيرة الحولة ، اذا ان المواد الاساسية المستعملة في عمل الحصر تنمو بكثرة عـــلى شاطىء الحولة .

اما المغزل الأرضي فاكثر مـــا يستعمله الفلاحون في قرى الخليل وبيت لحم وبيـــت المقدس ، كما يستعمل ايضا من قبل البدو في الجزيرة العربية وصحراء سيناء ويلجا اليـــه الفلاحون لصنع البسط والحقائب بانواعهـــا وعليه ايضا يصنع الخرج الذي يوضع على ظهر الدواب .

وينتقل الكتاب للحديث عن المغزل العمودي الذي كان نادرا في فلسطين في النصف الاول من هذا القرن وقد اختفى نهائيا الآن ... وقد كان اكثر ما يوجد في صفد ونابلس والخليل ويستعمل لنسج الاقمشة الخشنة من الصوف وشعر الماعز والقطن التي تدخل في صناعـــة الاكياس والمعاطف والخيام .

اما المغزل الافقي فهو الاكثر شيوعا في فلسطين في الفترة التي عالجها الكتاب ، فلا تكاد تخلو منه مدينة او قرية كبيرة وهـــو يستعمل في صنع الاقمشة ، وكان صناع المجدل مشهورين فيما تنتجه مغازلهم مـــن الاقمشة الرقيقة ... ويعمل عليه ــ كما هو الحال في المغزل العمودي ــ الرجال دائما .

وهناك انواع من المغازل الافقية تستعمل في نسج الاقمشة الخشنـــة ، والصورة التاليـــة لمغزل من مجدل شمس في سوريا من النـــوع الذي كان شائعا في فلسطين لنسج الاقمشـــة الصوفية التي تصنع منها الخيام والمعاطف .

في الصفحات الاخيرة من الكتاب تقدم لنـــا المؤلفة ثبتا بالمراجع والمصادر وقائمة بالمقالات التي تعرضت لموضوع الغزل والنسيج ، مـــع خريطة مفصلة لفلسطين . وتختتم الكتـــاب بكشاف للتعابير الفنية المستعملة في الكتاب وهي التعابير المتعلقة بصناعة الغزل والنسيج .

وبعد فان الكاتب المتخصص في موضوع الكتاب قد يرى انه لا غنى له عن مطالعته وقد لايرى فيه اكثر من مدخل جيد للموضوع ... ولا شك ان المهتمين بالتراث الشعبي سيرون فيه منطلقا لبحث اكثر شمولا واوسع نطاقا يفي الموضوع حقه .

التجبير

جهاد خصاونه

التجبير هو اعادة العضو المكسور الى ماكان عليه قبل الكسر ، وهو فرع من فروع الطب الشعبي ويقوم بـه أناس عاديون اكتسبوا هذه الخبرة اما بالمشاهدة أو بالتوارث ٠

وهذا طبيبنا الشعبي الحاج محمد سالم النقيز (ابو خليل) من زياهة عربان بئر السبع وسكان الوصيفـة حاليا يعمل كمجبر للكسور الى جانب معالجته بعض الأمراض الأخرى وقـد وصف لنا عملية التجبير والمواد التي تستعمل فقال :

أنه بعد أعادة العضو المكسور الى موضعه الأصلي يضعون على مكـان الكسر بياض البيض ومبشور الصابون بعد خلطهما ببعض ٠ وتستعمل هذه الخلطة لمسك العضو المكسور ، وبعد ذلك يضعون اربع خشبات عرض كل خشبة خمس سنتمترات وتوضع على الكسر وتلف بالشـاش الابيض وتستبدل الخلطة المستعملة بمثابـة اللزقة كل عشرة أيام ٠

أما الآن فهم يستعملون اللزقـة الحديثة لمسك الكسور ٠

وفي حالة كسر الاضلاع قال انهم يستعملون القدحة لاعادة العضـو المكسور الى حالته الطبيعية ، والقدحة هي عبارة عن نوع من النبات يستعمل للكي ٠

والى جانب التجبير الذي يقوم به طبيبنا الشعبي يعالج ايضا امراضا أخرى مثل أ ـ النظرة : عبارة عن دمل يخرج في الاصبع ويستعمل في علاجه القدحة بحيث توضع على الدمل وتشعل وتبقى حتى تحترق تماما ٠

ب ـ عرق النسا هو دم فاسد يتجمع بين العظم والعصب ويكون الألم شديدا في الظهر وينزل في الفخذ ٠٠ ويعالج هذا المرض أيضا بواسطـة القدحة التي توضع على مشط الرجل وقد تستعمل عدة قدحات وبواسطـة الحرارة التي تحدثها القدحـة تخرج المواد الفاسدة من بين المسامات وقد تكون المعالجة بهذه الطريقة سببـا في الشفاء ٠



يوم الزفاف في قرى يافا

يوم الزفاف في بلدة السافرية فرحة خاصة في النفس لانه يمثل قمة الفرح بالنسبة لمراسيم الزواج ، وهو اليوم الأمنية الذي طالما تمناه الكثيرون ، بل هو الدعاء المستمر الى الله أن يقيض لكل انسان رؤية ذلك اليوم •

وعليه فلا غرو ان ترى الفرحة تملأ النفوس والابتسامات العريضة على كل وجه ، وعندما يبلغ الفرح منزلة معينة من النفس فانك ترى الدموع وقد ترقرقت في العينين من شدة الفرح ، وغني عن القول ان يوما كهذا لايمكن ان يذهب دون ان تحسب له الأيام والساعات وتوضع له الخطط الكثيرة قبل حلوله بمدة طويلة ، حتى انه لا يستبعد ان يستعمل تاريخا لما يجد بعده من احداث •

ويوم الزفاف يختلف باختلاف الناس ، فللاغنياء طريقتهم في تضخيم الحفل ، وللفقراء بساطتهم في التطبيق ولكن دون الاخلال بالخطوط الرئيسية للمراسم •

والزفة زفتان ، زفة حاشدة للعريس في وضح النهار يشترك فيها اكبر عدد من الناس وتستعمل فيها كل انواع فنون الرقص والغناء للرجال والنساء على حد سواء وزفة مسائية للعروس ، اقل ضجيجا وان كانت هي الاخرى حافلة الى حد كبير خصوصا في ضوء القمر واللوكسات والشموع الكبيرة التي تحملها العروس بكلتا يديها وهي على ظهر الفرس •

الاستعداد للزفة :

بالنظر للأهمية التي يعلقها الناس على الزفة باعتبارها خاتمة الأفراح ، فان الاستعدادات الدائبة ، تبدأ قبل شهر من موعدها ويشتد الحماس في الاسبوع الاخير ويبلغ منتهاه في اليوم الاخير الذي يشارك فيه كثيرون من اهل البلد خصوصا الاقارب والجيران والاصدقاء •

وما ان يبدأ موعد الزفة حتى يكون النشاط في البلدة قد توقف تماما فترى البيوت خاوية الا من بعض العجائز الجالسات على ابواب البيوت ينتظرن مرور الموكب •

المجارير :

وفي واقع الامر لا يمكن ان نعرف اي الأعمال يبدأ قبل الآخر في يوم الزفاف ، فاذا ما دارت عجلة الفرح فان الناس يصبحون كالخلية تماما كل يعرف واجبه ، مجموعة من الفتيات لنقل الماء واخريات لايقاد النار ، ونساء متخصصات في اعمال الطبخ في الوقت الذي تبدأ فيه وفود النساء التي تحمل على الرؤوس المجارير بالمجيء الى بيت الفرح ومعها الرز والقمح والبرغل والبصل مزينة بالورد وهي تغني اغانيها الجميلة .

وعادة المجارير كانت متبعة في البلدة منذ القديم ومفردها (مجرورة) ولعل اسمها قد جاء من (جر ، يجر) بمعنى جر الذبيحة التي كانت تجر فعلا مزينة بالورود واغصان الشجر ، بالاضافة الى اكياس الرز والسكر ، تقدم مساعدة عينية للعريس ، تسدد فيما بعد في اول مناسبة قادمة .

ثم اخذت تتحول المجارير الى اشكال رمزية تتلخص في بضعة ارطال من الرز او غيره مما كان يستعمل في الطبخ ،

كما انه يمكنك ان ترى حلقة من النساء اللواتي يقمن بتنقية الرز والقمح من الشوائب واخريات يخرطن البصل والبعض يحافظ على امن البيت من عبث الأطفال .

حمام العريس :

كان العريس يستحم في بيته في بادىء الامر لكن (على ما يروى[1]) حدث ذات مرة ان دعا احدهم صديقه بسبب ضيق المكان وانشغاله في اعمال الطبخ .... ليستحم في



بيته ، ومن بعدها درجت العادة على هذا المنوال لانها اصبحت حلا معقولا لمشكلة ظلت قائمة حتى سنة ١٩٤٨ وما بعدها احيانا .

ولذلك فقد كانت عملية تحضير العريس (حلاقة وتطيبا واستحماما) تجري في بيت أحد اصدقائه الخلص وسط هتافاتهم واغانيهم التي اهمها الشوباش مثل :

عريسنا باطلب الدستور	هاي هاي
من خوف يغلط لساني	هية
وانا لاسحب سيفي واباريك	هاي هاي
ان عشت وربي خلاني	هية

وما ان ينتهي العريس من الحمام حتى يعود به الصحب الى بيته وسط زفة صغيرة متواضعة يتابطه الأصدقاء عى أنغام :

مبارك حمامك يا عريس ....

حيث تستقبله الفرقة الموسيقية بالتحية (سلام خاص) ويتناول غداءه مع المدعوين في انتظار الانطلاق في موكب الزفة الكبير .

وفي هذا الوقت بالذات تكون هناك عملية

(١) الحاجة عايشة يعقوب من السافرية ــ ٥٥ سنة .

تحضير العروس على يد احدى النساء المحترفات وتسمى (الماشطة) .

وقد جاء في كتاب الفنون الشعبيـــــة في فلسطين - للسيدة يسري جوهرية عرنيطة في هذا الصدد ما يلي :

« تبدأ العملية بالطريقة البلدية المزعجة تقوم بها الداية أو القابلة - وتتحمل ذلك العروس بصبر وسكوت ثم يأتي دور الماشطة لتجميل الوجه وتصفيف الشعر وتدليك الجسم، أما الحنا فتقوم به صاحبة الحمام » . انتهى .

واقول لعلها في ذلك تتحدث عما يجري في المدينة وليس في القرية الفلسطينية .

فرقة الحاج جمعة الموسيقية :

كان يزف العريس على فرس يمســـك بزمامها أحد الرجال ويركب خلفه وامامه بعض الصبيان بالتناوب ويسير والناس من حواليه .

وفي الثلاثينات عرفت البلدة فرقة الحاج جمعة وهي عبارة عن فرقة نحاسية كاملـــة مؤلفة من(٢) كلارنيت عدد ١ ، ترامبيت عدد ٢ سكسفون عدد ٢ ، كنتر باص عدد ١ ، طبل كبير محمول عدد ١ وقارع للطبل وكانـــت تستقدمها خصيصا من يافا ضمن شروط معينة تدور حول ساعة البدء والختام والاخلاص في العمل اما الاجرة فقد كانت محدودة بخمســة عشر جنيها فلسطينيا عدا البقشيش الذي كان يناله من أهل البلد . كانت الفرقة تصل عادة بالسيارة من يافا بعد الظهر وسط ترحيب أهل العريس وهتافات الاطفال وهو يرد عليهـــم التحية بمثلها ولكن بلغة عالية (الموسيقى) .

وبعد أن تتغدى الفرقة ويتغدى معهـــا المدعوون يبدأ الاستعداد للتحرك .

موكب الزفة :

ينطلق الموكب (على البراد) بعيد الظهر خصوصا في أيـام الصيف القائظ يتوسطه العريس ومن خلفه النساء، وامامه الرجال .

أما العريس فيسير ماشيا تحت قوس من الخشب مزدان بجريد النخل والمكاحل والمرايا التي تتوهج تحت اشعة الشمس ويمسـك بالقوس اثنان من الشباب ويحيط بالعريس اخ أو صديق من كل جانب يحملون جميعـا ضمما من الورد ويسير خلفهم ثلاثة من الصبيان يحملون الكراسي التي يستريح عليها العريس واصدقاؤه أثناء توقف الموكب في ساحـــات البلدة .

أما لباس العريس فقد كان عبارة عـن قمباز من الصوف (في الشتاء) أو روزة (في الصيف) وجاكيت وطربوش ، ثم اصبـح اللباس فيما بعد الفرنجيا .

وغني عن القول أنه لا بد من أن يحافظ العريس على مظهره وأن يسير باحتشام (ذلك الوضع الذي لم يالفه من قبل) ، وعليــه فليس غريبا أن ترى العرق يتصبب منــه بشكل واضح .

كان الرجال يسيرون في المقدمة ، تصدح فيهم الموسيقى ويغنون معها وعلى انغامها التي هي اغانيهم والحانهم علموها للحاج جمعـــة ابتداء من الدلعونا وانتهاء بالشوباش .

ويسير الموكب في دورته حول البلد من ساحة الى ساحة تبدأ من ساحة المدرسة مثلا

---

(٢) خضر عزام/الاذاعة الاردنية .

ثم الى ساحة بئر البلد فساحة محطة سكة الحديد فساحات البيادر الواسعة ثم عودة للمدرسة ٠

وفي هذه الساحات التي كانت تزيد عن العشر كانت تتوقف الزفة ويبدا المتبارون في الرقص والغناء على انغام الموسيقى (ومن قبلها الشبابة واليرغول)

اغاني الزفة :

لا يمكن القول ان هناك اغاني خاصة بالزفة واخرى لليلة الحنة ولكنه بالتاكيد ان هناك اغاني منتقاة لا تصلح الا في مكانها ٠

كما ان هناك اغاني خاصة بالنساء تتسم بالرقة والنعومة لا تجوز للرجال والا كان عيبا عليهم استعمالها ، والعكس صحيح في بعض الاحيان ٠

وبما انه من صفات الزفة السرعة والحركة فانه لا يتناسب معها استعمال الاغاني البطيئة الناعسة التي تقال في ليلة الحنة وعند الجلوة مثل :

سبل عيونه ومد ايده تحنيها يا لالا ٠٠٠٠ وقتيش يغيب القمر ويناموا كل الناس يا لا لا ٠٠٠٠ الخ

ولذلك فانك ترى اغاني الرجال والنساء في الزفة على حد سواء كلها حماس وانفعال وتفاخر واشارة بالامجاد احيانا ، معبرين عن ذلك بالايدي والارجل بالنسبة للرجال ، وبالكف (التسحيج) بالنسبة للنساء بالاضافة الى الحناجر التي تبح بالنسبة لكليهما كل في مجال اختصاصه ٠

٠٠٠وحتى ان اغاني الزفة تختلف باختلاف المواقف والحالات فالموقف عند خروج العروس من بيت والدها غيره عند دخولها الى بيتها الجديد ٠

وعلى اي حال فانه لا يمكن الاحاطة في مثل هذا المقال بكل ما يمكن ان يقال خلال اربع ساعات كاملة تستغرقها الزفة للرجال ومثلها للنساء ، وكلاهما مختلف عن الآخر بطبيعة الحال ٠ بالاضافة الى ان بعضها يكون آنيا مرتجلا ٠

والجدير بالذكر ، ان معظم الاغاني كانت تدور حول العريسين ، تشيد بهما وتتغزل بجمالهما ، وتشعرهما بالاهمية التي تعلقها البلدة على هذا الزواج السعيد :

ومن اغاني الرجال اثناء سير الموكب على سبيل المثال :

درج يا غزالي
يا رزق الحلالي
(تكرر مرات عديدة)

درج يا حبيبي
يا حظي ونصيبي
او ريتك من نصيبي

محمد زين وشكره زين
محمد يا كحيل العين

محمد خاطبة ربة
يوم جمعة وليلة اثنين
٠٠٠ الخ

وكذلك :

يا حلالي يا مالي
يا ربعي ردوا عليا
(اللازمة)

بكرة بترجع الأيام
وبنرجع كما كنا

وكذلك ، وبصوت مرتفع فيه شيء من الخشونة (على طريقة فهد بلان) ٠

عريسنـــا عنتر عبس
عنتـر عبس عريسنـــا

يا فرحتك يا أم العريس
تـم الهنا بحضورنـا

ويـا دار دعتنا للفـرح
واجب علينـــا نزورها

ويا دار العزومـة والفرح
للظيف فتحت بابهـــا

وع جدارهـا البلبل صدح
والعز فوق اعتابـــهـا

وكذلك :

يا شيخنا يا شيخنـــا
شيخ المشايـــخ شيخنا

يـا شيخنا يا ابو مسعود
افتح لينا باب العامـود

يـا شيخنا يا ابو محمود
افتح لينا باب العامـود

وفي ساحة اخرى من ساحات البلـــدة ، يتصدى احدهم للقول ويرد عليه الآخـرون مثل :

حنـن يا قـرع حنـن
شوف البيظـــا بيجنـن

(أكثر من مرة)

والسمرا لا تـــوخذها
زي البصـــل المصنـن

هينا واربط في الشـارع
بيظا والصدر دالـــع

(أكثر من مرة)

هينا واربط باب الحوش
بيظا والصدر منقـــوش

(أكثر من مرة)

هينا واربط باب الحوش
تاتمـرق ام الكلـــوش

ثم يشتط الحماس بصاحبنا ، فيقول :

طلي علي من الشبـــاك
وانا ل شوفـك مشتاق

يا بنت ياللي في البيت
لا تقولي عنـي ذليـت

وان هب الهوى هبيـت
وان هـب الهوى هبيت

اخضر يا قرن الباميـــة
مسعـــد يا جوز الغاوية

احمر يا زر البنـــدورة
مسعد يا جوز الغندورة[1]

ويزداد الحماس به وينفعل الشباب معـه عندما يصيح باعلى صوته :

يا ام ثوب كمامـــه زم
ظميني في حظينك ظم[2]

(تردد مرات)

ثم لا يلبث ان يعود اليه رشده ، فتراه يعظ الناس ويطالبهم بالصبر ، ولعلها الفلسفة الحضرمية ٠

جنينة طارحـــة رمـــان
الصبر بالله يا عزبــــان

---

(١) البنادورة تشتهر بها السافرية (٢) ضم ٠

جنينة طارحة سريس
الصبر بالله يا عريس
... الخ
(تردد مرات)

ويستعمل الشوباش كثيرا في أثناء السير فكلما خطر ببال أحدهم خاطر تراه يصيح :

عريسنا يا نجمة سهيل هاي هاي
تطوي علينا كل وادي هيه
ريت أمك جابت اثنين هاي هاي
يوم الحبل والميلادي هيه

ويأتي آخر فيقول :

عريسنا لا تهمل الهم هاي هاي
واحنا جيناك فوازع هيه
زغيرنا ظريب بارود هاي هاي[3]
وكبيرنا ع الخيل راكب هيه

ومن العادات المتبعة اثناء سير الزفة أن يرش الناس بالعطور من قبل سكان البيوت المحاذية للطريق واحيانا ببعض حب الشعير والقزحة والشبة لرد العين .

اما رقصات الرجال في الساحات امام العريس فقد كانت متنوعة وبسيطة ،يغلب عليها طابع الدبكة ، والرقص الفردي ، وفيه شيء من هز البطن مع تلويح بعصا صغيرة او محرمة .

ولقد شاهدت بعض اليمانيين من نواطير البلد الذين يرقصون بعصا غليظة جدا يصل طولها الى اربعة امتار ، ويلوحون بها بشكل بهلواني اثناء الرقص .

كما رايت المصريين يرقصون بالسيوف وهم بالزي القومي .

وكثيرا ما كانت والدة العريس تشترك مع الرجال في الرقص ، تحمل بيدها منديلها على انغام الحاج جمعة .

وفي رحلتنا هذه مع الزفة فقد سرنا مع الرجال ولم نعط اغاني النساء حقها ، فماذا تقول النساء طيلة الفترة (خصوصا النساء) .
فكما للرجال اغانيهم فللنساء اغانيهن الكثيرة والمتنوعة التي تؤخذ من البيئة وتغنى حسب الاحوال ومنها على سبيل المثال (تنقسم النساء الى فريقين يرد الواحد على الآخر) مع (الكف) التصفيق الشديد :

عصفور هدى ع عروق الدالية
(مرتان)

ما نوخذ الا من البنات الغالية
(مرتان او اكثر)

عصفور هدى ع عروق الشجرة
(مرتان)

ما نوخذ الا من بنات الأمرا
(مرتان او اكثر)

عرسك يا فلان له زمان على بالي
(مرتان)

والكف يرقع فوق البرج العالي
(مرتان او اكثر)

عرسك يا فلان له زمان على قلبي
(مرتان)

والكف يرقع فوق البرج الغربي
(مرتان او اكثر)

لالي يا ذهب لالي بالله تلالي
(مرتان)

ابو فلان ياخالي والعز النا
(مرتان او اكثر)

---

(٣) صغيرنا يشتهر بضرب البارود ، فكيف الكبير .

رمي يا بلح رمي بالله ترمي

(مرتان)

ابو فلان يا عمي والعز النا

(مرتان او اكثر)

وفي بعض الحالات فان الاعراس لم تكن تخلو من ما يسمى ب (مكايدة) النساء :

ليمون يا اما ليمون حامل ع امه زهرية
لما لحقهم الدين دللوا ع العلبة
ليمون يا اما ليمون حامل ع امه غصون غصون
لما لحقهم الدين دللوا على القصور

ثم لا تلبث احداهن ان تغني الى احد وجوه البلد :

يابي فلان وسعنا الحارة

(مرتان)

والعز النا والكيف للعذارى

(مرتان)

يا بي فلان وسعنا الحوش

(مرتان)

والعز الك والكيف والناموس

(مرتان)

احنا السفرانيات ما فينا دنس

(مرتان)

ننزل الخيال عن ظهر الفرس

(مرتان)

وينتقلن الى لحن آخر جميل وبصوت محبب واحد مع الكف القوي :

على الله تعمر العوجا ونزرعها ملوخية

(مرتان)

ونهديها لابو فلان عمنو صدر المية

(مرتان)

على الله تعمر العوجا ونزرعها بصل اخضر

(مرتان)

ونهديها لابو فلان عمنو صدر العسكر

(مرتان او اكثر)

وهذا غيض من فيض مما يقال في زفة العريس اما في زفة العروس فهناك لغة خاصة يخاطب بها والدها فيها شيء من اللباقة وادب المخاطبة .

أمن الموكب :

لابد من المحافظة على الاخلاق العامة اثناء السير في الزفة خوفا من ان يختلط الحابل بالنابل ويعبث الأطفال بين النساء فيربطون المناديل ببعضها ، بالاضافة الى ضرورة المحافظة على فصل الجنسين ، ولذلك فقد كان اهل العريس هم المسؤولون عن هذه المهمة فيعهدون الى اثنين منهم واحد في الميمنة والاخر في الميسرة يحمل كل منهما عصا صغيرة يذود بها الاطفال ، اما الشباب فكان يكفيهم التلميح .

وما ان يعود الموكب الى بيت العريس حتى تعلو الزغاريد من كل (فج وميل)[1] .

آيه يا فرحتي ها اليومي

(مرتان او اكثر)

آيه ما بدري علم والا حلمت في نومي

(مرتان او اكثر)

آيه وخلي الحباب ييجوا[2] عندي ويهنوني

(مرتان او اكثر)

---

(١) اصطلاح شعبي معناه : من كل ناحية . (٢) بمعنى يأتوا .

آيه والعدا يبعدوا عني ولا يجوني

(مرتان او اكثر)

آيه وافتحوا باب الدار

(مرتان او اكثر)

آيه وخلوا المهني يهني

(مرتان او اكثر)

آيه وانا طلبت من الله

(مرتان او اكثر)

آيه وما خيب الله ظني

(مرتان او اكثر)

زفة العروس :

بعد عودة العريس منزفته وانصراف الفرقة الموسيقية والمدعوين كل الى بيته بعد تادية واجبات المباركة ، يستريح العريس واهلـه قليلا ، ثم لا يلبثوا ان يستعدوا للذهاب الى بيت العروس للمجيء بها ضمن موكب غنائي متواضع نسبيا ، ويكون ذلك مع الغروب واهل العروس واصدقاؤهم وجيرانهم في الانتظار حيث تكون العروس في (الصمدة) تجلس عـلى كرسي عادي في اغلب الاحيان .

يدخل الموكب وسط زغاريد النساء وعلى سبيل المثال الزغرودة التالية لوالد العروس :

ايه يا بي فلان يا مولانا

ايه يا عزنا ويا رجانا

ايه يا رب يطول عمرك

ايه لما نول منانا

« زغرودة »

وتزغرد ثانية للعروس لتعطيها الثقـة والتشجيع قائلة :

أيه ارفعي راسك لا يقولوا مايلة

ايه يا نخلة بين الجبال العالية

ايه لا انتي من الشينات تيرخص مهرك

ايه الا من خاص الأصايل غالية

ثم تقام حلقة الغناء في فناء البيت امام العروس تختار فيها الأغاني التي تطلب من والدها الاذن بالرحيل بعد ان يكون اهـل العريس قد دفعوا ما عليهم مثل هدم الخال او شاة الشباب ... وغيرها من الضرائب التي تعود كلها بالتالي كنقوط للعروس .

قومي اطلعي يا فلانة يا موشحة بالسيف

(مرتان او اكثر)

شعرك جريد النخل بين الشتا والصيف

(مرتان او اكثر)

ع راسك يا فلانة حطة حريرية

(مرتان او اكثر)

القعدة ع بيك قعدة الخندية

(مرتان او اكثر)

يا ابو فلان لا تعوقنا

(مرتان او اكثر)

بالكلام الزين مرقنا[1]

(مرتان او اكثر)

يا ابو فلان لا تلاهينا

(مرتان او اكثر)

بالكلام الزين عدينا[1]

(مرتان او اكثر)

وعندما تهم العروس بالخروج ، بعد ان يساعدها والدها (او اخوانها او اعمامها)

---

(١) دعنا نمر .

على الركوب على الفرس او في السيارة تغني النساء بصوت ممدود :

خلف الله عليك يا ابو فلان

(اكثر من مرة)

خلف الله عيك والأول

(مرتان او اكثر)

طلبنا النسب منه

(مرتان او اكثر)

اعطانا غزال مصور

(مرتان او اكثر)

وفي اواخر الاربعينات اصبحت تـزف العروس بالتاكسي ، وعلى نفس طريقة زفـة العريس (ولكن بدون قوس) يسير الرجال في المقدمة يهزجون ...

زحلة عروس مزينة

(مرتان او اكثر)

مزينة برجالها

(مرتان او اكثر)

يارب تكبر مهرتي

(مرتان او اكثر)

واصير انا خيالها

(مرتان او اكثر)

والنساء من خلفها تسحج بكل ما معهن من قوة ولكن بلهجة تختلف عن تلك التـي غنيت في بيت والدها :

صارت لينا صارت لينا النشمية

(مرتان او اكثر)

وصار السعد يدرج في العلية

(مرتان او اكثر)

صارت لينا صارت لينا المليحة

(مرتان او اكثر)

وصار السعد يدرج في الساحة

(مرتان او اكثر)

وعندما يقترب الموكب من بيت العريس تغني النساء :

ابشر يا فلان جبنا حمامتك(١)

(تردد مرات)

جبنا بنت عمك وجبنا قرابتك(٢)

(مرتان)

ساعة تبرجم لك وساعة تقولك

(مرات)

وساعة يا ابن عمي اطرد امك

(مرات)

الفاردة :

جرت العادة عندما يتزوج شخص من البلد بواحدة من البلدان المجاورة ان تذهب مجموعة من الرجال والنساء من اهل العريس لاحضارها مع بعض اقاربها ، وكانت تركب دابة او جملا ضمن هودج (حسب الامكانيات) وتسير ضمن موكب يسمى الفاردة التي لابد ان يستضيفها اول بيت في البلد ، ومن ثم تزف من هذا البيت الذي يصبح بمثابة بيت والدها الى بيـت العريس تماما كاي زفة اخرى .

---

(١) عروسك .

(٢) جبنا بمعنى جئنا بها .

قيس ويمن :

ولا بد من الاشارة هنا الى أن الاعراس كانت تتشابه في كل شيء، ما عدا هذا الشعار الأحمر الذي يجب أن ترتديه عروس القيسيين والابيض الذي ترتديه عروس اليمانيين

وليس في الأمر مشكلة عندما يتزوج ابناء الشعار الواحد من بعضهم ، ولكن المشكلـــة تثور في حالة العكس ، ويمكن حلها بالتفاهم اذ تلبس العروس شعار أهلها حتى منتصف الطريق ثم يوضع فوقها شعار اهلها الجدد . ولكن احيانا يحصل سوء الفهم كما حدث مرة في زواج المرحوم الشيخ عمر محمـــود عوض (يمن) من السيدة الفاضلة عايشة صالـــح الزبيدي (قيس) قبل حوالي خمسين عامـــا في السافرية وعند وصول النقطة المحـــددة (نهر) اهل العروس الفرس بسرعة فتنبه اهل العريس للمحاولة وبدا الشجار ووضعت العروس في بيت قريب « بيت والدي »حتى تم الصلح بعد قياس الطريق من جديد وتدخـــل المخفر ومع الفجر استانفت العروس المسير الى بيت العريس مع اغنية :

ابشر يا عمر جبنا حمامتك

ومما تجدر الاشارة اليـــه ان هـــذه العادات كانت منتشرة في انحاء فلسطين وتقول يسرى عرنيطة في كتابها ـ الفنون الشعبية في فلسطين ص ١٥٢ .

« رام الله مثلا تنتمي الى قيس ، لذلك تلبس العروس الثياب الحمر واللون الأحمر هو علامة قيس ، فاذا صدف وخطبت الى رجل من البيرة اليمنية وتقع بجوار رام الله عليها لبس الأحمر حتى حدود البيرة على أن تقلع هدومها وتلبس الابيض عند دخولها حدود البيرة والا لعلع الرصاص وابتدات المشاكل » .

الجلوة :

تحدثنا عن معظم المراسم التي تجري في يوم الزفاف وعن الاغاني التي تقال ، ولكنها بالقطع لا تساوي واحدا من عشرة مما كان يغنى .

وساتحدث الآن عن آخر هذه المراسم التي تنهي يوما كاملا من الفرح المتعب يحتاج بعده الناس الى نوم عميق ما عدا المعنيين بالامر .

وتبدا الجلوة بعد استراحة العروس لفترة وجيزة في بيتها الجديد ، بان تصطف النساء على الجانبين وتسير العروس في الوسط ذهابا وايابا ووجهها للعريس الجالس امامها ، وفي يديها الشموع تغير بدلات العرس السبـــع الواحدة تلو الأخرى على انغام الطبلة واغاني الجلوة مثل :

لبستالأزرق ، شلحت الأزرق
(مرتان او اكثر)

عليها يلبق والشمع في ايديها
(مرتان او اكثر)

لبست البني شلحت البني
(مرتان او اكثر)

رايحة تجنني والشمع في ايديها
(مرتان او اكثر)

واحيانا تغير (الدقة) بحيث تسمـــح للعروس ان ترقص وتعمل على تهيئتهـــا نفسيا : مثل

مدي منديلك مدي
(مرتان او اكثر)

بيظة والشعر مندي
(مرتان او اكثر)
غصبن عن امك وابوك
(مرتان او اكثر)
ذراعك لراسي مخدة
(مرتان او اكثر)
مدي منديلك ممدود
(مرتان او اكثر)
بيظة والجدايل سود
(مرتان او اكثر)
غصبن عن امك وابوك
(مرتان او اكثر)
ذراعك لراسي ممدود
(مرتان او اكثر)
ميلي عل صدر البيت ميلي عل الطراحة
(مرتان او اكثر)
يا بنت الكرم والجود يا فلانة يا فلاحة
ميلي عل تخته دخيل تخته
يا فلان ظبع اخته ع الأصيلة
(مرتان او اكثر)

وبعد ان تكون العروس قد قامت بواجبها ياخذ العريس بيد عروسه بناء عل اشارة من والدته او والدتها بحجة ان العروس (تعبانة) وانها لم تنم منذ الليلة الماضية (ليلة الحنة) .

ويتفرق شمل النساء ، وغالبهن من الفتيات اللواتي في سن الزواج من الصديقات والجارات وسط هتاف البعض « العريس اخذ العروس ، قومن يا امات .... » .

اما والدة العريس ، فانها لا تنسى أن تودع ابنها بزغرودة تشجعه وتبارك له ، وتحثه عل القيام بواجبه .

آيه خذها يا فلان خذها
آيه ياريتك من الكاسبين
آيه انشاء الله تفرح وتتهنى
آيه وتملي الدار بنين[1]
آيه يا ريتها مبروكة
آيه سبع بركات
آيه كما بارك محمد
آيه عل جبل عرفات

وينتظر الناس عل باب غرفة العريس في مكان قريب وكلهم من الأهل ، واخيرا اقتصر عل والدة اي من العروسين او كليهما للاطمئنان ، وكانت العادة المتبعة ان يستعجل العريس في مهمته والا كان مدعاة للضحك بين الشباب ، وعليه فلا يستغرب ان تسجل الأرقام القياسية في السرعة وهي عادة اقلع عنها الشباب فيما بعد وكذلك عادة ضرب العريس الذي يدخل ومعه عصا بدوره لتخويف العروس .

وما ان يخرج العريس حتى تسمع البلد كلها صوت الزغاريد والرصاص ايذانا بان كل شيء انتهى

---

(١) تملأ .

A Preface for Studying Palestinian Folk Food

By : Nimr Serhan

Mr. Serhan discusses folk food in Palestine as related to the agricultural environment and the abnormal conditions which the conuntry underwent in several eras. The author also analyzes folk traditions that relate to food in all aspects.

of Jordan are the theme of this essay. Samples of grief songs are cited.

The Origin of Egyptian "Zar"

By : Brands Selgman

Translated by : Hanna Khader

An analysis of Egyption "Zar", its relation with religion, medicine and folk beliefs. Sudanese Zar traditions are also discussed.

Children in the Palestinian Folk Life

By : Hilma Granquist

Translated by : Nimr Hijab

Dr. Granquist defines the place of the child in the Palestinian family and his role in society. There is always a difference in the role of the boy and that of the girl in the light of the families' outlook to what is expected from each in the future.

Popular Life in the Old Amman Districts

By : Abdullah Rasheed

This essay is a continuation of other essays on the same subject by Mr. Rasheed. Making of bread, the different types of ovens used in baking it, folk methods of making fires and different types of lighting are among the subjects described by Mr. Rasheed.

ENGLISH SUMMARY

By Faruk Jarrar

Romadan in Damascus : A Survey of Folklore Traditions

By : Munir Kayyal

Romadan has its lovely traditions which could be traced to hundreds of years of Moslem heritage. Some of those traditions in Damascus are analyzed by the author who covered written materials in history books and his own field survey conducted in modern Damascus; some of the subjects covered are folk food. folk poets and graveyards' visits.

Witchcraft : Theory and Practice

By Ahmed Rabay'ah

A theoretical study on the relationship between Anthropology and witchcraft and the role of witchcraft in the lives of people everywhere.

Funny Folk Tales

By : Omar Saressi

Folk tales analyzed by the writer here are short anecdotes, jokes and evening tales with funny situations. Mr. Sareesi discusses the role of funny folk tales in everyday life.

Death in the Folk Belief

By : Farid Kamal

Traditions that go with death and burial in the West Bank

Al - Fonoon Al - Sha'beyya

A Quarterly Journal

for Folklore

Published by

Department of Culture and Arts

Tel. 36391 - P. O. B. 6140

Amman - Jordan

Volume 3, No. 1, February 1976

كتب الفنون الشعبية

الصادرة عن

دائرة الثقافة والفنون

١ ــ أغانينا الشعبية في الضفة الغربية

١٩٦٨ نمر سرحان / نفد

٢ ــ أغانينا الشعبية في الضفة الشرقية

١٩٦٩ هاني العمد / نفد

٣ ــ قاموس العادات والتقاليد والالفاظ الأردنية

١٩٧٤ روكس العزيزي

٤ ــ تراث البدو القضائي

١٩٧٤ محمد ابو حسان

٥ ــ المجتمع البدوي في الأردن

١٩٧٤ احمد الربايعة

ومن كتب الفنون الشعبية

(قطاع خاص)

١ ــ المراة البدوية في الأردن ١٩٧٤ احمد العبادي

٢ ــ إحياء التراث الشعبي ١٩٧٣ نمر سرحان

٣ ــ الحكاية الشعبية الفلسطينية ١٩٧٤ نمر سرحان/ نفد



جمعية عمال المطابع التعاونية